





مكتبة مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
(الإمام الصادق (ع))

moamenquraish.blogspot.com

العلامة

صدافة وسيرة و23 سنة

العلامة

السيد محمد حسين فضل الله

صداقة وسيرة و23 سنة

2009 – 1986

سركيس نعوم



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى
1435 هـ - 2014 م

ردمك 978-614-01-1193-6

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

توزيع

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.asp.com.lb>

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

مُقَدِّمَةٌ

مصطفى ناصر كان بالنسبة إليّ صديقاً ولا يزال. تعرّفت إليه صحافياً يرأس جريدة سعودية ثم ناشراً لـ «وكالة الأنباء الدولية» المحلية. وعرفت منه قيامه بمحاولات جدّية لدخول عالم التجارة أو «البنس»، كما تسمى اليوم، رغبة منه في تحسين أوضاعه المادية. فأخذ وكالة توزيع للتبّاك العجمي في لبنان. لكنّ مواجهات النافذين له أحبطت وبنجاح محاولاته، فتوجّه نحو تقديم الاستشارات في الموضوعات التي هو فيها خبير، ومّا أكثرها، وحولته هذه وسيطاً ماهراً وموثوقاً به «طنطنت» وسائل الإعلام بأخباره يوم نَجَحَ، جرّاء صداقته مع الرئيس الشهيد رفيق الحريري وقيادة «حزب الله» وعدد من النافذين داخل الجهة الإقليمية الراعية له، في عقد جلسات حوار بين الأوّل والأمين العام للثاني السيّد حسن نصر الله، اتفق فيها الاثنان، على ما يقول، على أمور كثيرة كان أهمها العمل معاً لاستقرار لبنان، كلّ من موقعه وموقفه وإن متناقضين، وتأكيد الحريري أنّه لن يقاتل «الحزب» أو يطعنه، وأنّه سيترك الحكم والبلاد في حال واجه خياراً من هذا النوع.

مصطفى ناصر هذا كان صديقاً صدوقاً للعلامة السيّد محمد حسين فضل الله. وبصفته هذه، سألتني في إحدى السنوات الثمانيّة من القرن الماضي إذا كنت أرغب في مقابلته. وفهمت منه أنّ «المرجع الأبرز»، كما صار لقبه في لقاءاتي معه التي نشرتها على مدى سنوات طويلة في جريدة «النهار» وفي زاوية «الموقف هذا النهار»، يعترف بأهمية الإعلام وبضرورته، وأنّه يتابعه في استمرار، وأن شيئاً في مقالاتي لفتّه. كان جوابي الترحيب طبعاً. ذهبنا إليه معاً، وتحدّثنا بقلب مفتوح وصراحة وصدق في آن، في موضوعات الساعة الاستراتيجية والسياسية. كان عارفاً أنني سأنشر الحوار. لكنّنا لم نتحدّث عن ذلك. ولاحظ، في أثناء الجلسة، أنني لا أستعمل القلم لكتابة فكرة أو ملاحظة ولا آلة تسجيل، وهذه كانت عادة دارجة للصحافيين في تلك الأيام، لكنّه أيضاً لم يعلّق. كان شريكاً في الجلسة مستشاره الإعلامي الحاج هاني عبد الله الذي لازّمه في هذا الموقع حتى انتقاله إلى

دنيا الحق، ثم انتقل بعد ذلك إلى ملازمة نجله السيّد علي فضل الله وأشقائه وكل المسؤولين عن الصرح الديني والفقه والتعليم والاجتماعي الذي شيّده بعرق الجبين، وبـ «الخمس» وبتبرعات المؤمنين بفقهه وفقاواه والمقلدين له عندما أعلن مرجعيته استجابة لمطالبة الناس.

عدت إلى مكنتي في «النهار». استذكرت الحوار الواسع والعميق، ودوّنت عناصره الأساسية. وفي اليوم التالي، كتبت أول حلقة من أول سلسلة حوارية أجريتها معه، ونشرتها بعد 24 ساعة، وقد تضمّنت على ما أعتقد سبعة مقالات. بعد انتهاء النشر، اتصل بي هاتفياً، في مساء يوم عاصف على فندق «كافالييه» في شارع الحمراء البيروتي حيث كنا «نقيم»، وهنّأتني بحرارة على دقّتي وعلى قوّة ذاكرتي وعلى أسلوبتي، وسألني مازحاً إن كنت أحمل «مسجّلة» في جيبي. اتفقنا على استمرار اللقاءات. وبدأت صداقة بل أخوة بيننا استمرت حتى وفاته، سادتها صراحة تامّة وابتعاد عن «الخيانة» ونقل الأخبار وكتابة التقارير إلى هذه الجهة أو تلك، سياسية كانت أو مخابراتية، ومحلية كانت أو عربية أو إقليمية أو دولية. استمر مصطفى ناصر الصديق رفيقاً لي في لقاءاتي مع السيّد فضل الله وبطلب منّي بل إلحاح. وهذا طبع متأصل فيّ قد يكون نوعاً من الوفاء للشخص الذي أدّى لي خدمة جليلة بتعريفني إلى قامة كبيرة بل إلى رمز وكنز إسلامي ووطني ولبناني وعربي. لكن، مع الوقت، وهنت العلاقة القوية بينه وبين «السيّد». فخفت مرافقته لي إلى منزله في حارة حريك، ثم انقطعت. طبعاً، أعرف الأسباب وربما يعرفها كثيرون غيري، لكنني لن أخوض فيها. تناولت اللقاءات الكثيرة و«سلاسل» «الموقف هذا النهار» عنها لبنان السياسي والطائفي والمذهبي والديني والاجتماعي والعربي، وتناولت سوريا التي كانت في لبنان عسكرياً وسياسياً، وتناولت قضية فلسطين والاحتساب الصهيوني لها، والأوضاع في العالم العربي. وركّزت على الجمهورية الإسلامية الإيرانية ونظامها في الداخل وطموحاتها في الخارج، وعلى «حزب الله» والطائفة الشيعية، وعلى أميركا وتطور سياساتها في المنطقة.

وبدا لي في كل موضوع سألته عنه ثم ناقشناه، أنه ملّم به وعارف بنفاصيله ومتابع له. ثم تأكّد لي امتلاكه قدرة هائلة على الحصول على المعلومات وتحليلها في صورة موضوعية، وعلى الاستشراف الناجح للمستقبل معظم الأحيان. استمرت علاقتي به رغم بدء الحركيين الإسلاميين الشيعة الذين أسس هو «تيّارهم» في لبنان بل في العالم الشيعي، وساهم بذلك في بروز حركيّة وإن

مختلفة في العالم السنّي، بالانفصاض عنه قسراً إذا جاز التعبير، جرّاء ارتباطات حزبية أو تنظيمية أو إقليمية، ولا سيما بعدما أعلن «مرجعيتّه» التي تحفّظت عليها قبل إعلانها الجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة، والتي نالها من النقد والهجوم القاسي بعد إعلانها ما لا يتحمّله بشر. لكنّه صمد لاقتناعه بأنّه لا يخالف «الأصول»، وبأنّه على صواب، وبأنّ الذين يحاربونه في لبنان وخارجه ومعهم تلاميذه يفعلون ذلك لا لضعف تقنّهم به وإيمانهم بمقدرته الفقهية والعلمية واستحقاقه للمرجعية، بل لأنّ المرحلة السياسية تفرض عليهم ذلك. وبرهن بذلك عن إرادة صلبة، وعن عزم لا يلين، وعن إيمان لا يُقهر بالله تعالى أولاً ثم بنفسه فبمريديه ومقلّديه. طبعاً نالني جزء لا بأس به من النقد في الحملات التي استهدفته. فقيل إنني وسيط بينه وبين الأجهزة الاستخبارية الأميركية بما أنني «عميل» لها. وقيل أيضاً إنني أقبض منه راتباً شهرياً. والإنصاف يقتضي منّي التأكيد أنّه كان يضحك من تهمة العمالة للأميركيين ويسخر، والتأكيد أيضاً أنّه لم يفتح معي سيرة المال يوماً، ولا شراء الذمّة والإرادة والمقالات كان في طبعه. مرة واحدة، عندما كانت إحدى حكومات ما بعد اتفاق الطائف تُشرّع وسائل إعلاميّة «شغالة» في صورة غير شرعية بحكم الأمر الواقع، اقترح عليّ أن أكون عضو مجلس إدارة في «إذاعة البشائر» التي كان يشرف عليها. لكنني رفضت بتّهذيب فائق وبشكر له على تقنّته بي، وكان السبب أنني لست مهياً لهذا النوع من العمل في كل الوسائل الإعلاميّة. قد يكون الضعف الذي أصاب علاقتي مع أصحاب الحملات ناجماً عن وفائي للسيد فضل الله، وعن تمسكي بصداقته، وعن استمراري في التردد عليه، وعن «فتح» منبر له في «النهار». على الأقلّ هذا ما سمعته مواربة من البعض. لكن، صراحةً، لم يُبلغ أحد ذلك إليّ. لم يكن في إمكانيّ إلا مبادلة النّقة بالنّقة والوفاء بالوفاء. كنت أعرف أنّ الحاملين يعرفون في قرارة أنفسهم أن من كان صديقاً لهم بصداقته، ومن دون انتماء لهم أو لغيرهم، سيبقى كذلك.

كنا أحياناً، السيّد فضل الله وأنا، نختلف في أثناء الحوار والمناقشة. لكن الحوار كان كفيلاً بتوضيح الأفكار. مرة واحدة تباينت المواقف حول «الزواج المدني»، كان ذلك يوم أثير في الإعلام والمحافل السياسيّة ثم في مجلس الوزراء الذي كان الرئيس رفيق الحريري رئيسه في ولاية الرئيس الراحل إلياس الهراوي. إذ قال السيّد أو نسّبت إليه وسائل الإعلام أنّ أولاد المتزوجين مدنيّاً هم أولاد زنى. فسمحت لنفسني أنا المتزوج مدنيّاً بأن أكتب «موقفاً» مدروساً كان

عنوانه كافياً للفتة إلى شعوري بالإساءة، وهو: «أبناء المدني ليسوا أولاد زنى». اتصل بي والتقينا. أوضح وجهة نظره واقتنعت بأنه لم يسيئ إلى أحد ولا يحب ذلك ولم يُرَدّه.

ماذا عن كتاب «العلامة» الذي أكتب مقدّمته هذه؟

في أواخر تسعينات القرن الماضي وأوائل القرن الجاري، خطرَت لي فكرة كتابة سيرة السيّد فضل الله الغنية جداً بالأحداث والمفاصل تُظهر التطورات في تقويمه للأحداث وفي موقفه منها، ولكن من دون أن تتسبب بتغيير في استراتيجيته. فاقترحتها عليه في حضور مستشاره الإعلامي الحاج هاني. ولم أطلب جواباً سريعاً. بل قلت إنها فكرة للنقاش. عام 2001، نضجت الفكرة وبدأنا تنفيذها في 9 تموز من السنة نفسها وانتهينا في 9 تشرين الثاني. عقدنا جلسات حوارية مطوّلة سأَلته فيها عن كل شيء بدءاً بنشأته، ومروراً بنشاطه في لبنان وبعلاقته مع الثورة الإسلامية في إيران وقادتها وشخصياتها، وانتهاء بالمرجعية التي أعلنها فأقامت الدنيا عليه ولم تقعدّها. وشارك الحاج هاني عبد الله والسيّد علي رفعت مهدي في تسجيل الحوارات ثمّ في تفريغها من الأشرطة على الورق. قرأتها ودققت فيها، فوجدت أنّ الناس يعتبرون، وعن حق، أنّ السيّد فضل الله عايش أحداثاً، وشارك في صنع أحداث، وعانى أزمات، وحقق أموراً كثيرة مهمة، وواجه مواقف صعبة انطلاقاً من لبنان الذي كان، أيام الحرب خصوصاً، ساحة تنصارع فيها دول المنطقة كلها والعالم ولكن بالواسطة (ومنها إسرائيل طبعاً). وسيعتبرون أنّ ما قاله أو أوحى به في «السيرة» أقل بكثير من ذلك. فأبلغت ذلك إلى مستشاره الإعلامي الصديق هاني عبد الله. وافقني على ذلك. وبدأ لي منه أنه أثار ولوحده هذا الأمر مع سماحته، لكنّه تمسّك بعدم الاستفاضة لأنّ «المصلحة العامة» لا تسمح بالمزيد.

بعد أسابيع أو أشهر وفي جلسة حوارية معه، قلتُ له: «سماحة السيّد، أنت كبير جداً فعلاً وفي رأي الناس. وما سيتضمنه الكتاب هو أقل من حجمك ودورك بكثير»، فذكر حُججه واستمر في تمسّكه برفض الاستفاضة مع تقديمه اقتراحات تحسينية، علماً أنّ تنفيذها لم يكن سهلاً. لذلك قلتُ له بعد أسابيع: «مولانا، قلتُ لك سابقاً أنت كبير جداً. أكرّر ذلك الآن، وأضيف إليه: «أنت أكبر مني حجماً وتجربة وسناً ومعرفة وخصوصاً بالتجربة والعمر والمعرفة. فإذا كنت أرى أن «السيرة»

في حجمها ومضمونها الحاليين لا تليق بك، فإنني أرى في الوقت نفسه أن علي التريث في نشرها». ابتسم. لم يعترض، ونامت في الأدراس. والحقيقة التي لم أقلها يومها للسيد أنني رغبت في الاتصال بالجهات الإقليمية التي تعرف عنه ومنه الكثير، وفي مقدمها الجمهورية الإسلامية الإيرانية وسوريا حافظ الأسد.

لكنني لم أنفذ رغبتني لمعرفة أن الملفات فيها، كما في كل الدول، لا تفتح إلا لكاتب سيرة «مُعامل» أو «مُعاون». ولم أكن كذلك مع أحد.

لكن، في السنة الثانية لوفاته افتقدته كثيراً، ففتحت «الجارور»، وقرأت مخطوطة «تيار في سيرة» (سيرته)، ورأيت أنه من الضروري نشرها بعنوان «العلامة» إنصافاً له، وإفساحاً في المجال أمام الأجيال الجديدة كي تتعرف إليه شخصاً وفكراً وأخلاقاً وفقهاً وعلماً ومعرفة، وخصوصاً في ظرف مصري وصعب جداً يعيشه لبنان ومعه العالم العربي والإسلامي والشرق الأوسط برمته، وكي تُجرى المقارنات الضرورية، وكي تدفع قادتها ومن كل الطوائف في الاتجاهات التي تمنع الانزلاق السريع للبنان نحو الكارثة النهائية.

فاتصلت بالحاج هاني عبد الله، وزرت نجل «السيد» السيد علي فضل الله، وطرحت عليه الفكرة مضيفاً إليها اقتراحاً بنشر حواراتي «النهارية» معه كلها أو معظمها في كتاب مرفق أو أكثر، فرحّب. باشرت العمل، لكنني فضّلت أن استعني عن إعادة صوغ الحوارات «الصحافية» الطابع لكتابة سيرة السيد وأن أنشرها بصيغتها الأصلية، فتبقى الحيوية فيها ويتلقى القارئ فكره صافياً ومن دون أي تدخّل.

أتمنى أن يحظى «العلامة» برضاكم وأصلي كي يمن الله، عزّ وجلّ، على اللبنانيين مسلمين سنة وشيعة ودروزاً ومسيحيين وعلى العرب والمسلمين كلهم، برجال دين من وزنه وقماشته وعقله وفكره وحكمته ومعرفته وصدقه وإخلاصه وقدرته على التطور الطبيعي وليس على «التكويح»، إذ بهؤلاء وحدهم يمكن حماية الأديان من الذي يلحق بها على مدى العصور والأزمان.

سركيس نعوم

الجلسة الأولى

✽ النشأة، وذكريات الطفولة، ماذا عنها مولانا؟

وُلِدْتُ في النَّجف الأشرف العراق، لأن والدي، رحمه الله، مكث في النَّجف مدة تقارب الثلاثين عاماً للدراسة والتدريس. وُلِدْتُ في بيت بائس فقير. فأوضاع الوالد المادية كانت صعبة جداً، إذ كان يمتلك نفساً أليّة أثقلت ظروفه وكان لا يتنازل للجهات النافذة في الوسط الديني التي كانت مساعداتها تفرض على الإنسان أحياناً بعض التنازلات من كرامته أو من موافقه. ولذلك كان متقللاً بالديون.

نشأت في هذا المناخ البائس، حتّى كُنّا عند الإصابة بالمرض (أنا وإخوتي) نؤخذُ إلى طبيب هو أقرب إلى الطبيب العربي أو الهندي التقليدي، إذ كان من الصعب مادياً أن نؤخذَ إلى مستشفى. وربما كان مستشفى النَّجف أقرب إلى المستوصف جراء الإهمال الذي كانت النجف تواجهه آنذاك. كُنّا نتداوى بالطب العربي، حتّى إنني أذكر إصابتي بالحصبة في طفولتي الأولى إذ بقيت أشهراً حتّى شُفيت، بسبب طبيعة المعالجة التي كانت بسيطة وغير حديثة. أما في أيّ عمرٍ حصل ذلك فلا أذكرُ.

وُلِدْتُ في 19 شعبان 1354 هجرية وميلادياً سنة 1935. وفي السنّ التي يتعلّم فيها الإنسان القراءة والكتابة، أرسلتُ إلى أحد الكتاتيب الكائن في إحدى الغرف من الطبقة العلوية لمقام الإمام علي (ع) في النَّجف الأشرف. وكانت طريقة الدراسة قائمة على أن يُعلّم أحد التلاميذ المتقدّمين التلميذ الآخر، وكُنّا نشعرُ بأنّ المشرف على هذا الكتاب يُميّز بعض أبناء الوجهاء الكبار في الحوزة العلمية. ورغم أنّنا كُنّا في طفولتنا الأولى وربما في سنّ الخامسة، فإننا كنا نلاحظ ذلك ونرقبه ونغارُ منه ونتألّم.

ثمّ نقلتُ إلى كتاب ثانٍ قريب من بيتنا، وكان المشرفُ عليه شيخاً كبير السنّ

أعزج. أذكرُ أَنَّهُ كَانَ شَدِيداً عَلَى الطُّلَّابِ، وَقَدْ تَعَلَّمْتُ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ فِي شَكْلِ تَقْلِيدِي حَيْثُ كُنَّا نَأْخُذُ الْأَلْوَاحَ وَنَكْتُبُ بِالطِّيشُورِ عَلَيْهَا.

وبعد أن فَتَحْتُ جَمْعِيَّةَ مَنَتْدَى النُّشْرِ مَدْرَسَةً دِينِيَّةً عَصْرِيَّةً مِنْ قَبْلِ، أَدَخَلْتُ فِيهَا فِي الصَّفِّ الثَّالِثِ فَنَجَحْتُ وَانْتَقَلْتُ إِلَى الصَّفِّ الرَّابِعِ. لَكِنِّي لَا أَعْرِفُ لِمَاذَا أُخْرِجْتُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ فِي الصَّفِّ الرَّابِعِ رَغْمَ نَجَاحِي وَتَفَوُّقِي. لَعَلَّ الْإِمْكَانَاتِ الْمَادِيَّةَ لَمْ تَكُن تَسْمَحُ بِذَلِكَ. ثُمَّ بَدَأْتُ الدِّرَاسَةَ الدِّينِيَّةَ مُبَكِّراً.

❖ مَوْلَانَا، كَيْفَ تَصِفُ لَنَا الْبَيْتَ الْعَائِلِيَّ؟

— أَنَا لَا أَتَذَكَّرُ الْبَيْتَ الَّذِي وَلَدْتُ فِيهِ، بَلِ الْبَيْتَ الَّذِي عَشْتُ فِيهِ طِفُولَتِي. كَانَ يَتَمَيَّزُ بِأَنَّهُ فِي دَهْلِيْزٍ مُظْلَمٍ، وَمَوْفَّ مِنْ ثَلَاثِ غُرَفٍ مَعَ مَطْبَخٍ بَائِسٍ، وَكَانَ فِي صَحْنِ الدَّارِ حَوْضٌ لِلْمَاءِ الَّذِي كَانَ مَالِحاً إِذْ أَنَّ الْبُئْرَ الَّتِي كُنَّا نَشْرَبُ مِنْهَا كَانَتْ مَالِحَةً. وَهُوَ الْحَوْضُ الَّذِي كُنَّا نَغْتَسِلُ فِيهِ وَنَغْسِلُ حَاجِيَاتِنَا، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي النَجْفِ «إِسَالَةٌ» وَلَا فِي تِلْكَ الْمَحَلَّةِ أَوْ بِيوتِهَا. وَقَدْ كَانَ لِلْبَيْتِ سَرْدَابٌ كَكُلِّ بِيوتِ النَجْفِ يَنْزِلُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ لِلتَّبَرِّدِ نَهَاراً. أَذْكَرُ أَنَّهُ كَانَتْ هُنَاكَ نَوَافِدُ تُطَلُّ عَلَى الْبُئْرِ رَغْبَةً فِي الْهَوَاءِ الْبَارِدِ الَّاتِي مِنْ خِلَالِ الْآبَارِ الَّتِي كَانَتْ مَفْتُوحَةً بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي النَجْفِ. وَأَمَّا لَيْلاً فَقَدْ كُنَّا نَنَامُ عَلَى السُّطُوحِ لَشِدَّةِ الْحَرِّ، وَبِالنَّسْبَةِ إِلَى لِبَاسِنَا، فَقَدْ كَانَ «الدَّشْدَاشَةُ» لِأَنَّهُ اللَّبَاسُ التَّقْلِيدِي. كُنَّا نَسْتَضِيءُ بِالْفَوَانِيسِ لِأَنَّ الْكَهْرِبَاءَ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً عِنْدَنَا، وَرَبَّمَا كَانَتْ الْكَهْرِبَاءُ مَوْجُودَةً خَارِجَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي كُنَّا فِيهَا، هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ لَا أَتَذَكَّرُهَا تَمَاماً.

فِي تِلْكَ الْمَرَحَلَةِ، كَانَتْ الشَّوَارِعُ وَالْأَزْقَةُ هِيَ مَلَاعِبُ لِهُونَا. كُنَّا نَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فِي شَكْلِ وَفِي آخَرٍ. أَمَّا النِّزَهَاتُ فَقَدْ كَانَ الْوَالِدُ وَبَعْضُ الْأَصْدِقَاءِ يَخْرُجُونَا إِلَى مَنَاطِقِ «الْجَدُولِ»، وَهِيَ مَنَاطِقَةٌ تَقَعُ فِي وَادِي النَجْفِ، وَهِيَ مَدِينَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى مَرْتَفَعٍ. شَكَلَتْ مَنَاطِقَةُ «الْجَدُولِ» فِرْعَاً مِنْ نَهْرِ الْفَرَاتِ، وَلِهَذَا كَانَتْ الْبَسَاتِينُ مَنْتَشِرَةً فِيهَا. كَانَ خُرُوجُنَا أَيَّامَ الْعَطْلِ الدِّرَاسِيَةِ الْحُوزِيَّةِ أَيْ كُلِّ خَمِيسٍ وَجُمُعَةٍ. كُنَّا نَلْعَبُ فِي الْبَسَاتِينِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ الطَّرِيقَ كَانَ بَعِيداً، وَلِهَذَا كَانَتْ الرِّحْلَةُ إِلَيْهِ مُعَبَّةً. أَمَّا وَقْتُ النَّزْهِةِ وَالْخُرُوجِ فَقَدْ كَانَا مَرَّةً كُلِّ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ. أَحْيَاناً كُنَّا نَخْرُجُ إِلَى الْكُوفَةِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِنَهْرِ الْفَرَاتِ الْكَبِيرِ. وَالْمَسَافَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَجْفِ تَبْلُغُ 10 كَلِمٍ أَوْ أَكْثَرَ. أَمَّا وَسِيلَةُ النُّقْلِ فَكَانَتْ الْعَرَبَةُ الَّتِي تَجَرُّهَا الْبَغَالُ عَلَى سَكَّةٍ حَدِيدٍ مَحْدَدَةِ الْمَعَالِمِ.

أذكرُ أنني كنتُ ذات يوم مع الوالد وبعض أصدقائه في مكان من الطين الخفيف الذي كان يُخَيَّلُ إلى الطفل أن في إمكانه أن يسيرَ على هذا الطين. ففي غفلةٍ عن والدي وصحبه، درجتُ إلى نصفه تقريباً حيثُ كدْتُ أن أغرق لولا مجيء أبي وصاحبه فأخرجاني بجهد لأنهما كانا لا يستطيعان الاقتراب كثيراً بسبب عمقه. هذه إحدى الذكريات في تاريخ حياتي. في ذلك الوقت، كنتُ أشعر بشيء في نفسي يُشبه قَلَقَ المعرفة. إذ انفتحتُ على واقع البيئة مبكراً، وكنتُ أخرج أيام مواسم عاشوراء إلى الصحن العلوي الشريف، وأرى مواكب العزاء والذين يضربون رؤوسهم بالسيوف، وحملة المشاعل الطويلة والمشتعلة على عدة شموع. كان حامل المشعل يقف ويحاول القيام بحركات بهلوانية في المناسبة، وكنتُ أشعرُ بالتقرُّز من منظر الدماء.

❖ تقرُّزُ أم خوف، مولانا؟

- لم يكن خوفاً لأن الاعتياد على مثل هذا الأمر أبعد عني الخوف. والتقرُّز كان لاشعورياً. وهكذا كنّا نحضرُ المواسم. ولعلَّ الإنسان، في تلك المرحلة، يبدأ باختزان المسألة الشعرية، لأن هذه المواكب تهرجُ أهazيج شعبية في أثناء مسيرها، وعند التوقف والجلوس يصعدُ الرادود الحسيني مثلاً فيطلق للجلوس لازمة يُردِّدونها، ويقرأ عليهم بعدها شعره الشعبي ليختمه باللازمة ويتابع. لذلك كان الإنسان، منذُ ذلك الوقت وحتى في تردادهِ للشعر الشعبي، يختزنُ الجانب الشعري لاشعورياً، بالإضافة إلى مجالس العزاء طبعاً.

❖ اللعب والاختلاط، مولانا، ماذا عنهما؟ وهل كان اللعب ممنوعاً في العمر الصغير مع الفتيات أم مسموحاً به؟

- لقد كان اللعبُ في ذلك الوقت وهذه السنَّ الطفولية، مشتركاً بين الفتيان والفتيات. لكن، من الطبيعي عند بلوغ الفتاة سنَّ التاسعة أي سنَّ التكليف الشرعي أن لا يُسمح بالاختلاط.

❖ ماذا عن علاقتك مع الوالد وعن المسؤولية الملقاة على البكر؟

- كانت علاقتي مع الوالد علاقة لا أزال دائماً أشعرُ بإنسانيتها. لم أذكر أنه ضربني في كلِّ تاريخ حياتي منذُ الطفولة الأولى. كانت طريقتُهُ في تأديبي إذا قمْتُ بما لا يرضيه أن يُحدِّقَ بي تحديقاً أشعرُ فيه بالغضب فيُثقلني ذلك وأترجع. لكنَّ والدتي، ولشدة خوفها عليّ، كانت تضربني وأحياناً ضرباً مبرحاً. هكذا كانت

طفولتي وطفولة إخوتي ونحن خمسة ذكور وخمسُ إناثٍ عدا الذين ماتوا مبكرين .
أنا أكبرهم ومن الطبيعي أن والديَّ كانا يهتمان بي لأنني الولد الأكبر الذي يُعدّ ليبدأ
في خط الدراسة أو التربية أو المسؤولية .

كنت في طفولتي لا أخلو من المشاغبة، لكن الأمر لم يصل معي إلى درجة
«العفرتة» (مبتسماً) .

❖ ماذا كانت أسباب ضرب الوالدة لكم؟

- كانت والدتي تخافُ عليَّ، لأنَّ النجف، كأَيِّ بلد من بلدان المنطقة العربية،
فيه شيءٌ من الشذوذ، ولذلك يُخشى على الولد الذي يمتلك صورة جميلة وتربية
حسنة وما إلى ذلك . قد تكون هذه هي المسألة التي كانت والدتي، رحمها الله،
تنطلقُ من خلالها .

❖ الطفولة الطبيعية والإحساس بها ماذا عنهما؟

- لا أظن أنني عشتُ طفولةً طبيعيَّةً لأنَّ البيئة التي كنتُ أعيشُ فيها كانت
مغلقةً إلى حدٍّ ما . وأنا لا أنسى أنني كنتُ أسمعُ أكثر من كلمة، مثل أن على الطفل
أن يجلس عاقلاً مهذباً لا يتكلم . ولا أزالُ أذكرُ كلمةً لا أفهمها حتَّى الآن، وهي أن
يجلس الطفلُ هادئاً كالملائكة المصبَّرة، فحتَّى الآن لا أفهمُ كلمة المصبَّرة .

❖ حدثنا عن البيئة المغلقة والخيال الشبابي .

- كثيراً ما أحبُّ أن استذكرُ تلك الفترة . لا أدري لماذا كان أفقي واسعاً .
منذ طفولتي الأولى، كنتُ أفكرُ بأفقٍ أكبر وأوسع من أفقٍ عيشي، ولا أدري
منشأً هذا . علماً أن البيئة التي تربيْتُ فيها لم تكن حديثة - وكذلك جوُّ المدرسة .
والمدرسة التي قضيتُ فيها السنة الأخيرة لم تكن كذلك .

❖ هل يمكن أن يكون البؤس مثلاً سبب أفقكم الواسع؟

- من الممكن جداً، فلقد انفتحتُ على القراءات الحديثة مبكراً .

❖ في تلك الفترة، هل كنتُ حالماً أم طموحاً؟

- الواقع أنني كنتُ حائراً، لا أعرفُ إلى أين أتجه . وفي قصيدةٍ مبكرةٍ لي
عمرها أكثر من خمسين سنة، قلتُ:

«ما أنا ما الحياةُ ما الروحُ عندي غيرُ سِرٍّ يبدو لَدَيَّ خفيّاً

أنا في حيرة أفكرُ في ذاتي كأنني أتيتُ أمراً قريباً»
القصيدة تُعبّرُ عن ذلك وتصور أيضاً جو البيئة، لا سيما أنها مناجاة لله تعالى:

«أنا ما لي وللمحيط فكم يجني
جنتُهُ والحياة تبسّم نحوي
وشعاع الآمال يبعثُ في رو
وشراع الأحلام يخفقُ في قلبي
أتهادى ما بين أحلامي البيضِ
فإذا بي أرى الحياة ظلاماً
والأمني تموتُ في قبضة الحز
وأراني أعيشُ في سجنه الدا

على فكرتي ويقسو علياً
والأمني تموجُ بين يدياً
حي شعاعاً من المنى عبقرياً
فيوحي لي الخيال السنيّاً
وأشدو مع الدجى والثريّاً
وصباح الأحلام ليلاً دجياً
ن.. وتذوي على لظى شفتياً
جي.. وحيداً بين الأنام شقيّاً»

❖ في سنّ السابعة، وصلت إلى المصير المحتوم أم أعددت الإعداد لشيءٍ آخر؟ أو خيار بديل؟

– لم أكن واعياً للخيار الآخر آنذاك، بل كان هذا الخيار هو الذي، ربما، يعيش الإنسان أحلامه فيه.

❖ الكبر ومعايشة الواقع ومعرفة الخيارات. هل هناك شعورٌ بالظلم في هذا الموضوع؟ وهل كان في الإمكان ترجمة مشاعركم وأحلامكم في طريقة مختلفة؟

– ربما كانت تخطرُ في بالي خواطر كهذه. عندما أجدُ أنّ الأفق الذي أعيشُ فيه لا يخلو من ضيقٍ، بينما الآفاق الأخرى آفاقٌ منفتحةٌ وواسعة. وربما كان تصوّري أنني قادرٌ على دخول الحياة من الباب الواسع، لكنني أتذكّر الآن أنني كنتُ متعلقاً بالإسلام في وقت مبكر، ولا أزال متعلقاً به. لا أدري لماذا، إذ لم تكن في بيئتنا حركة إسلامية في الطريقة التي نعرفُ فيها الحركات الإسلامية. كان المجتمع تقليدياً جداً، والتقاليد والأساليب القديمة كانت هي المسيطرة على المجتمع. لا أدري ما الذي كان يدفعني إلى الذهاب إلى إحدى المكتبات التي تباعُ الصحف المصرية لاشتري صحيفة «المصور» و«الرسالة». وحتى عندما بلغت سنّ الثانية عشرة أو الثالثة عشرة كنتُ أقرأ مجلات أكبر من سنّي كالـ «كاتب المصري» لطله حسين، و«الكتاب» لعادل الغضبان، ومجلة الثقافة. وفي ذلك الوقت، انفتحت

على أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وغيرهما. كنتُ أقرأ بالاستعارة أحياناً، وقرأتُ
ترجمات كثيرة مثل ترجمة لامارتين لأحمد حسن الزيات وترجمة أناتول فرانس.

❖ هل كان تداول كتب محافظة وروايات عاطفية مسموحاً به في تلك الفترة؟
- نعم كان، ذلك. لكن أذكرُ أنني كنتُ أقرأ المنفلوطي. قرأتُ «مجدولين»
و«النظرات» و«الفضيلة» و«العبرات» وكنا نبكي في طفولتنا عندما نصلُ إلى
المأساة في هذه الأفاصيص. كنّا نقرأ أيضاً الروايات البوليسية فأدمنّا شخصية
«أرسين لوبين» في وقت معين.

❖ سنّ السابعة وتغيير المدرسة، ماذا عنهما؟

- عندما دخلتُ «منتدى النشر» قُبلتُ في الصف الرابع، وبدأتُ في تلك
الفترة أتجهُ إلى الدراسة الدينية، فقرأتُ «الأجرومية» وهي أولُ كتاب في النحو.
يتم ذلك عادة في الحوزة حيث يدرس الطالبُ عند أستاذ معين. أما أنا فأذكرُ في
ذلك الوقت أنني كنتُ أدرسُ على الوالد.

❖ يعني، ضيق ذات اليد لم تكن له علاقة بتوجهك الإسلامي، ولكنه
أخرجك من المدرسة.

- نعم، ثم درست قطر الندي وكتب الصرف، وأذكرُ أنني لبست العمامة في
الثانية عشرة أو الثالثة عشرة. وقد كان متعارفاً أن يلبس الإنسان العمامة مبكراً،
كما كان الأطفال في سن الطفولة يلبسون العمامة كطلبة حتى في هذه السن. وأذكرُ
أن المرحوم عمي السيد محمد سعيد فضل الله، وهو من العلماء الكبار، كان قد
سبق والدي إلى النجف وتوفي هناك. وقد جاء بالتكاليف التي تمَّ شراء ملابس
الدينية من خلالها من أحد العلماء الكبار الذي كان يُرافقه.

❖ هل كان لديك إحساس أو شعور بلباس يفوق عمرك؟

- لم أشعر بذلك، لأن البيئة كانت قائمة على ذلك. وهذا اللباس في تلك
المرحلة كان مألوفاً. فكثر من الأطفال في هذه السن كانوا يلبسون هذا الزي.
ربما كنتُ أعيشُ الزهو في ذلك، تماماً كما يشعر الشاب أو الفتى بأنه صار رجلاً.

❖ أين دفن والدك ووالدتك، رحمهما الله؟

- توفي والدي هنا في لبنان ونُقِلَ جثمانه كي يُدفن في النجف حسب وصيته.

أما الوالدة فمدفونة عند السيِّدة زينب (ع) في الشام.

✽ متى رجع الوالد من النجف إلى لبنان؟

- سنة 1955، وأذكرُ أنني جئتُ إلى لبنان سنة 1952 مع والدتي، وكانت زيارتي الأولى له، وكان عمري حوالي 17 عاماً. في ذلك الوقت، كنتُ شاعراً جيداً.

ففي النجف، وحين بدأت الدراسة كان لي هذا التطلُّع الثقافي، بدأتُ أتطلَّع إلى العالم من حولي. من ذكرياتي أنني تابعتُ سنة 1947 القضية الفلسطينية ونظمت فيها قصيدة ما زلتُ أحفظُ منها بيتين:

دافعوا عن حقِّنا المغتَصَبِ في فلسطينَ بحدِّ القُضْبِ
واذكروا عهدَ صلاحٍ حينما هبَّ فيها طارداً الأجنبي

هذه قلتها سنة 1947 وكان عمري تقريباً اثني عشرَ عاماً. كما كنتُ في تلك السنِّ أعيشُ التطلُّعَ الصحافي، فأنشأتُ، مع ابن خالتي السيِّد مهدي الحكيم الذي قتلته المخابرات العراقية في السودان لأنَّه كان معارضاً شديداً للنظام، وهو ابن المرجع الكبير السيِّد محسن الحكيم، مجلةً خطَّية اسمها «الأدب». كنتُ أكتبُ فيها، وأذكرُ أننا استكتبنا فيها بعض أدباء النجف ومنهم عبد النبي الشريفي، ولا أدري كيف قبلَ المشاركة معنا، حين أصدرنا عدداً خاصاً بالإمام الحسين (ع). أذكرُ أننا كنَّا نوزعُ المجلةَ بأيدينا، وكان السيِّد مهدي يكتبُ الأعدادَ للمشتركين لأن خطَّه كان جميلاً. ومن ذكرياتنا أن «جمعيةَ منتدى النشر» كان لها نشاطٌ ثقافي كبير من خلال صحف الحائِط التي كان يحرِّرها البعض من طُلَّابها. في ذلك الوقت، نقلتُ إحدى صحف الحائِط كلمة الأديب عبد النبي الشريفي التي سبق لنا أن نشرناها في مجلَّتنا «الأدب»، ولم تذكر المصدر الذي نقلتُ الكلمة عنه، فاحتججنا عليها لأن ذلك يخالف أمانة النقل إذ كان من المفروض أن تذكر المصدر.

✽ في مرحلة النشأة والوعي والكبر في النجف، كيف كان الوضع السياسي بالنسبة إلى الشيعة أو إلى علماء الدِّين في الحوزة العلمية، وكيف كانت الحركة السياسية العامَّة؟

- في ذلك الوقت أي في الأربعينات والخمسينات، لم تكن للحوزة العلمية في النجف أي نشاطات سياسية، بالمستوى الذي تمخَّضت عنه الأحداث. فالوضع

السياسي آنذاك كان الوضع الملكي ممثلاً بنوري السعيد رئيس الوزراء المسيطر لأنه رجل الإنكليز في العراق - وكان يواجهه. عشنا في الفترة التي قُتل فيها الملك غازي ابن فيصل الأول، ثم عايشنا وصاية عبد الإله على الأمير فيصل الثاني وعلى العرش، حيث بدأت المعارضة ممثلة بالحزب الشيوعي الذي مارس عمله في سرية لأن الحكومة كانت تلاحقه. وكان إلى جانبه الحزب القومي العربي الذي لم يكن له أي دور لأنه كان ضعيفاً جداً. وإلى جانبهما كانت أحزاب محلية، كالحزب الوطني الديمقراطي الذي تزعمه كامل الشاذلي والذي تبنى صحيفة اسمها «الأهالي». مثل هو الحزب المعارض المطالب بالحرّيات. نشأ بعد ذلك حزب الاتحاد الدستوري (نوري السعيد) وحزب الأمة (صالح جبر) وأحزاب محلية أخرى... لكن الحركة البارزة في المعارضة كانت الحركة الشيوعية، التي كانت تسيّر التظاهرات بين وقت وآخر في النجف، فتواجهها الحكومة بعنف وأحياناً كثيرة بالرصاص والاعتقالات. أذكر، في هذا المجال، أحد علماء الدين في النجف وهو من العلماء الكبار والمفتحين حسب انفتاح ذلك العصر المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، فقد حضر المؤتمر الإسلامي في القدس، وكان أول عالم شيعي يؤم المسلمين في الصلاة في القدس حيث قدّمه الحاج أمين الحسيني، فألقى خطبة أشاد فيها بالمسألة الفلسطينية. كانت لهذا الشيخ صلة بالحكومة. ولهذا كان يمثل العلاقة والواسطة في فترات الضغط والاعتقال والحصار بين الحكومة والمعارضة. أذكر التقاليد التي كانت موجودة آنذاك في علاقة العلماء بالسلطة. فحين كان الملك يأتي إلى النجف (أيام الملك فيصل الأول وبعده)، أو حين كان يأتي الوصي على العرش كانت التقاليد تقضي بعدم زيارة العلماء لهما. لكن العلماء الذين كانوا مستعدين للقاء الملك أو الوصي، ومنهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء مثلاً، كانوا يجلسون في فناء الصحن العلوي، أو الرواق المحيط بمقام الإمام علي (ع)، ولا بدّ للملك أو الوصي من أن يتجول في المقام، فيلتقي العلماء الجالسين، ويجلس معهم على قاعدة المصادفة... وهذا ما شكّل البروتوكول أو التقليد بالنسبة إلى لقاء السلطة الحاكمة. ومن تقاليد الحوزة العلمية في النجف أن أي شخص تكون له أية صلة بالسلطة يخفّ «وزنه»، وربما يسقط.

❖ ماذا عن منزلة الشيخ كاشف الغطاء؟ هل خفّ «وزنه» بسبب علاقته مع السلطة مثلاً؟

- الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، كان يعتبر نفسه من المراجع، لكن

مرجعيتَه كانت ضعيفة جداً. كان الناس في ذلك الوقت يتوجهون إلى السيد محسن الحكيم، ولذلك حين كان الناس يأتونه في الأزمات كان يردّد شعراً:

وإذا تكونُ كريحه أَدعى لها وإذا يُحاسُ الحيس يُدعى جندبُ
هذا لعمركم الصّفار بعينه لا أمّ لي إن كان ذاك ولا أبُ

وقد سمعته بنفسه مرة يتمثّل بهذين البيتين في أثناء حضوري أحد مجالسه. علماً أنه كان جاراً لنا. كان أكثر العلماء انفتاحاً فقد كان يُتابع ويحضر المؤتمرات الإسلامية في مصر وباكستان، وكان أديباً ومفوهاً بحسب الأسلوب الخطابي العربي المعروف. وقد زار سوريا ولبنان. وتُنقل عنه طرفة حين ذهب إلى جباع. محاطاً بالشيخ أحمد عارف الزين، وسليمان ظاهر، والشيخ محمد رضا، وهم ثلاثي «مجلة العرفان»، إذ أصدوه إلى الجبل الذي يقف «صافي» في أعلاه، فعندما وصل إلى قمته وقد أخذ منه التعب مأخذه قال:

«السّلام عليك يا صافي ما أقلّ ثوابك وأكثر أتعابك». كان ظريفاً وخفيف الظّل، وصاحب نكتة حاضرة. كان في النجف أيضاً الشيخ عبد الكريم الزنجاني وهو رجلٌ متخصصٌ في الفلسفة، لكنّه كان يُنهم بأنّ له ارتباطاً بالإنكليز، من هنا فَقَدْ كُلُّ ثَقّة بالنجف. وقد جاء إلى سوريا ومصر، وعلى كل ما أثير حوله، احتفي به احتفاءً كبيراً. كان خطيباً يأخذ بالفلسفة ويتحدّث بها حتى إنّ طه حسين قبلَ يده وقال هذه أوّل يد أقبلها.

في هذا الجوّ كنّا نعيش. أما المرجعية الكبرى فقد كانت للعلماء الذين يتميّزون بالدرجة العالية من الفقه والتقوى ومن التقليدية في هذا المجال.

في تلك الفترة، أي أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات، بدأت أعني ما حولي ومن حولي. كنت أجالسهم وأحاورهم حسب ما امتلك من الثقافة والمعرفة، وما يمتلكون هم أيضاً من الثقافة والمعرفة. كنْتُ محاوراً منذُ البداية، ولم أكن أتعدّد ممن يختلفون معي في الفكر، ولا سيما الشيوعيين الذين كانوا يزوروني وأزورهم في بعض المدن العراقية آنذاك. كنْتُ ألتقي أيضاً بعض الديمقراطيين والقوميين. وقبل المجيء إلى لبنان كنْتُ أشارك في بعض الحفلات بقصائد. وأذكرُ مشاركتي سنة 1370هـ منذ 52 سنة، في رثاء أحد مراجع النجف وهو الشيخ محمد رضا آل ياسين بقصيدة نُشِرت في إحدى مجلات النجف، كما كنْتُ أشارك في بعض المناسبات الدينية.

❖ النجف مدينة دينية أم مدينة شاعرة؟

- لقد كانت النجف مدينة دينية بالإضافة إلى كونها مدينة شاعرة. فنحن نعرف أن شعراء العراق البارزين في فترة الثلاثينات والأربعينات والخمسينات كانوا شعراء النجف. وعندما نذكر محمد رضا الشبيبي والشيخ محمد جواد الشبيبي وعلي الشرقي والجواهري وغيرهم، نعرف أن أغلبهم كانوا نجفيين. وهناك شعراء الحوزة. الشعرُ قديمٌ في النجف، وقد أخذ العلماء بأسباب الشعر، ويذكر من شعراء النجف الكبار السيد محمد سعيد الحبوبى الذي أحب القصائد الخمرية، فوصف الخمرة بما لا يصفها شخص عاقرها. اذكر أن بعض الشعراء اللبنانيين الذين قرأوا شعر السيد الحبوبى قال: أنا لا أتصور أن هذا الرجل لم يشرب الخمرة علماً أنه كان من القديسين باعتبار أنه تلمذ في الخمرة على يد النواس وعمر الخيام وغيرهما.

في النجف كنا نتنفس الشعر، والشعراء يلقون قصائدهم في المناسبات الدينية ويتبارون، وكذلك في الأفراح والأعراس، لا سيما إذا كان أصحاب «العريس» من الشعراء، فيدوم العرس شهراً أو أكثر. وعندما يتوفى مرجع من المراجع كانت حفلات التأبين تستمر أربعين يوماً. وفي شهر رمضان حيث تُعطّل الدروس، كان الناس يسهرون ليلاً حتى ينقلب الليل إلى نهار، وفي وقت السحور كانت جلسات التتقى فيقرأ أحدهم القصيدة والمسابقة ويكون الامتحان اكتشاف القافية الأفضل، وأيضاً تقطيع الشعر حيث تُخلط كلمات البيت ليعاد ترتيبها. هذه كلها من مسائل الشعر في النجف. فمن عنده قابلية الشعر تصنعه النجف شاعراً...

❖ حدثنا عن دخول السياسة النجف والحوزة الدينية.

- من الطبيعي أن النجف عاشت السياسة مبكراً، لكن في خطوط أخرى. ففي بداية القرن الرابع عشر الهجري، كانت الصراعات السياسية محتدمة في إيران مثل «المشروطة والمستبدة». وكانت هذه المسائل تُثير عاصفة في النجف، إذ يتولى بعض العلماء «المشروطة» أي النظام الديمقراطي، ويتبنى آخرون الاستبداد بمعنى أن يحكم الملك ولكن مع مستشارين. كانت الأحداث في إيران تترك تأثيراتها على النجف من خلال طبيعة أكثرية الطلاب الذين كانوا فيها وهم بمعظمهم من الإيرانيين. كانت تصل القضية أحياناً إلى أن بعضهم كان يطلق الألفاظ التي تقارب التكفير ضد البعض الآخر. وكانت المرجعية في النجف أيضاً

تُمارسُ دوراً ضاعطاً على الاستعمار في إيران. وكلّنا نعرفُ فتوى المرجع السيّد محمد حسن الشيرازي، وهو من العلماء والمراجع الكبار، بتحريم التّبّاك، لأنّ الحكومة الإيرانيّة آنذاك أعطت امتياز استثمار التّبّاك في إيران إلى شركة. فحرّم التّبّاك وزراعته حتّى خسرت الشركة. وسنة 1920، دخلت النجف الصراع ضد الاستعمار البريطاني لمصلحة الأتراك، علماً أنّ الأتراك كانوا من السّنة الذين يضطهدون الشيعة آنذاك. لكن، مع ذلك، كانت الروح الإسلاميّة هي التي تتحرك من خلالها. فذهب العلماء، ومنهم السيّد محسن الحكيم والسيّد محمد سعيد الحبوبّي، إلى إصدار الفتاوى بالجهاد. وخرج العلماء والطلّاب من النجف لمحاربة الإنكليز. وحين يُذكرُ تاريخ العراق، يُذكرُ تاريخ ثورة العشرين حين انطلقت العشائر بفعل فتاوى العلماء في النجف. وقد تدخل علماء النجف أيضاً - ولا سيما العرب منهم - في مسألة استقدام الملك فيصل ليكون ملكاً على العراق. ودخل بعض المعمّمين من العلماء والفضلاء الحياة السياسيّة مثل السيّد محمد الصّدر الذي وصل إلى رئاسة الوزارة بعد سقوط صالح جبر، والشيخ علي الشّرقّي الذي شغل منصب وزير، والشيخ محمد رضا الشّبيبي وغيرهم.

بعدها، جاء الانقلاب العسكري الذي قام به عبد الكريم قاسم فدخلت الحوزة النجفيّة قلب السياسة.

✻ حدثنا عن المجيء إلى لبنان والدراسة فيه في تلك الفترة (سنّ 16 - 17).

- درستُ ما يسمّى بالمقدمات والسطوح وهي دراسة بالكتاب. فالمقدمات تعطي المنطق واللغة العربيّة من النحو والصّرف والمعاني والبيان، والسطوح تعطي كتب الأصول والفقه المعمّق. جنّت إلى لبنان بعد إكمالي معظم هذه الكتب، ويمكنني القول إنّني كنتُ بدرجة جيّدة في دراستي التي كانت على يد الوالد آنذاك. فهو معلّم الأوّل.

✻ كيف عرفت لبنان أو تعرّفت إليه؟

- كنتُ أقرأ المجلّات اللبنانيّة، وشعراء لبنان. تعرّفتُ إلى لبنان من خلالها. قرأتُ الأخطل الصغير (بشارة الخوري) وإلياس أبو شبكة وصلاح لبكي وأغلب شعرائه. قرأتُ «العرفان» التي كانت تصل إلى النجف وكانت تمثّل خصوصيّة لبنان من خلال الجنوب وشعره وأدبه. أذكرُ أنّني تأثّرت بلبنان من خلال تأثري بالأخطل الصغير، فهو من أوائل الشعراء اللبنانيين الذين تركوا أثراً في داخلي

ونفسي. لقد تابعتُ لبنان وأنا في النجف أي قرأتُ لبنان من خلال تراث شعرائه.

❖ هل كانت لديك فكرة عن أوضاع لبنان السياسية؟

- لم تكن لديّ فكرة عن الوضع السياسي في لبنان قبل مجيئي إليه. لكنني كنتُ أسمعُ عن أحمد الأسعد، أي عن الأسعدية والعسيرانية آنذاك. فلم أكن متعمقاً في ذلك، حتّى جئتُ إلى لبنان ودخلتُ من الباب الواسع.

جئتُ إليه سنة 1952 مع والدتي وأخي الأصغر، وأذكرُ أنني وصلت يوم دفن المرحوم السيّد محسن الأمين أحد العلماء الكبار الذي كان مقيماً في الشام، ونزلتُ في بيت المرحوم علي بزي خالي. كنتُ أعيشُ أجواءه في بيته لا سيما أنّه كان مقصد الناس فأستمعُ إليه. وقد كان، رحمه الله، وكما ينقلُ زهير عسيران في مذكراته، ينتظر لي مستقبلاً كبيراً لم أكن انتظره أو أتوقّعه أنا. كان يُحدّثني كما يُحدّثُ الكبار. أذكرُ أنني شاركتُ معه في أسبوع الأيام السبعة الذي أقيم للسيد محسن الأمين في قصص - الشارع العام - واستمعتُ إلى كلمات العلماء والأدباء آنذاك، كما شاركتُ في أربعين السيّد محسن الأمين. وأذكرُ زيارتي لحسين مروّة في مكتبه، وهناك تعرّفتُ إلى «فرات» ابن الجواهري، وشخصيات أخرى.

أثارت عمامتي سخرية البعض، عندما علم أنني سأنظم قصيدة تقليدية أذكر فيها المنازل والديار، فاعترضت قائلاً لهم: إنّ تصوّركم للنجف غير دقيق لأنّ النجف تمثّل انفتاحاً على العصر. وحين نظمتُ القصيدة وجئتُ بها إلى السيّد حسن الأمين المشرف على حفل أبيه، فتضايق بداية لأنّه لا يعرفني. لكنّه حين قرأ القصيدة تغيّرت نظرتّه، ألقيتها في حفل الأربعين، واشتملت على تأبين الراحل، وانفتاحه، وروحه الثورية ومواقفته للحركة السياسية في سوريا، وعلى الاستعمار الفرنسي، وعلى الوحدة الإسلامية، ومشاكل الشباب. وأذكر أن جريدة «النضال» كتبت يوماً: «ألقي السيّد محمد حسين فضل الله قصيدة أثارت مشاعر الجماهير». كان من الخطباء كامل مروّة ومصطفى السباعي المرشد العام للإخوان المسلمين في سوريا ولبنان، والسيّد محمد علي الحوماني. وكلّهم شاركوا في حفل الأربعين، لذلك أعتقدُ أنني دخلتُ لبنان من الباب الواسع.

❖ هل تطابقت صورة لبنان الواقعية مع صورتك الذهنية له؟ هل تطابق الخيال مع الواقع؟

- لا طبعاً. كانت الصورة أكبر وأكثر عمقاً وتعقيداً، لأنني دخلت من خلال هذه الروح الحوارية التي تتقبل الآخر، من الباب الواسع. فحتّى عندما ذهبتُ إلى بنت جبيل، كنتُ أعقدُ جلسات واسعة وكبيرة مع الشيوعيين والقوميين العرب، والبعث كان لا يزال جديداً. كنتُ ألتقيهم وأدخلُ في نقاش معهم. أذكرُ أن جلسات الحوار كانت عنيقة جداً. انفتحتُ على الواقع اللبناني، ونظمتُ القصائد الكثيرة في بعضها جانب سياسي، ونُشرتُ بمعظمها في «العرفان». أذكرُ، في أثناء نزولي إلى «مكتبة العرفان» و«مكتبة هاشم» وهي المكتبات التي كانت في شارع المعرض، أنني التقيتُ لبّيب الرّياشي وأكثر من أديب وشاعر.

❖ ردود الفعل على حسن المعاصرة ماذا كانت في الحوزة النجفية؟

- لم تتح لي الفرص أن أدخل النجف من الباب الواسع، لذلك لم يكن لي ذلك التأثير في سن الـ 16 و 17. لكن التأثير الكبير لي كان متأخراً وتقريباً سنة 1958. لكنني فكّرتُ أن أرجع إلى لبنان، لا أن أقيم دائماً في الخارج.

❖ ماذا عن قراءة جبران ومعرفة الواقع الديني من خلال مطالعته؟

- كانت معرفة الواقع الديني من خلال مطالعة أدب جبران متأخرة، أي عندما كثرت زياراتي للبنان. فهذا النوع من الوعي الديني النقدي كان متأخراً. في الزيارة الأولى، بقيتُ في لبنان حوالي أربعة أشهر، ثمّ عدتُ إلى النجف وتابعتُ دراستي. وعندما جاء المرحوم الوالد إلى لبنان جيئْتُ معه، وبقيتُ مدة سنة تقريباً. كانت لي ذكريات إنسانية مع حسين مروّة، الذي قرأتُ مذكراته وحوارته...

ثمّ حاولتُ إتقان لغة أجنبية لكن لم تنهياً لي الظروف، ومع انزعاجي من هذا الأمر فإنّني أحاول التعويض بالترجمات...

❖ هل كان في الجوّ السياسي والديني في النجف حتى سنة 1952 مذهبية ما؟

- لا، لم تكن المذهبية طاغية. من الطبيعي أنّ الشيعة كانوا يشعرون بالغبن. لكن القضية لم تكن بارزة بمستوى أن هناك حركة طائفية. إحساس الغبن إحساسٌ واعي حقيقة، لكنّه لم يتحوّل حركة سياسية ولا تياراً سياسياً وقتها. ولعلّ المسألة كانت وقتها استعماراً بريطانياً، فحتى خلفية الحكم الملكي كانت تُعتبر خلفية الاستعمار

البريطاني. وأذكر لشاعر بيتاً حول هذه المسألة في مخاطبته أحد الوزراء:
المستشار هو الذي شرب الظلّي فعلامَ يا هذا الوزيرُ تُعربِدُ
والمستشار هو الإنكليزي... .

❖ هل رغبت في الزواج في سن 17؟ وما هي التجارب التي عشتها قبل الزواج؟

- كنتُ أشعرُ بالرغبة في الزواج، ولم تكن هناك أي تجارب سابقة لي. لقد عشنا في مجتمع محافظ ومغلق في النجف، لا نستطيع تحقيق ما تصبو إليه. لكن، حين جئتُ إلى لبنان كان المجتمع مفتوحاً. ومع ذلك، فإن الزيّ للإنسان وموقعه يمنعانه من التجارب المباشرة. قد تأتي بعض الصور والأخيلة للإنسان لكنّها من المألوف والطبيعي. وفي سن الـ 17 لم يعرض أحد عليّ الزواج، لكن هذا الأمر حصل بعد ذلك كثيراً...

الجلسة الثانية

✻ الزواج والنشأة والأولاد:

تزوجت سنة 1955، سافر والدي إلى النجف في العراق وكنتُ أترددُ بين وقت وآخر على لبنان، كما كنت أزوره معه. في أثناء إحدى الزيارات، تزوجت. كان زوجي على الطريقة التقليدية، حتى إنَّ العائلة التي تزوجت منها عائلة محافظة. ولم يكن مألوفاً في الأجواء المحافظة أن يرى الواحد زوجته، ولذلك كانت المسألة على الطريقة التقليدية، وكانت العائلة علمية علمانية، والأهل هم الذين يرون ويصفون ويشاهدون، وهكذا كان. تزوجت في لبنان، ثمَّ انتقلتُ إلى النجف.

أما أولادي، فأكثرهم وُلِدَ في النجف وبعضهم في لبنان، أي في أثناء مجيء العائلة في بعض الحالات. وبعد انتقالي إلى النبعة، الضاحية الشمالية لببيروت، وُلِدَ الآخرون.

لدي الآن أحد عشر ولداً، وكانوا اثني عشر، لكن واحداً منهم توفي. وهم سبعة ذكور وأربع إناث.

✻ طريقة تربية الأبناء:

لقد تركتُ لهم الحرية في ذلك، فابني الكبير اتخذ توجُّهاً دينياً، ودخل كلية الحقوق ولم يكمل الدراسة فيها نتيجة بعض الظروف. والثاني ذهب إلى أميركا وتخصَّص في الهندسة الكهربائية، وحين طُرح اسمي في وقت ما ضابطته المخابرات الأميركية فعاد إلى لبنان. بعدها أكمل دراسته، واشتغل في العمل العام ضمن مؤسساتنا التجارية (للعمل)، وهو يُشرفُ عليها ولا يزال. والثالث يخوض غمار الأعمال العامة التجارية. والرابع انتسب إلى الجامعة الأميركية كي

يتخصص في الطب، لكن ببركة (الجنرال) عون أصابته شظايا قذيفة في رأسه فلم يتمكن من متابعة دراسته. وهو يُشرف الآن على صفحة الإنترنت وانتسب إلى كلية الإعلام. والخامس تخصص في العلوم الاجتماعية ويسعى إلى نيل شهادة الماجستير، وقد تخصص أيضاً في العلوم الدينية وهو في مرتبة متقدمة. والولدان الباقيان في كلية الأعمال، أحدهما تخرج السنة، والآخر يتخرج السنة المقبلة. أنا لم أفرض على أحد شيئاً، أما البنات فلم يكملن الدراسة بسبب الوضع الذي كنّا نعيشه، وكلهن متزوجات.

❖ بعد زيارة لبنان غدت إلى النجف، ماذا تغير عليك بعد عودتك؟

- من الطبيعي أن آفاقي توسعت أكثر وشعرتُ بمسؤولية أكبر لأنني كنتُ أفهم الآفاق المعاصرة من خلال ما أقرأ. لكنني عشت التحدي، في شكل صارخ في الساحة، لأنني، كما ذكرت لك سابقاً، كنتُ أعقد في أول سفرة (زيارة) لي إلى لبنان جلسات مع مختلف التيارات مثل الشيوعية والقومية العربية (وحدة تحرر ثار) في ذلك الوقت، والبعث العربي، كما كنتُ ألتقي أمثال حسين مروة ومحمد شرارة وعبد اللطيف شرارة. كنت مفتحة على كل الجوّ، وخصوصاً أنني في بيروت كنت أنزل في بيت المرحوم خالي علي بزّي والنقي الناس هناك. ومن خلال علاقتي بخالي كانت لي علاقة بكاظم الصلح الذي كان سفيراً في بغداد آنذاك وزهير عسيران ومحمد صفي الدين...

أما علاقتي مع العلماء اللبنانيين في النجف فقد تمثلت من خلال العلاقة مع الشخص الذي كان بارزاً آنذاك وهو الشيخ محمد مهدي شمس الدين. وقد برز كإنسان يتوهج ويفتح ويعيش نوعاً من أنواع الحركة. كنا زميلين، حتى إننا انتخبنا وفي وقت مبكر عضوين في مؤسسة تابعة لـ «جمعية منتدى النشر»، وهي جمعية ثقافية دينية إصلاحية، والمجمع الثقافي للجمعية. أذكرُ أنه كانت تُعرض حينها مشكلة الأدب النجفي، ويومها كتبت بحثاً، كما كتب الشيخ محمد مهدي بحثاً آخر، ونُشر الاثنان في مجلة «العرفان» آنذاك. لم يكن هناك بين اللبنانيين من يتحرك بهذا الانفتاح.

❖ العلاقة مع الشيخ شمس الدين؟

- امتدت علاقتي مع الشيخ شمس الدين، وكان يكبرني بسنتين، في النجف واستمرت بعد عودتي من العراق، ورجعتُ إلى النجف في زيارة وحيدة قبل

عودتي إلى لبنان واستقراري فيه... وكان عدد من المؤمنين في «تل الزعتر» يطلبون مجيء الشيخ محمد مهدي إلى لبنان. كنت يومها في النبعة. وسألني، رحمه الله، حينها: «ما هو رأيك في عودتي إلى لبنان؟» وكنت قد حضرت قبله، أجبته: «أنا أرجح ذهابك إلى لبنان». قال: «أنا لي موقعي في العراق». وكان وكيلاً عن المرجع السيد محسن الحكيم في بلد اسمها الديوانية وهي مركز محافظة، وقام بنشاط هناك. كان للسيد محسن الحكيم مشروع مكتبات للمطالعة هناك وفي سائر أنحاء العراق. وأسّس الشيخ محمد مهدي مكتبة جيدة. لا شك في أنه كانت له ثقافته. فردّ: «أنا في الديوانية». قلتُ له: «صحيح. أنت هناك عنوانك وكيل السيد محسن الحكيم وفي هذه الدائرة، لكن لبنان هو العالم، ومنه تنطلق. إنه بلد الانفتاح ونافذة الشرق على الغرب ونافذة العالم الإسلامي العربي، ولذا أنا أرجح ذهابك».

حين حضر إلى لبنان دعمته كثيراً، وكنتُ أطلبُ من المؤمنين الملتفين حولي في النبعة أن يذهبوا إلى هناك ويحضروا دروسه، ويصلوا وراءه. وكنتُ أدعوه إلى المحاضرة في مركز حسينية النبعة، حسينية الأخي. صداقتي معه كانت عميقة جداً وامتدت إلى وقتٍ طويل حتى دخل الناس...

❖ من هم هؤلاء الناس؟! وكيف دخلوا؟

- كنا نتشاور ونلتقي. وكنتُ أزوره غالباً. حتى إنه في وقتٍ من الأوقات اجتمع عنده، إضافة إليه، وإليّ، الشيخ عبد الأمير قبلان ونبیه بري والنائب حسين الحسيني. قيل وقتها: إنه مؤتمر شيعي. أما العقدة التي حصلت فانطلقت من أن الشيخ شمس الدين كان يفكر في أن يكون إمام جماعة ويُصلي في مسجد برج البراجنة. والمسجد وقتها كان في طور تجديد بنائه، وتحت سلطة «حزب الله» وبالتالي تحت إشراف الإيرانيين. والشيخ كان يفكر في أن يكون ذاك المسجد موقعاً للمقاومة المدنية الشاملة التي بدأ يؤسسها حين طرح فكرتها في الكلية العاملة في عاشوراء. إذ التف حوله الشباب، فأراد أن يجعل منهم حركة، ولا أقول أن ينشئ حزباً، وأن يفتش لهم عن موقع. حينذاك كانت المساجد هي مواقع الحركات الإسلامية الشيعية على الأقل. وكانت، على ما يبدو، علاقة الإيرانيين ومن خلاهم «حزب الله» مع الشيخ شمس الدين متوترة، لأن الخط السياسي للثنتين مختلف عن الآخر. ولذلك عملوا على تعقيد المسألة. وقد أبلغ الشيخ آنذاك رئيس بلدية

البرج أنه ينوي المجيء للصلاة. فاعتبر طلبه جسراً للعبور إلى هذا الموضوع، لأنه كان يمتلك موقعاً للصلاة في مسجد الصفاء التابع للعالمية. دفع ذلك الجهات المذكورة أعلاه إلى تعقيد الموقف. وأنا لم يكن لي دورٌ في ذلك. صحيح أنه كان لي أناس محبّون، لكن لم أَدْخُل. وعلى العكس كنت أدعو الشيخ شمس الدين إلى أن يكون له مسجد وأن يُصَلِّي ويعيش مع الناس. حتى الشخص الذي كان يُصَلِّي في مسجد البرج كان رئيس المجلس الشرعي عندنا. وقد استدعيته وقلتُ له: إذا جاء الشيخ شمس الدين للصلاة عندكم، فعليك أن تتنحّى. لكن يبدو أن الناس الذين يصطادون في الماء العكر نقلوا إلى سماحة الشيخ أنني كنتُ وراء منعه من الصلاة في هذا المسجد، فاتخذ موقفاً، على رغم أنني أرسلتُ له مع أخيه يومها الشيخ محمد جعفر شمس الدين ومع صهره السيّد علي الأمين أن القضية ليست متصلة بي أبداً، لكن بالإيرانيين الذين لا يريدون ذلك. فهم الذين دفعوا لبناء المسجد وهم المشرفون عليه. لكنّه لم يقنّع بذلك، ودخلت بعض الأجهزة المخابراتية اللبنانية على الخط. وربما كان بعضها ينتمي إلى الطائفة الشيعية. وكنتُ أشعر بأنها تعمل لإيجاد مشكلة داخل الطائفة الشيعية ولتمزيقها. وطبعاً، يومها بدأ التمزق من خلال «حركة أمل» و«حزب الله»، ولذلك اتخذ الشيخ موقفاً.

❁ هل من أسباب موقفه أنه يحسبكم على إيران وعلى «حزب الله»؟

- ربما تأتي على ذكر هذا الموضوع. لكن المسألة هي أن هناك أشخاصاً من المخابرات اللبنانية يثق بهم، ويعتقد بإخلاصهم للطائفة دخلوا على الخط. وكنتُ أحسّ، ولم أمتلك المعلومات، بأنّ هناك لعبة من الداخل تريد تفريق رجالات الشيعة، وكنتُ ألحظها كلما ازداد التعقيد مع أننا كنّا منفتحين تمام الانفتاح. ومن الطبيعي صارت الفجوة، وتدخل كثير من العلماء وقاضي قضاء بعلبك وقتها الشيخ حسين الخطيب، رحمه الله، وكان رئيس المحكمة الشرعية، وأصدقاء عراقيون ومنهم د. محمد بحر العلوم وهو صديق مشترك ومقيم في لندن، والمرحوم السيّد مصطفى جمال الدين، وبعض العلماء العراقيين في الشام وهم أصدقاء مشتركون. فقلتُ لهم: «أنا لا مشكلة لي أبداً مع الشيخ وهذه ورقة بيضاء أنا مستعد للتوقيع عليها. فليست عندي أية مشكلة ولا بنسبة واحد في المئة». طبعاً ذهبوا إلى الشيخ فلم يوافق على اللقاء، ولذا صرّحوا أن المشكلة ليست من فلان وإنما من فلان حقيقة.

إلا أن ضغطاً حصل من خلال اللبنانيين، وكانوا بالآلاف، ثم جاء وفد كبير فقلتُ له: «أنا لا مانع عندي للقاء معه». اجتمعنا عنده، أنا ذهبت إلى هناك. اجتمعنا منفردين، وكانت قد بدأت المشاكل بين «أمل» و«حزب الله»... فتحدثنا في هذا الموضوع، قال لي: «أنت «حزبُ الله»»، قلتُ له: «أنا لستُ «حزبُ الله»، وإذا كنتُ تريدُ أن تأخذ من خلال تأييدي بعض مواقفه حجةً للقول إنني جزء منه فأنا أستطيع أن أقول: إذا أنت «حركة أمل». أنا ما كنتُ أتهمه أنه «حركة أمل». لكنني قلتُ له: «إذا كنتُ «حزبُ الله» على أساس تأييده في موقف معين، فأنت «حركة أمل». وأنا لستُ قيادة «حزب الله»، فقيادته هي الإمام الخميني و«حزب الله» لا يأخذُ مني أي فتوى وأي حكم، وهم يصرحون أن قيادتهم الإمام الخميني. أنا لست مرجع «حزب الله» لا في حربه ولا في سلمه. فإذا كنتُ تعتبر أنني أؤيده في بعض المواقف لأنه يلتقي في الخط السياسي مع ما أؤمن به، فأنت إذا «حركة أمل». وقتها خرجنا من الاجتماع وبقي الموقف معقداً. أدليت وقتها ببعض التصريحات التصالحية التي نشرتها الصحف، لكن الرجل اشتدَّ بشكل عنيف. وطبعاً انعكس موقفه من «حزب الله» موقفاً ضدِّي، ثم أخذ يتهمني مع الشيخ قبلان و«حركة أمل» كلها أنني وراء القتال الشيعي، باعتبار أنني المرشد الروحي لـ «حزب الله»، وأنتي ولغتُ في دماء الشيعة. لاحظتُ في تلك الفترة، كما غيري، كيف كانت «الحركة» ومشايخها والقريبون من الشيخ شمس الدين يُهاجموني. والوثائق تشهد على خطاباتي كلها، إذ كانت دعوة للتصالح ووقف القتال، حتى تصريحِي أنني لستُ مرجع «حزب الله». ومما أذكره في تلك الفترة أننا ذهبنا إلى إيران لمناسبة من المناسبات. فأراد الإيرانيون أن يُوجدوا مؤتمراً للشخصيات الشيعية. كان نبيه بري موجوداً وكنت مع الشيخ شمس الدين ومن «حزب الله» كان السيّد عباس الموسوي. سعى الإيرانيون إلى مؤتمر معين. وقد طلبوا في وزارة الخارجية وسفيرهم في سوريا الشيخ أختري مني أن أحضر واجتمع بنبيه بري والشيخ شمس الدين. فما تحفظت على اللقاء مع الشيخ شمس الدين، لكنني تحفظتُ على اللقاء مع نبيه بري وشرحتُ السبب. وكان: «أنا لست مستعداً أن ألتقيه إلا بعد أن يزورني في «فندق الاستقلال» ويعتذر مني لأن «أمل» حاربتني حرباً لا هوادة فيها، وقصفت بيتي بواسطة اللواء السادس، وحاولت من خلال عناصرها دخوله واعتقاله لولا بعض الموانع التي واجهتهم، والناس الذين واجهوهم آنذاك. وأنتم تعرفون كإيرانيين أنني لستُ مرجع «حزب

الله». أنتم مرجع «حزب الله» وأنتم المشرفون عليه، وليس أنا». لم أكن أعرف من «حزب الله» قراراته بل من الناس. ولست شريكاً في أي قرار من قراراته. والإعلام الغربي حين يقول إنني المرشد الروحي لـ «حزب الله» فذلك إعلان غربي وليس إعلاناً مني. وعلى هذا الأساس، هناك ظلامه كبيرة بالنسبة إليّ. فأن تُشوّه صورتي وأتّهم أنني دخلت في الدم الشيعي، وأنني أفتيت لـ «حزب الله»، وأنتم تعرفون وشهود وخصوصاً - أنت - كما قلت للشيخ أخنري، أنني لست رئيس «حزب الله». أنتم رؤساء «حزب الله». ولذلك جاء إليّ بعض الشخصيات في وزارة الخارجية وبقيت على رأيي ولم اجتمع في ذلك الوقت مع أحد... طبعاً بقي الشيخ يومها على موقفه، وقد اجتمع به بعض المشايخ اللبنانيين وحاوروه وأثبتوا له أنني لست كما يظنّ.

في آخر حياته، وبعد خروجي من المستشفى، شنّ الشيخ شمس الدين عليّ هجوماً صعباً. أذكر يومها أن السيّد حسن نصر الله التقاه وقال له: «لماذا تتهم فلاناً (أي السيّد فضل الله)؟ وتعيد قضية خطف الرهائن؟ ما دخل «السيّد» في موضوع الرهائن؟ وما علاقته بالخلاف بيننا وبين «أمل»؟ فأجابه الشيخ: «عجيب، لقد كان في رأيي وحسب علمي أن «السيّد» هو أساس كل ذلك». فقال له: لا. أنا أقول لك، وأنا رئيس «حزب الله»، السيّد فضل الله لا دخل له في خطف الرهائن، ولا في موضوع الصراع بين «أمل» و«حزب الله»، وهذا ما حدّثني به السيّد حسن نفسه. وبقي الشيخ شمس الدين، رحمه الله، على موقفه. والمسألة بقيت حينها في هذا الاتجاه.

❖ خلافاً مع الشيخ شمس الدين بدا إما فقهيّاً وإما سياسيّاً. فأنت راند الإسلام الحركي وهو راح في اتجاه آخر؟

- الواقع أن الشيخ شمس الدين كان، ومنذ البداية، حركياً. فهو عاش في أجواء «حزب الدعوة» عندما كان في النجف وحتى بعد مجيئه إلى لبنان. لا أقول إنه كان جزءاً منه، كما أنا لم أكن جزءاً منه، لكننا عشنا أجواء «حزب الدعوة» لأنّ هذا فكرنا. كان فكر الشيخ شمس الدين حركياً، وبقي أعضاء كثيرون في «حزب الدعوة» يترددون عليه، وكان يتحدث معهم بعنوان أنه أبوهم. لذلك لم تكن المسألة أنا حركيّ إسلاميّ وهو ليس كذلك. فالخط الذي تحرّك فيه وتمثّل في أفكاره كان متأخراً، حتّى إنّه كان متأخراً عن التعقيدات التي حدثت. في

تصوري، إنَّ المسألة ليست سياسية ولا فكرية، لأنه عند دراستنا للمسألة نجد أنه يلتقي، كما التقى أخيراً، أشخاصاً يختلف معهم سياسياً. فإذا كانت المسألة، بالنسبة إليّ، أنني المرشد الروحي لـ «حزب الله» فعلاقتي مع «حزب الله» كانت من أفضل ما يكون في المدة الأخيرة. وإذا كانت مسألة الخط، فعلاقته مع إيران كانت علاقة جيدة رغم اختلافه معهم في الرأي. إذاً، معنى ذلك أن الاختلاف هو في الرأي وليس في القضية... ثم إنَّ علاقته مع الأحزاب الأخرى علاقة جيدة. وبالنسبة إلى الأنظمة العربية فهي ماذا تمثل حتى بالنسبة إلى الخط السياسي الذي ينتهجه في هذا المجال؟ فالرجل كان عنده اجتهاد سياسي، ولا إشكال، لكن لم تكن القضية قضية اختلاف الخط السياسي، خصوصاً أنني التقى معه في الكثير من الخطوط السياسية. يعني أننا كلينا نؤمن بالحوار الإسلامي - المسيحي، والحوار الإسلامي - الإسلامي، والحوار العلماني - الإسلامي. وهذا لستُ جديداً فيه. كما أننا التقينا على أنه لا يمكن طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان! حتى في التجديد والإصلاح الديني، التقينا على أغلب الأفكار. وإذا كنتُ متطرفاً في بعضها فهو متطرف أكثر مني في ذلك.

لذا لا أستطيع تفسير الخلاف بتفسير نهج مختلف أو اختلاف الخط السياسي، لأنه إذا كان يتهمني بما يؤكده العلماء الحزبيون أو المرجعية الحزبية، وبأنني حزبي، فقد كنتُ أصرّحُ مراراً أنني لا أنتمي إلى أي حزب في الوقت الذي أنفتح فيه على كل الأحزاب الإسلامية. وقد قلت مرة إنني مع كل الأحزاب الإسلامية ولست جزءاً منها، فأنا موكلٌ بالإسلام أتبعه. صرّحت بذلك مراراً، ولم أتحرك في أيّ واقع حزبي لتأييد حزب ضد آخر. وقد رافقتني أنت طوال هذه المدة، فهل سمعت مني تأييداً لحزب معين؟ حتى «حزب الله»، فقد كنتُ أؤيد بعض خطوطه في المقاومة وكذلك إيران، وكنتُ أختلفُ معهما.

كان هناك إلحاح على أنني حزبيّ أو ما شابه، في وقت كنت أرفض هذا الكلام. وليس هناك أي موقف في الواقع يؤيد ذلك. نعم، لي صداقات مع «حزب الله» و«حزب الدعوة»، ولي صداقات حتى مع الشيخ راشد الغنوشي (إخوان مسلمون في تونس) الذي صرّح لي أن كتبي يراها محافظوه من دون تحفظ، لأنني أكتب إسلامياً.

فالقضية تتعدّى ذلك.

❖ نشأت قيادة حزبية صار لها وزنها على الساحة السياسية الداخلية وخارجها... ونشأ ما عُرف بتيار «السيد» فضل الله. وبدأ خلاف بينهما تحول صراعاً. فهل كان الصراع نتيجة تنافس شخصي، وإحساس بنفوذ سياسي داخلي على الطائفة الشيعية، أم نتيجة عامل سياسي كبير (إيران، الإسلام الحركي، الجهات العربية...).

- لا أملك المعلومات التي تؤكد مثل هذا الاحتمال، لكنني أتصور أن تلك الجهات قد تكون استغلت هذه الفجوة لتنفذ بأساليبها الخاصة إلى سماحة الشيخ شمس الدين في موقفه مني، بحيث رأى المسألة منسجمة مع ما يعتقد به أو ما يتهمني به. في تصوري، إنَّ هناك جانباً شخصياً عميقاً جداً من خلال الامتداد الإعلامي العالمي الذي فرض عليّ، سواء أكان نعمة أم نقمة، من خلال الاتهامات الموجهة إليّ وتحميلي مسؤولية الخطف والإرهاب وبعض التفجيرات... مما جعل هذا الاسم يُتداول في العالم. وأعتقد أن الطامة الكبرى والمشكلة التي حركت كل ذلك هي «المرجعية» لأنه كان لا يُطبق الأقل منها فكيف بالنسبة إليها. لذلك كان يتحدث أنه ليس لدي علم وفقه وبالصوت العالي، وفي المدة الأخيرة اعتبرني مرتدّاً شيعياً.

❖ هل طرح الشيخ شمس الدين نفسه يوماً مرجعية، وهل كان يملك هذا الطموح؟

- لم تكن لديه الآليات الميدانية نحو هذا الاتجاه، لأنه ليس من السهل أن يكون الإنسان مرجعاً في الطائفة الشيعية، ويكون مسؤولاً في مؤسسة شبه رسمية. لا أقول إنَّ هناك تناقضاً بين الموقعين، لكن هذه هي ذهنية الساحة الشيعية، التي ورثت في كل تاريخها بعض الصفات التي لا بدّ للمرجع من أن يتصف بها، كالنكهة الروحانية في العالم الشعبي، سواء في عالم الصلاة أو غيرها... والبعد عن المواقع الرسمية أو شبهها...

لذلك فإن الشيخ، رحمه الله، كان يجد من نفسه إمكانية فقهية ليكون مرجعاً. حتى إنّه بدأ يخطّط في نهاية حياته للاستعداد لذلك بإصدار ما يُسمّى بالرسالة العملية، وهي مجموعة الفتاوى، وإجابته عن الفتاوى، وتصريحه أنا أفتي بكذا وكذا... لكنّه لم يستطع بفعل ظروف وتعقيدات عدة، أن يصل إلى هذا الموقع.

ولعل ما أثقله وزاد حساسيته صلاة الجمعة. فقد كان، رحمه الله، يفكر في

أن يصلي صلاة الجمعة في المسجد الكبير الذي أسسه بسعي بعض الشخصيات الكويتية، وكان يخطط لذلك. من هنا، لم يشعر بالارتياح عندما سمع بصلاة الجمعة التي أقيمتها والتي كتبت عنها جريدة «السفير» آنذاك تحت عنوان: مشهد من مشاهد الأقصى نتيجة الجماهير المصلية. يومها كان الشيخ في الكويت وقرأ الخبر في الصحيفة مما جعله في حالة صعبة، وبدأ يتحدث عن حرمة إقامة صلاة الجمعة، وأثار من حوله نيته بإقامة صلاة جمعة ثانية. وعندما اندفع بعض الجهات لمحاربتني في بعض الفتاوى وبعض الآراء التي قد تمس العاطفة الشيعية (أو الموروث الشيعي)، بادر إلى تقوية هذه الجهات حتى على خلاف رأيه، لأنني أعلم أنه كان يلتقي مع آرائني في أكثر هذه الأمور، ووقف معها وشجعها حتى التي تعيش منها الذهنية المتخلفة.

❖ هل كَوْن الشيخ شمس الدين صورة عن اجتهادك، مولانا، من خلال عيشه معك ومعرفته باجتهادك؟
- يقيناً، لقد كان يعرفني جيداً، ويعرف المستوى العلمي الذي أحمله.

❖ هل كنت تلمس أن لدى الشيخ القدرة العلمية والفقهية للمرجعية؟
- في نظري، ليس له ذلك. لم يكن في هذا المستوى. كان يمتلك ثقافة فقهية جيدة، لكنني لا أتصور أنه يمتلك موقع المرجعية. فممارساته في التدريس الفقهي كانت أقل بكثير من ممارساتي. إذ منذ مجيئي من النجف، وحتى وأنا في النجف، كنت أستاذاً للدروس العالية، وما يُسمّى بمرحلة السطوح، ولم يكن الشيخ يمارس التدريس في هذا الشكل. كما إنني عند مجيئي إلى لبنان، فتحت مدرسة فقهية باسم «المعهد الشرعي الإسلامي» في النبعة. وكنت ولا أزال أدرّس الدروس العالية وهي دروس الاجتهاد والمسماة البحث الخارج. وقد حاول سماحته ممارسة بعض الدروس في هذا المستوى لكنها كانت متقطعة... وأنا لا أنكر ثقافته الفقهية، لكنني أعتقد أن الممارسة التي مارستها في التدريس وفي الاستفتاء والإفتاء كانت أكثر عمقاً وأكثر امتداداً من ممارسته.

❖ في هذا الصراع من استخدم من؟ هل استخدمت «أمل» الشيخ شمس الدين أو العكس؟

- أنا لا أتحدث عن استعمال أحدهما للآخر. لكنني أتصور أن هناك توافقاً في

الذهنية، على الأقل في المستوى السياسي، وفي بعض التعقيدات التي التقيا فيها. إذ أنني كنتُ أصوّرُ من خلال الإعلام أنني محسوب على «حزب الله». لذلك، فإن أي موقف منه لا بدّ من أن ينعكس سلباً عليّ، إضافة إلى بعض التعقيدات.

❖ ماذا عن بيانات «أمل» وعن رأي بري الذي طالما هاجم سماحة السيّد فضل الله؟

- لقد سمعت في ذلك الوقت كلاماً نقله أحد الموقدين الأمنيين الجزائريين، ولا أدري إذا كان حديثاً أميناً أو حديثاً صحيحاً، جوهره أنه حين قيل للرئيس بري: «لماذا لا تكفّ «أمل» عن مهاجمة فلان»... قال «إن «حزب الله» يُهاجمني في جريدة «العهد»، ولذلك فإنّنا نهاجم السيّد فضل الله. هما هاجماني، وإذا امتنعا عن مهاجمتي أمتنع عن مهاجمة السيّد».

❖ العلاقة بالمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وبداية العلاقة مع السيّد موسى الصدر؟

- بدأت علاقتي بالسيّد موسى الصدر عندما قدّم إلى النجف، وقد كانت لي علاقة متينة بآل الصدر، وفي مقدّمهم عالمان كبيران السيّد إسماعيل الصدر وهو الأخ الأكبر للسيّد محمد باقر الصدر، والسيّد محمد باقر الصدر. لهذا، حين جاء السيّد موسى الصدر إلى النجف، بعد وفاة والده الذي كان من المرجعيّات الشيعية الدينية في قمّ وهو السيّد صدر الدين الصدر، التقيته فيها. زارني مع السيّد إسماعيل الصدر في غرفتي في إحدى المدارس في النجف، وطلب مني المشاركة في تأبين والده لمناسبة مرور سنة على وفاته فاستجبت. كان السيّد موسى لا يزال طالباً متقدماً من طلاب حوزة قمّ وكان جديد عهد في النجف. شاركت يوماً بقصيدة ألقيت في الحفل التأبيني. ثم تعمّقت الصلة فكنّا نشارك معاً في حضور مدرسة المرحوم السيّد الخوئي، وولتقي في المناسبات الاجتماعية العامة. كان يحمل لي تقديراً كبيراً، لم أعرفه منه، على رغم ما كان يُظهره لي من تقدير. لكن من بعض الناس من بلدنا، بنت جبيل، ممن زاروا السيّد عبد الحسين شرف الدين في صور الذي كان السيّد موسى قام بزيارة خاصة له عندما قدم إلى لبنان باعتبار العلاقة النسبية بينهما. قالوا: «حين التقى السيّد عبد الحسين شرف الدين أهالي بنت جبيل قال لهم إنّ ابن عمي السيّد موسى الصدر حدّثني عن السيّد محمد حسين فضل الله. وحين سألتُه مَنْ أفضل العالميين في النجف أشار إليه». وأذكر أنه، أي السيّد

موسى الصدر، استغرب نيتي المجيء إلى لبنان للإقامة في منطقة النبعة، واستنكر على مَنْ ذَكَرَ له ذلك، وقال: «إن موقع السيّد فضل الله ليس في هذه المنطقة الشعبية العادية».

كنت ألتقيه دائماً مدّة إقامته في النجف وهي أربع سنوات. بعدها جاء إلى لبنان في زيارة عادية ورجع بعدها إلى النجف مودّعاً. استطاع السيّد موسى بشخصيته الجذابة وفي وقت قصير أن يجتذب كلّ الناس إليه في النجف، وكذلك لعائلته التي هي محل تقدير في إيران والعراق ولها مكانتها فيهما.

وحين سُئِلَ في النجف عن لبنان تحدّث عن التنوع الطائفي فيه، وذكر أن كل طائفة تتطلع إلى رمز من رموزها ليؤكد موقعها من خلال ثقافته، وكأنه كان يُفكّر في أن يكون هو ذاك الرجل بالنسبة إلى الشيعة.

بعد مجيئنا إلى لبنان، استمرت العلاقة على نحو جيّد جداً. فكُنّا نتزاور. وأذكر قبل مجيئي إلى لبنان، وفي الوقت الذي كان أستاذنا السيّد الخوئي يقف في خط المعارضة للشاه آنذاك، وهي فترة عبد الناصر (في الخمسينات)، أرسل السيّد الخوئي موفداً إلى لبنان ليجتمع بعلمائه وليقنعهم بعقد مؤتمر يستنكرون فيه أعمال الشاه ويصدرون بياناً ضده. حينها، انضمت إلى موفد الإمام الخوئي والتقينا عند السيّد موسى الصدر في صور وكتبنا البيان ضد الشاه من قبل جمعية علماء الدين. صدر البيان، لكن لم تنشره إلا صحيفة «صوت العروبة». ذلك أن الصحف اللبنانية كانت يومها في خط اليمين أي في خط الشاه، وكانت السفارة الإيرانية تمتلك امتداداً كبيراً في الساحة اللبنانية، جرّاء اتفاق الخط السياسي بين الحكومة اللبنانية وشاه إيران...

كانت علاقتي بالسيّد موسى تتوثق في كل زيارة قام بها للبنان، فنلتقي وتداول في الوضع، ولا سيما مع بعض العلماء الكبار الذين كانوا يُمثلون صداقة مشتركة كالشيخ محمد جواد مغنية، والسيّد هاشم معروف الحسني. بعد ذلك، جنّت أو عُدْتُ إلى لبنان، زارني السيّد موسى الصدر في النبعة، وكنت أدعوه بين وقت وآخر إلى المشاركة في الحفلات التي كنْتُ أقيمها في المناسبات الدينية، وكان دائماً يستجيب، ولا سيما عندما زار السيّد محمد باقر الصدر لبنان وبعض علماء العراق. في ذلك الوقت، كنّا نختلف سياسياً أحياناً. كان هناك بعض الأحاديث بيننا حول الوضع اللبناني وخصوصاً الشيعي، لكنّها لم تكن بذلك العمق. وربما كان الأساس في ذلك عدم دخولي وقتها عمق السياسة اللبنانية، لأنني كنْتُ أقرب

إلى الخطوط العربية والإسلامية مني إلى الخط اللبناني، ولأن تجربتي المباشرة في الواقع السياسي اللبناني كانت بسيطة. كنا نفكر، في ذلك الوقت، في أن السيد موسى الصدر أقرب إلى الخط المضاد لاتجاه القومية العربية أو اتجاه اليسار، وقربنا من الخط اليساري لم يجعلنا موافقين على هذا، كنا نعارض الإيديولوجية والخطوط الفكرية للقومية العربية. وقد كان هذا الموضوع مثار حديث دائم.

بدأت الحملة مبكراً على السيد موسى الصدر من أكثر من جهة علمائية شيعية إضافة إلى الجهات السنّة التي كانت تشكك في خلفياته السياسية. وركب بعض العلماء موجة الحملة. وربما كان البعض أيضاً يتحدث عن المكتب الثاني في بعض خلفيات الصدر، خصوصاً أن العلاقة يومها بينه وبين الرئيس فؤاد شهاب وبعده شارل حلو كانت جيدة. وليس معنى ذلك أن السيد موسى الصدر كان خاضعاً لذلك، لكن المكتب الثاني كان يحاول الاستفادة من ذلك الجو. وكانت هناك حركة في الواقع اللبناني، تستهدف إيجاد هوة واسعة بين السنّة والشيعية ومنع لقاءهم، وتعمل على فصلهم. وربما حاول البعض استخدام فكرة تأسيس المجلس الشيعي، سواء من الشيعة أو السنّة، لتسجيل نقطة ضعف سلبية ضد السيد موسى، وليس إخلاصاً لفكرة الوحدة الإسلامية. ذلك أن الوحدة الإسلامية لم تكن واردة في الخط الواقعي، فإذا قبل بها الشيعة فإن السنّة لن يقبلوا. وقد تحدثت، في وقت من الأوقات، مع السيد موسى الصدر عن فكرة أن يكون لدينا مجلس إسلامي موحد، لكنّه أشار إلى أن المسؤولين الدينيين السنّة لا يوافقون على ذلك، خصوصاً مع طرح التناوب على رئاسة المجلس بين السنّة والشيعية.

لقد عشنا في بعض هذا الصراع من خلال طبيعة الخط الحركي الذي ننطلق به، والذي جئنا من العراق مؤمنين به، في شكل قد يكون متطرفاً آنذاك، لأننا لم نصطدم بالواقع كما يجب يومها. ولم ندرس طبيعة الحركية الإسلامية في الساحات المتنوعة، ولا سيما الساحة اللبنانية. في ذلك الحين، بدأت فكرة المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى. وكما أسلفْتُ، كانت علاقتنا بالسيد موسى جيدة ومميزة بالرغم من بعض اختلافات الرأي التي كان يمتلكها الصدر الرحب لامتصاصها والتعايش معها. وكانت المعارضة قوية في الوسط العلمائي الشيعي وحتى في الوسط السياسي ولدى بعض الزعماء الشيعة لفكرة المجلس الشيعي. ودخل اليسار طرفاً في هذه المسألة بحجة أن هذا سيؤكد مسألة الطائفية في الساحة الإسلامية، والواقع اللبناني، وسيعمّق النظام الطائفي. ودخلنا مع الشيخ شمس الدين للتفاهم

مع السيّد موسى في محاولة إصلاح ذات البين . كنا نلتقي مع الشيخ محمد جواد مغنية ، وكنا نطوف الجنوب لنتلقى العلماء ، حتى إننا ذهبنا إلى المنطقة الحدودية لنُتحدّث معهم حول رأب الصدع ، وطرحْتُ يومها شعار أنسي: «لن أُنخبَ ولن أُنخبَ» لعدم إيماني بأسلوب المجالس المليّة في حركتي الإسلاميّة ، ولأنني كنت أحبُّ أن أتنفس الهواء الطلق . فالإنسان الذي رفض أن يتحرك حزبياً مع دوره في كل هذه الثقافة الحزبية ، يرفض أن يؤطّر نفسه في مجلسٍ شيعيٍ ملّيٍّ وواقعٍ لبنانيٍّ طائفيٍّ ، مع كل الاحترام لذلك . وقد حاولنا ، كما أسلفْتُ ، تقريب وجهات النظر بين السيّد موسى والمعارضة الشيعية بزعامة الشيخ مغنية المحسوب على خطِّ اليسار . وكانت اعتراضات هؤلاء العلماء أنهم يفضلون الخط الوجدوي ، ويشكّون في خلفيات السيّد موسى . وربما كانت الكثير من الاتهامات ظلماً للسيّد موسى . . . فهم كانوا من المنفتحين حينها على الموجة المواجهة والمضادة للاستعمار ، والتي كان اليسار يحملها وخصوصاً عبد الناصر . . .

من هنا ، كانت المسألة تحمِلُ الكثير من الشكوك والاتهامات . وفي الوقت الذي كان السيّد موسى يتألّم للكثير من الاتهامات الظالمة ، فإنّه كان رُخب الصدر ويلتقي معارضيه ، واستطاع أن يخفف الكثير من غلواء بعضهم . صدر مرسوم المجلس الشيعي ، وعُدَّ ذلك فتحاً كبيراً وانتصاراً للطائفة الشيعية التي كانت تعيش القهر والحرمان ، والبعد عن حركة التاريخ كلها في لبنان آنذاك . وعملت الدولة على إيجاد مناخ حماسيٍّ منقطع النظير ، حتى شعرنا بأنّها تختبئ خلف الكثير من مفاصل هذا المشروع بقطع النظر عمّا إذا كان السيّد موسى متأثراً بذلك ، أو أن الدولة تحاول استغلال ذلك .

صدر مرسوم المجلس ، وطلعت الطائفة بأغلب أفرادها لتهنئة السيّد موسى الصدر ، والاحتفال بهذا الحدث . كنْتُ الوحيد الذي لم أزره . إذ لم أَرِد وقتها أن أكونَ في موقع التأييد للمجلس الشيعي باعتبار أنني لم أكن مقتنعاً بحاجتنا إليه ، بقطع النظر عن الصواب والخطأ في ذلك . لكن المسألة لم تكن مقاطعة للسيّد موسى الصدر . فبعد فترة قليلة من تأسيس المجلس ، جاءنا أحد أصدقائنا المشتركين من علماء العراق وذهبنا وزرنا السيّد موسى الصدر . وكنت أزره في المجلس الشيعي وأتداول معه وأحياناً مع الشيخ شمس الدين في بعض القضايا العامة . كنا نتشاور ، حتى إنني أذكر جلستنا التي عقدناها لتوحيد مسألة الهلال بيننا وبين السنة ، ودعونا بعض علماء السنة وطرحنا عليهم في ذلك الوقت أن

نَعْتَمِدُ عَلَى المَرَاوِدِ الْعِلْمِيَّةِ، وَرَفَضُوا ذَلِكَ يَوْمَهَا. الْمَهَمُّ أَنَّنَا كُنَّا نَلْتَقِي فِي ذَلِكَ الْمَوْقِعِ. لَمْ أَكُنْ مَنْعَزَلاً عَنِ الْمَجْلِسِ، لَكِنِّي لَمْ أَكُنْ مُشَارِكاً فِيهِ، وَلَمْ أَتَّخِذْ مَوْقِعاً مُضَادّاً، لِأَنِّي اعْتَبَرْتُ رَغْمَ عَدَمِ انْسِجَامِي مَعَ الْعَمَلِ الْمَجْلِسِيِّ، أَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الْحَيَاةِ اللَّبْنَانِيَّةِ. لَكِنْ هُنَاكَ مَجَالِسٌ أُخْرَى كَالْمَجْلِسِ الشَّرْعِيِّ الْإِسْلَامِيِّ عِنْدَ السَّنَةِ، وَهُنَاكَ الْمَجَالِسُ الْمَلِيَّةُ فِي الطَّوَائِفِ الْمَسِيحِيَّةِ... وَبَقِيَتِ الْعِلَاقَةُ جَيِّدَةً بَيْنَنَا حَتَّى غِيَابِهِ.

❖ مَا تَفْسِيرُ الْحَمَاسَةِ ضَدَّكُمْ مِنْ «حَرَكَةِ أَمَلٍ» الَّتِي أَسَّسَهَا السَّيِّدُ مُوسَى، رَغْمَ الْعِلَاقَةِ الْجَيِّدَةِ بَيْنَكُمَا حَتَّى اخْتِفَاؤُهُ؟

- لَقَدْ كَانَتْ دَعَايَةُ «حَرَكَةِ أَمَلٍ» أَنَّنِي ضِدَّ الْإِمَامِ الصَّدْرِ، لِأَنَّنِي كُنْتُ اخْتَلَفْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ الْأَفْكَارِ أحياناً. لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الدَّعَايَةُ عَفْوِيَّةً، بَلْ مَدْرُوسَةٌ ضَمَّنَ خُطَّةٍ مَعَيَّنَةٍ، لِأَنَّ طَبِيعَةَ سُلُوكِي لَا تُوَحِّي بِذَلِكَ، وَلِأَنَّنِي كُنْتُ أَدْعُو السَّيِّدَ مُوسَى الصَّدْرَ إِلَى النَّبْعَةِ فِي أَكْثَرِ مَنْاسِبَةٍ، حَتَّى إِنَّ أَوَّلَ احْتِفَالٍ أَقَمْتُهُ بِمُنَاسِبَةِ وِلَادَةِ الزَّهْرَاءِ (ع) دَعَوْتُ إِلَيْهِ السَّيِّدَ مُوسَى، وَالشَّيْخَ مُحَمَّدَ جَوَادَ مَغْنِيَّةً، وَمَبْعُوثَ الْأَزْهَرِ الشَّيْخَ فَهِيمَ أَبُو عَبِيَّةٍ، وَكَانَتْ لِي كَلِمَةٌ فِيهِ. عِلَاقَتِي لَمْ تَكُنْ سُلْبِيَّةً بِالسَّيِّدِ مُوسَى، فَهُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ سُلْبِيَّةً فِي الْعِلَاقَةِ وَبَيْنَ الْاِخْتِلَافِ فِي الرَّأْيِ.

❖ هَلْ صَحِيحٌ أَنْكُمْ دَعَوْتُمْ كَوَادِرَ اتِّحَادِ الطَّلِبَةِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى الْاِلْتِقَاقِ بِ«حَرَكَةِ أَمَلٍ»؟

- لَا أَذْكَرُ أَنِّي دَفَعْتُهُمْ إِلَى الْاِلْتِمَاعِ، لِأَنَّنِي فِي ذَهْنِيَّتِي الْحَرَكِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَمْ أَكُنْ مُنْسَجِماً مَعَ الْخَطِّ الْفِكْرِيِّ أَوْ السِّيَاسِيِّ لـ «حَرَكَةِ أَمَلٍ». حَتَّى إِنَّنِي، كَمَا قُلْتُ فِي حِمَاسَتِنَا السِّيَاسِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، كُنَّا نُسْجِلُ مَلَاخِظَاتٍ عَلَى خُطَابِ السَّيِّدِ مُوسَى الصَّدْرِ فِي تَأْسِيسِ «حَرَكَةِ أَمَلٍ» عِنْدَمَا قَالَ إِنَّهَا «حَرَكَةُ رِسَالِيَّةٍ وَحَرَكَةُ الْأَنْبِيَاءِ»، وَلَمْ يَقُلْ إِنَّهَا حَرَكَةٌ إِسْلَامِيَّةً. وَعِنْدَمَا سُئِلَ: «هَلْ هِيَ حَرَكَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ» أَجَابَ: «حَرَكَةُ الْإِسْلَامِ كَمَا يَفْهَمُهُ مُوسَى الصَّدْرُ». وَنَحْنُ سَجَلْنَا مَلَاخِظَةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى هَذَا الْمَوْضُوعِ.

فَلَا أَتَصَوَّرُ أَنَّنِي دَفَعْتُ بِبَعْضِ الشَّبَابِ إِلَى الْاِلْتِمَاعِ. لَكِنْ، كَانَتْ لِي عِلَاقَاتٌ وَاسِعَةٌ بِ«حَرَكَةِ أَمَلٍ» مَعَ الْمُتَقَفِّينَ وَالْمُتَدَبِّينَ، وَكَانَ هُنَاكَ نَوْعٌ مِنَ التَّنَاقُصِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، قَبْلَ دُخُولِ «حَرَكَةِ أَمَلٍ» فِي الصَّرَاحِ مَعَ «حَزْبِ اللَّهِ».

❖ هل حصل حديث بينكم وبين السيد موسى في موضوع تأسيس «أمل»؟
- لا، لم يحصل.

❖ بالنسبة إلى سلبيتكم حيال المجلس الشيعي، هل كانت هناك سلبية مماثلة
حيال تأسيس «حركة أمل»؟

- لم أدع إلى تأسيس «حركة أمل»، لكن إعلان تأسيسها منذ تفجير «عين
البنية» في بعلبك لم نرتح إليه لأننا كنا ننظر بارتياح إلى أي وضع طائفي بفعل
الحماسة الحركية عندنا، الذي قد لا تكون مفرداته واقعية لا سيما في ما يتعلق
بالساحة اللبنانية. وقد قمت في بعض أحاديثي بعملية نقد ذاتي لهذه المسألة. لم
نكن منسجمين مع هذا الطرح.

❖ هل كان السيد الصدر يختلف في مدرسته عنكم؟ بمعنى هل كان السيد
ينفذ مشروعاً لبنانياً وكان همّة الشيعة اللبنانيين وتحسين وضعهم، أو
مشروعاً آخر إيرانياً شيعياً ومشروع أي إيران؟

- أحب وأنا أطلع إلى تلك المرحلة أن أؤكد أن السيد موسى الصدر لم يكن
بعيداً من الفكر الحركي الإسلامي، لأنه كان منفتحاً على الإسلام ولم يكن تقليدياً،
ولا سيما أن علاقته بالسيد محمد باقر الصدر رائد الحركة الإسلامية الحركية في
العراق كانت عميقة جداً، وكان يعيش معه في هذا الجو، وكان يحتضن الحركة
الإسلامية. لهذا احتضن الإيرانيين الذين وفدوا إلى لبنان من أنصار الإمام
الخميني وسهل لهم الكثير من المواقع والإمكانات التدريبية مع «حركة فتح»
وغيرها. . حتى إنه، عندما اضطهد النظام العراقي الحوزة العلمية في النجف
والسيد محسن الحكيم، أثار السيد موسى، وكنا معه، الجو السياسي الإسلامي
في شكل عام ضد النظام العراقي آنذاك، حتى إنه أرسل رسائل إلى عبد الناصر
ومختلف الزعماء العرب في هذه المسألة. لكن السيد موسى كان يرى أن طرح
الإسلام بالطريقة الحركية لا ينسجم مع لبنان، وقد عمل على تركيز وضع الطائفة
الشيعية في لبنان مع انفتاحه على الطوائف الأخرى حتى المسيحية. ومن الطبيعي
أن الطائفة السنية آنذاك، نتيجة لانفتاحها على الخط الناصري، كانت تُثيرُ الشكوك
حول السيد موسى في هذا الانفتاح على المسيحيين. حتى بعض علماء الشيعة، كما
أسلفنا، أثاروا شكوكاً، وخصوصاً عندما زار البابا، وتحدث عنه بكلمات لم تكن
مألوفة في التحفظات الشيعية أو الإسلامية في الحديث عن غير المسلمين. كما أن

تأييد الزعماء المسيحيين للسيد موسى الصدر شارك في إثارة هذه الشكوك وهذه الاتهامات. لكنني عندما أرصد المسألة بعيداً مما كان يحيط بالموقف من أوضاع حادة أجد أن السيد موسى لم يكن ينفذ أي خلفية دولية، كما يُتحدث عنه، بل إن إيران الشاه حاربت الإمام الصدر يومها.

زار السيد موسى عبد الناصر وأعجب به الرئيس المصري، وانفتحت له الأبواب. لم يكن السيد موسى الصدر بعيداً من الإسلام الحركي، لكنه كان لا يجد مصلحة في طرح الإسلام الحركي كمشروع سياسي، لأنه لم يجد أي مصلحة للمسلمين ولا سيما الشيعة في هذا الطرح، خصوصاً مع التنوع الطائفي في لبنان. وهذا ما نلتزمه الآن.

❖ علاقة السيد موسى بإيران الخميني حتى قبل الثورة؟

- كانت علاقة جيدة، لكنها كانت في الوسط السياسي العام سرية. ولعل المسألة تفجرت حين توفي الدكتور علي شريعتي الذي كان ضد الشاه، مع وجود تحفظات لدى بعض علماء الحوزة العلمية في إيران على بعض سلبيات الدكتور في عقيدته، أو في موقفه من الحوزات العلمية. فالسيد موسى التزم تأييد الدكتور علي شريعتي وشارك حين وفاته في تشييعه وتسهيل دفنه في مرقد السيدة زينب (ع) في الشام، ثم أقام له حفلاً تأبينياً. هنا بدأ النزاع وفتح في شكل علني مع الشاه. وبدأت الحكومة الإيرانية تعمل ضد السيد موسى الصدر وتحاربه انطلاقاً من ذلك.

❖ لوحظ إقصاء من حصنهم من قادة الثورة الإيرانية بعد نجاحها، وحين حصلت حادثة اختفاء السيد موسى لم يظهر الإيرانيون حماسة واستعداداً جدياً لمعرفة مصيره؟

- علينا أن نعرف أن السيد موسى كان يؤيد الثورة الإسلامية في شكل عام، وكانت علاقته جيدة بالإمام الخميني. لكن بعض الذين عاشوا مع الثورة ممن تأثروا بالفلسطينيين حملوا إلى إيران كل الأفكار السلبية ضد السيد موسى الصدر، وتحركوا داخلها من خلال هذه الأفكار. نحن نعرف أن الثورة الإسلامية حين انطلقت، كانت تتحرك ضمن خطوط متنوعة جداً ولم تكن في الواقع الميداني خطأ واحداً. وهو ما جعل مسألة السيد موسى لا تبرز إلا متأخرة في الإعلام الإيراني في الشكل الذي يمثل تكريم السيد موسى الصدر.

الجلسة الثالثة

هل تشعر بأن مدرستك تختلف عن مدرسة الإمام الصدر؟

- لا إشكال أن الإمام الصدر إسلامي من حيث المفاهيمية. فهو مُسلمٌ مثَقَّفٌ مُنْفَتِحٌ، لكنّه لم يكن إسلامياً حركياً بالمفهوم الذي تعطيه هذه الكلمة، والتي تعني عند الذين يُحرِّكونها في أدبياتهم ومواقفهم أن يعملوا على أسلمة الحياة، وأن يكون الإسلام قاعدة للفكر والعقل. فيتدخّل في العناوين العامة للدولة وفي التشريع والمناهج ونحوهما... بقطع النظر عن التحفظات التي يسجلها البعض ولا يُسجلها الآخر، حول واقعية هذا الطرح في منطقة ولا واقعيتها في منطقة أخرى، لأن المسألة تدخّل في التفاصيل. فالسيد موسى لم يكن ممّن يرى هذا الرأي لكنّه كان يتفهّمه. ولم يكن له موقف مضاد له، ولذلك كان يحتضن ابن عمه السيد محمد باقر الصدر، وهو الشخصية التي انطلقت بحركة «حزب الدعوة الإسلامية» في العراق. كما إن العلاقة بينهما كانت حميمة، ولم يبدُ أن هناك خلافاً بين شخصيتيهما. كانت علاقة السيد موسى بالسيد محمد باقر وبكل آل الصدر في النجف قوية جداً حتّى إنه تدخّل لتخفيف الضغوط عليه. والسيد محمد باقر الصدر لم يرَ أن السيد موسى يسيرُ في الاتجاه المضاد للحركة الإسلامية، بل كانت له ظروفه الواقعية، باعتباره شخصية قيادية في لبنان الذي قد لا يكون من الواقعية طرح الحكومة الإسلامية فيه نتيجة تعقيداته الداخلية. نحن كُنّا نجد تلك المرحلة أن السيد موسى ليس في هذا الاتجاه. وقد أشرتُ سابقاً إلى أننا كُنّا نعيشُ بعض التساؤلات في الخلفية السياسية التي نتجت ربما من الجوّ السياسي الذي كان يهزّ المنطقة والواقع. وهي لا تُقَارَن ببعض التحفظات التي كان يُثيرها خصوم السيد موسى الصدر حول موقفه في بعض الجوانب. فهُم كانوا يلاحقون كل كلمة يقولها لِيُسجّلوا عليه الملاحظات، وهذا ما أعيّشه أنا الآن، وليعطوها معنى غير معناها...

إننا نستطيع أن نلخص السيد موسى الصدر أنه كان إسلامياً في فكره، ولم تكن له أي خلفيات غير إسلامية من قريب أو بعيد.

وكان شيعياً غير متعصب، بل كان منفتحاً على الخط الوحدوي الإسلامي مع بعض التحفظات في المسألة اللبنانية من خلال بعض الجوانب المتحركة في بعض المواقع الإسلامية هنا وهناك.

ونستطيع التأكيد أن السيد موسى كان منسجماً مع الجو المعارض للشيعية. لذلك كان يلتقي عنده بعض رجال الثورة. كما كان يحاول أن يوسع علاقاته مع الموقع العربي: فكانت علاقته بسوريا وثيقة جداً، وكان يتضايق من مراعاتهم للتوازنات على رغم علاقتهم الوثيقة به، فإذا أريد له أن يُدير مقابلة تلفزيونية، فإنهم يحاولون أن يتحدثوا مع شخصيات دينية أخرى في لبنان لتحقيق هذا التوازن. كما كان يشكو من بعض الأوضاع التي كانت تمارسها بعض القوى العسكرية أو الأمنية في عدد من المناطق اللبنانية كالبقاع مثلاً، مما قد يسجل كنقطة متحفظة عليه، باعتبار صداقته لسوريا وتصور الناس أنه قادر على أن يُغيّر الكثير من موقع الصداقة هذا. لقد حاول الإمام الصدر أن يؤكد علاقته بعبد الناصر كثيراً، وقد استقبله عبد الناصر وكرّمه وافتتح عليه وخصوصاً بعد أن جلس معه، إذ تبدلت نظرته إليه والصورة السلبية التي كان يحملها عنه من خلال تقارير أجهزة المخابرات...

لاحظنا أيضاً أنه وثّق علاقته بالأمير عبد الله في السعودية، ولربما كان يفكر في أن يتجاوز الموقع اللبناني إلى الموقع العربي، بالإضافة إلى الموقع الإيراني. إنني أتصور أن مأساة السيد موسى الصدر كانت، في نظر بعض الأجهزة والقوى، أنه تجاوز الخطوط الحمر، لا سيما في الجو الذي كان يتحرك بالنسبة إلى أوضاع المقاومة الفلسطينية. ذلك أن مقاتليها اندفعوا إلى الجنوب الذي هو ساحة السيد موسى، وموقع حركته، ومسؤوليته. ولهذا أتصور أن هذه الحساسية الجنوبية هي التي تركت كثيراً من التأثيرات في علاقته بالفلسطينيين. وربما كانت تمثل الخلفية لتأسيس «حركة أمل» كي تنطلق المقاومة من داخل الجنوب، فلا يشعر أحد بأن هناك فراغاً يحتاج إلى أن يملأه الفلسطينيون. طبعاً، لا أملك معلومات دقيقة عن هذا الموضوع، لكنني كنت أحس بذلك، أو هذا هو الانطباع الذي كوّنته حول هذه المسألة.

❖ بدا الإمام الصدر، وفي ظل الوضع اللبناني المعقد (مسلمون ومسيحيون، دول عربية وأجهزة أمنية وعسكرية، فلسطينيون) أن علاقته بالفلسطينيين جيدة، واعتبر جزءاً من النظام الذي يحاول التجديد فيه. لكن مدرستكم كانت مختلفة، فكيف تصفون هذا الوضع؟

- لقد كانت المدرسة التي كنا نتحرك داخلها مدرسة الحركة الإسلامية. فنحن جئنا إلى لبنان إسلاميين طبعاً. وأذكر دائماً أنني كنتُ إسلامياً منذ أواخر الأربعينات، وقبل أن تتحرك كل هذه الأجواء في الساحة الشيعية بالحركة الإسلامية... فالإسلامية كانت جزءاً من تفكيري. ومن الطبيعي أنني، في المرحلة المذكورة، لم أدخل عمقَ الواقع السياسي، إذ إنَّ المرحلة كانت مرحلة الحماس والانفعال والتصور الحاصل بإمكان تجاوز الواقع بالوسائل التي يمكن الإنسان أن يهيئها، بقطع النظر عن الإمكانيات المتوفرة في هذا المجال. في ذلك الوقت، كانت المسألة اللبنانية تعيش في دوامة. فلقد واكبنا، ونحن في المنطقة الشرقية (حي النبعة)، حركة الأحزاب المسيحية وهي تتدرب في المناطق القريبة منّا، كالقنار وسد البوشرية... وكان ذلك يثير في نفوسنا الكثير من الإحساس بوجود صراع إسلامي - مسيحي، يحاول أن يتمظهر بطريقة عنيفة... وكان هناك وجود للمنظمات الفلسطينية، وهي كانت تعيش الحذر مني ومن الناس الذي يحيطون بي. أذكر أنه كان لي بعض الصداقات مع عدد من المسؤولين الفلسطينيين الصغار وقتها، وفكرنا في تدريب بعض شبابنا على أيديهم من أجل حراسة المركز أو الدفاع عن النفس. وبدأ هؤلاء بذلك، لكن التعليمات جاءتهم من القيادة الفلسطينية آنذاك بالتوقف عن التدريب، وكانت «فتح» هي المشرفة على هذه المسألة. وسبب هذا الموقف كان خوف القيادة المذكورة من تحركنا الذي امتلك شعبية مهمة في تلك المنطقة.

❖ هل أرسل الإمام الصدر إلى لبنان رسمياً؟ أم أتى من تلقاء نفسه؟ ماذا عن الصدى السريع الذي لاقاه تحركه والذي كان كالنار في الهشيم. بينما تحرككم أنتم أخذ وقته؟ بماذا تفسرون ذلك؟

- لعل الظروف التي أحاطت بقوم السيد موسى الصدر وتحركه وبشخصيته، تختلف عن الظروف التي أحاطت بي. فالسيد موسى جاء إلى لبنان ليملاً فراغ المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين، الذي كان يُعتبر الشخصية الشيعية الأولى

في لبنان - مع ملاحظة - أنه جاء بدعوة من أهل صور. إذ أشاد السيد عبد الحسين شرف الدين به في زيارته الأولى للبنان، وقبل وفاته. وحين جاء السيد موسى الصدر، أحاط به بعض الأوضاع السياسية السلبية. فقد نُسبَ إلى آل الخليل أنهم حاولوا أن يُغيروا حول السيد موسى مسألة الأخلاقية... ومن الطبيعي أن الأجواء السياسية التي كانت في صور وفي المنطقة يومها لم تكن ملائمة لزعامه آل الخليل. وربما كانت هناك خلفيات للأجهزة اللبنانية التي حاولت أن تستفيد من هذه المسألة بقطع النظر عما إذا كان السيد موسى الصدر مطلعاً عليها أم غير مطلع، أو منسجماً معها أم غير منسجم... فمن الممكن أن الذين كانوا يحيطون بالسيد موسى الصدر كانوا على اطلاع على ذلك، أو إنه من الممكن أن هذه المعلومات لم تكن دقيقة. لكن المسائل كانت تُثار هكذا... لا سيما أن علاقة السيد موسى الصدر بالشهابية كانت جيدة، وكان الرئيس شهاب يُقدِّره، ثم بعد ذلك الرئيس شارل حلو... حتى إنني أعرف أن علاقته بالمرحوم خالي علي بزي كانت ممتازة جداً وفوق العادة. ويمكن أن تكون الأجهزة اللبنانية أرادت إبراز هذه الشخصية في الواقع الشيعي ثم اللبناني بشكل فوق العادة. ذلك أن الشيعة الذين كانوا يُعانون الفراغ والانكفاء عن الساحة السياسية اللبنانية العامة تطلَّعوا إلى شخصية سمعوا من المسيحيين مديحاً لها وتقديراً وثناء عليها. فهم كانوا يعيشون العقدة، مثلاً، أمام ما كانوا يرونه من تقدُّم المسيحيين في الثقافة والمدنية والسلطة... .

لقد تهيأت الظروف للاستفادة من هذه المسألة لإسقاط السيد موسى الصدر أخلاقياً فتحوّلت مثل النار في الهشيم كما يُقال. وإذا بجماهير البقاع والجنوب وبيروت تزحف إلى السيد موسى الصدر لتحتّه على الاستمرار ولتبايعه ولو بشكل غير رسمي في هذا المجال.

أذكر أن الصحف اللبنانية التي كانت بخيلة ببعض الأسطر على شخصيات كبيرة، قد فتحت صدرها للسيد موسى الصدر بشكل فوق العادة. وربما رأى بعض الناس في هذه المفردات كلّها، خطأ أو صواباً، أن الأجهزة كانت تريد أن تقدم شخصية شيعية ليست يسارية وليست فلسطينية بالمعنى الحاد في هذه المسألة، مع كونها منفتحة على الواقع اللبناني. والسبب أن السيد موسى الصدر بدأ في ذلك الوقت بالانفتاح على المسيحيين، وخصوصاً عندما انتمى إلى «الندوة اللبنانية» التي كان يترأسها ميشال أسمر، وكان يُحاضر فيها، ويتحدث عن البابا بشكل لم يُعهد من عالم ديني كقوله «العظيم والعظيم جداً». ثم كانت زيارته للفاتيكان،

واعتبر خصومه أن هذا هو المدخل إلى لبنان عندما يفتَح البابا عليه فتفتَح عليه أيضاً مواقع المسيحية المتقدمة ولا سيما المارونية. لقد استطاع السيّد موسى البروز كشخصية أولى، لا في الموقع الشيعي فقط، بل حتى في الموقع الإسلامي، كما في الموقع اللبناني. وانفتحت له من خلال ذلك الكنائس التي كان يُحاضِرُ فيها، والمواقع الثقافية. وبدأ الأدباء والمثقفون يتحدثون عنه في شكل غير معهود، وبما كان خصومه يُثيرون الشكّ حوله في هذا المجال...

أتصوّر أن المسألة لم تكن عادية. فلا بدّ من وجود شيء من السرّ، ونحن نعرف لبنان، ونعرف صعوبة أن يبرز إنسان بهذه السرعة أمام هذه الفسيفساء الطائفية والثقافية والعلمية لو لم يكن هناك وضع سياسي يتصل بلبنان في الخطوط المفتوحة على المنطقة في هذا المجال، وذلك بقطع النظر عمّا إذا كان خاضعاً هو لهذا الوضع أو غير خاضع. فأنت قد تخضع لبعض الأوضاع التي «تلمع» شخصيتك من دون أن يكون لك دور فيها. أذكر أنه ألقى خطابه الشهير الذي هاجم فيه رجال الدين الذين وقفوا ضده، فسجّلوا ذلك عليه وبدأوا يُثيرون الدنيا على ما ذكره من أنه جاء يرفعُ غبار السنين عن رجل الدين وما نحوه...

❖ ما دور شخصية السيّد موسى في ذلك؟

- قُلْتُ إنّ هناك فرقاً. إنّ سحر الشخصية في بلد يتمتع الكثيرون فيه بسحر الشخصية، وبالإمكانات الخطابية، والثقافة (حتى الفلسفية) إنّ هذه المسائل قد تُساعد على انفتاح الساحة عليه، ولكن ليس بهذا الحجم. فتصوّر بلداً يسيطر عليه اليمين بكل مواقعه، وبلداً تعيش التيارات فيه في شكل حادّ جداً، ولم يكن في ذلك الوقت السيّد موسى قد انفتح على اليسار في هذا الشكل الحادّ جداً، وكان اليسار قد بدأ يظهر... فحين تحدث المسألة في هذا الشكل فعندها لا يعود سحر الشخصية كافياً. ذلك أنّ الكثيرين في لبنان يمتلكون سحر الشخصية ولم يحصل لهم ما حصل له.

❖ ما هو الشعور الذي انتابكم جرّاء ذلك؟ شعور الضيق أو اليأس أو الإحباط بالنسبة إلى حركتكم في ظلّ هذه التحركات والأحداث التي تحدثت عنها كلها؟

- الواقع أنني لم أعش هذه الأحاسيس لسبب بسيط جداً هو أنني كنتُ واقعياً منذ البداية. فأنا كنتُ أعرفُ أنني حين جئتُ إلى لبنان لم تكن لديّ الظروف الموضوعية التي تسمحُ لي بأن أنفتحَ بشكل واسع. فأنا جئتُ إلى «النبعة» حينما

عُدْتُ من العراق لأستقر في لبنان. و«النبعة» لا تُمثَلُ موقعاً يمكن الإنسان فيه أن يُطلَّ على الواقع اللبناني، لأنها منطقة البؤس والتخلف...

وحتى عندما سمع السيد موسى أنني سوف أَسْتَقِرُّ في النبعة، استغرب ذلك وذكَّرَ أن مستوى «فلان» ليس النبعة. كنتُ أحاولُ أن أتحركَ في شكل هادئ. قمتُ بجولات في الجنوب كل سبت وأحد، وكنتُ أَعْقِدُ الجلسات الحوارية وأحدث في المناسبات، كما كنتُ أَطْلُ على الضاحية لأَعْقِدُ الجلسات، وكنتُ أعطي الدروس للشباب المثقف الناشئ. وكنتُ آتي من النبعة إلى المصيطبة (في بيروت) وتحديداً إلى منزل الحاج حسن رعد الذي يملك ثقافة جيدة، حيث أُلْقِي الشّيخ نعيم قاسم وأخاه ومحمد رعد وآخرين. كانوا يدرسون عليّ كتاب «فلسفتنا»، وكتبنا أخرى. وكُنّا ندير الجلسات الحوارية حتّى داخل البيوت، كنتُ أتحركُ بشكل هادئ، كما قلت لك. وحتى حين كُنّا نَخْتَلِفُ مع السيد موسى لم يكن الخلاف يَخْتَرُنُ في داخله أي حالة سلبية، بل كان اللقاء والاجتماع هما الأساس بيننا...

❖ هناك عمل النوع وعمل الكم! البعض قال إنكم عملتم مع النوع بينما عمل السيد موسى على الكم...

- لا أظن أن القضية كذلك. بعبارة أخرى، هناك أسلوبان، ولا أظن أنه كان يُفَكَّرُ في الكم وكنتُ أفكّرُ في النوع. فالإنسان الذي يمتلك أسلوباً في الحياة يحاول أن يُقَجِّمَ أسلوبه في ساحته بالوسائل التي يمتلكها. ومن الممكن جداً أن السيد موسى الصدر لم يكن يفكر في الحصول على هذا الكم، لأن المشكلة تكمن في الكثير من الظروف الموضوعية التي تحملك أو تسقطك لا دُخْلُ لك فيها. هناك كلمة للإمام علي (ع)، لا أريد أن استشهد بها في القضية الخاصة، ولكن أعطيها مثلاً لذلك أو للفكرة: «إذا أُقبلت الدنيا على أحد أغارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه...». تلك هي المسألة، فقد تأتيت الظروف وترفعك من دون أن يكون لك خيارٌ في ذلك، أو إنها تُحْجِمُك ولا علاقة لك بذلك.

❖ البعض يقول إن غياب السيد موسى هو الذي جعل أكثر من شخصية تبرز...

- من الطبيعي جداً حين يكون هناك فراغ، أن تتجه الناس إلى مَنْ تعتبر أنه يملأ الفراغ. لكن المسألة أنني والشّيخ محمد مهدي شمس الدين كُنّا موجودين ولكن ليس في حجم السيد موسى. لم تكن المسألة أننا انطلقنا من فراغ السيد موسى، فنحن

كنا موجودين في الساحة ومعه والناس كانت تُشير إلينا حتى غُيِب السيد موسى...

❖ ما كانت نسبة امتدادكم قبل غياب السيد موسى؟

- كُنْتُ أملكُ امتداداً شعبياً في المجتمعات المثقفة، ومجتمعات المؤمنين. هذه هي المجتمعات التي كُنْتُ أحدثُها وأتجاوزُ معها، لكن المشكلة التي كنت أواجهها هي الصراع مع الأحزاب اليسارية كالحزب الشيوعي، والبعث... لم يكن للأحزاب اليمينية ساحة في ساحتنا حتى تواجهنا، لذلك كانت تقف في مواجهتنا كما كانت تقف في مواجهة السيد موسى. لكن قوَّة السيد موسى كانت تُحجِّمُ بعض مواقفهم آنذاك.

❖ غياب السيد موسى (أو استشهاده) وتفسير سكوت الكثير من القوى الحليفة للسيد موسى على هذا الأمر؟

- من الطبيعي أن هناك دولاً كانت تحارب السيد موسى. فمصر، وقبل لقاء السيد موسى بجمال عبد الناصر، كانت تشنُّ حرباً شعواء عليه. والكثير من المنظمات الفلسطينية، وربما كلها كانت تعتبره مشكلة مع اختلاف الدرجة. وفي ضوء ذلك، يفكر بعض الناس أن غياب السيد موسى هو قضية فلسطينية، انسجمت مع قضية ليبية. ذلك أن الحملة على السيد موسى كانت موجَّهة من القوميين العرب في صورة عامة، وربما حتى من خلال بعض الدول العربية التي كانت تسير في هذه الدوامة وفي هذا المقام، من خلال بعض الجوانب المذهبية وما شاكلها من الجوانب الفارسية مثلاً... فلقد كان خصومُهُ يربطون بين مجيئه إلى لبنان وبين سياسة الشاه. لكنني أعتقدُ أن المسألة ليست واقعية... ربما فُكِرَ السيد موسى، في بداية الأمر، في ألا يدخل في حرب مع الشاه، أو أن تكون علاقاته معه عادية. لكن يبدو أن الجماعة كانوا يطلبون شيئاً أكبر، ولم يكونوا مستعدين لذلك،، وأتصور أن إيران كانت تحاولُ أن تستفيد منه، ولكنَّه لم يفكر في ذلك. كان أوعى من أن يقدم على أمر كهذا.

❖ هل كان السنَّة في تلك الفترة يخشون السيد موسى؟

- نعم. كانت هناك أحاديث أن السيد موسى يريد أن يجيئ الشيعية لكي يكونوا البديل من السنَّة. كُنَّا نعرفُ أن الشارع السنيَّ كان شارع عبد الناصر، وشارع المقاومة الفلسطينية، ولذلك كنا نعرف أيضاً أن هذا الشارع كان لا يرتاحُ

إلى السيد موسى الصدر، والمقصود هنا الشارع السنّي السياسي...

✽ عبد الناصر أتى إلى السلطة قبل مجيء الإمام الصدر إلى لبنان، وسماحتك أسست الشارع الإسلامي. فماذا كانت علاقة ناصر بالموضوع؟

- صحيح هذا، ولذلك نحن نقول الشارع السنّي، باعتبار أن الشارع السنّي كان أكثر يسارية أو ناصرية من خلال الحسّ الإسلامي في ذلك الوقت. أما الشيعة فكانوا لا يتعدون أيضاً عن مسألة عبد الناصر ولكن ليس في الشكل الذي كان الشارع السنّي فيه. لذلك كان هناك خصومٌ للسيد موسى الصدر في الشارع الشيعي يقودهم علماء كبار تحركوا للتشكيك فيه في مواجهة الخط السياسي الناصري أو اليساري أو القومي...

✽ أعود للسؤال عن قتل أو استشهاد أو تغيب السيد موسى الصدر.

- إحساسي بأن السيد موسى الصدر قُتل، واستشهد، لأنه ليس من الأشخاص الذين يُخطفون ليقبوا، ولأن الظروف التي أحاطت به لا تُساعد على اعتقاله، ولأن الذين اعتقلوه ماذا يفعلون إذا أطلقوه؟ ولماذا يبقونه عندهم؟ وفي انتظار ماذا؟

إنني أتصور أن السيد موسى الصدر قد تجاوز خطوطاً حمراء عربية، وربما تجاوز خطوطاً حمراء إيرانية، وخصوصاً حين شُنّ الحملة على الشاه، وأقام احتفالاً للدكتور علي شريعتي الذي كان معارضاً وحضر جنازته. كما أن هناك التقاءً طبيعياً من القذافي مع هذه الخطوط ولا سيما العربية منها. والخطوط الفلسطينية ليست بعيدة من هذه الأجواء في تصوّري.

✽ هل كان القذافي جزءاً من الخطة أم استعمل أداةً لذلك؟

- أتصور أنه استعمل أداة، وهو قابل أن يكون أداةً من ناحية طبيعته ومزاجه. وقد أثبتت لنا المعلومات الكثيرة أن النظام الليبي من أكثر الأنظمة العربية دموية...

✽ في كل هذا الحديث، لم نأت على ذكر إسرائيل، مولانا؟

- من الممكن جداً أن العنصر الإسرائيلي لم يكن آنذاك بارزاً في تدخّله المباشر في لبنان، بحيث يرى السيد موسى همّاً له. ومن الطبيعي أنه كان يُفكر في السيد موسى كمشكلةٍ مستقبليةٍ له لأنه أنشأ «حركة أمل» من أجل مقاتلة إسرائيل،

وتحدّث في شكل يفوق العادة عن الاحتلال الإسرائيلي . ومما قاله إنَّ القدس لن تتحرّر إلاّ على أيدي المؤمنين . لقد كان السيّد موسى يُمثّل المشكلة المستقبلية لإسرائيل التي كانت مشغولة آنذاك بالوجود الفلسطيني، مع كل خلفياته العربية، ولهذا فإنّها لم تتحرك على نحو فاعل وكبير جداً ضد السيّد موسى الصدر...

❖ ألم يكن هناك نوع من التقاء المصالح، باعتبار أن الهمّ الأساسي عند إسرائيل كان الوجود الفلسطيني؟ والإمام الصدر، وليس لمحبة بإسرائيل، لاحظ أن هناك طغياناً فلسطينياً على الشيعة، فأراد إزاحة الفلسطينيين لينتصدي الشيعة اللبنانيون للمقاومة.

- ربّما تُناقش هذه الفكرة، لأن السيّد موسى الصدر، حتى في بعض التعقيدات التي حصلت بينه وبين الفلسطينيين، لم يتحرك بحدّة يبدو منها أنه يريد إخراج الفلسطينيين من الجنوب، أو يريد معركة لإخراجهم منه. فهو كان حذراً في ذلك، وكان يحاول ألاّ تحدّث بينه وبين الفلسطينيين أي معركة أو بينهم وبين الجنوبيين... ولم تكن الظروف مهیئة لذلك، سواء على مستوى لبنان أو على مستوى عربي...

❖ مولانا، تحدّثتم بعد غياب الشيخ شمس الدين أنتم البقية الباقية من هذا الجيل العلماني. بماذا تشعرون حين تعودون إلى هذا التاريخ من ناحية ذاتية، سواء بالنسبة إلى السيّد موسى الصدر أو إلى الشيخ شمس الدين؟

- الواقع أنني كنت أجد نفسي في السيّد موسى الصدر كصديق وكمثقف تستطيع أن تتحدّث معه عن كل شيء، إذ كان رحب الفكر ولا يتعقّد من أي قضية تبحّثها معه. وكذلك كنت أجد نفسي في الشيخ محمد مهدي شمس الدين الذي كانت علاقتي معه مختلفة باعتبار أنه رفيق طفولة ورفيق شباب، وكان رجلاً يمتلك ثقافة قلّما نجد نظيرها عند علماء الشيعة والسنة والمسلمين. كنت أشعر بالأماسة نتيجة الظروف التي تفصلني عنه ولم تكن هذه الظروف بمبادرة مني... إنني، عندما أتصور هذين الشخصين، أتصور أنهما تركا فراغاً كبيراً، سواء على المستوى الثقافي أو غيره... فالسيّد موسى ترك فراغاً على المستوى السياسي وإن كان يملك رحابة ما كان يمتلكها الشيخ شمس الدين... أنا لم أكن سلبياً مع أحد، وأحب أن أقول إنني لا أفهم السلبية، ومشكلتي أن الآخرين يحبون أن يكونوا سلبيين معي... أما في ما يتعلق بما ذكر في إحدى الصحف مرّة حول ما نقل لي عن

مصير السيّد موسى الصدر، أتذكّر إنني سألت أحد قادة إيران الكبار عن مصير السيّد موسى، فأجاب: «أنت ما رأيك». ردّدت: «رأيت أنه استشهد». ثنّى قائلاً: «وهذا هو رأينا». سألت: «لماذا لم تُطالبوا به؟» أجاب: «إن الظروف لم تسمح بذلك». وقد سمعنا عن عبد الحليم خدام أنه يُسمّي الإمام الشهيد.

❖ ماذا عن إيران وما تردّد حول دورها بالنسبة إلى هذه القضية؟ لقد ذكّر أنها لم تقم بما هو مطلوب منها حيال ذلك؟

- علينا أن نكون واقعيين وعادلين. كانت إيران في حاجة إلى ليبيا في مرحلة الثورة وما بعدها. وليس من الطبيعي لأي دولة أن ترهن سياستها لحساب قضية شخص مهما كانت قيمته. فإيران لم تترك مسألة السيّد موسى الصدر، لكنّها شعرت أن لا نتيجة لها.

❖ «حزب الدعوة»، اللبانيون باستثناء الشيعة لا يعرفون شيئاً عنه. هناك من يعرف الكثير عنه، لكن كثيرين لا يعرفون إلا القليل ومن الإعلام. من مواكبتك للأحداث هل يمكن أن تُحدّثنا عن إنشاء «حزب الدعوة» أو تأسيسه؟

- «حزب الدعوة» يُمثّل قلقاً فكرياً إسلامياً في الساحة الشيعية العراقية. ولم يكن هناك في الساحة الشيعية على مستوى العالم حزب إسلامي سياسي، على طريقة «الإخوان المسلمين»، أو على طريقة «حزب التحرير». كانت هناك حركة «فدائيان إسلام» التي يقودها نواب صفوي الذي تأثر ربما بـ «الإخوان المسلمين». لكنّها كانت حركة محدودة جداً، وأخذت بأسلوبه العنفي الذي قضى عليها. لذلك كان لدى بعض الشباب الشيعة إحساس، وخصوصاً الذين منهم عاشوا في أجواء «حزب التحرير» ومن قريب لأنه كان له وجود في العراق وإن غير واسع من الناحية الفكرية، وفي «أجواء الإخوان المسلمين» من بعيد، كان لديهم إحساس بضرورة التجمّع. كانوا يلتقون ليتحدّثوا عن هذا الموضوع ولكن في شكل ساذج وبسيط، إذ كانوا يفتقرون إلى الثقافة السياسية وإلى الكثير من الثقافة الحزبية الإسلامية الواسعة. ولعل أفكارهم كانت أقرب إلى الضبابية منها إلى الوضوح. لقد التقت هذه المجموعة، والتقيت معها لأن أعضائها كانوا في معظمهم أصدقاء لي. لكن الجلسات كانت أقرب إلى الحديث العام منه إلى الخاص. لم يكن هناك تنظيم عندهم. ثم التقت هذه المجموعة مع السيّد محمد باقر الصدر الذي بدأ يفكر إسلامياً

بعد أن كان مستغرقاً في عالم الفقه والأصول في دراسته الحوزوية التي برز فيها مبكراً. وبرز من هذه المجموعة المتحركة السيّد مهدي الحكيم ابن المرجع السيّد محسن الحكيم، الذي اغتالته المخابرات العراقية في السودان في عهد الصادق المهدي. ومن أعضائها أبو حسن السبّيتي الذي بدا أيضاً أن المخابرات العراقية اغتالته بالتعاون مع المخابرات الأردنية. وإلى جانبهما، الحاج عبد الصاحب دخيل الذي اعتقله النظام العراقي وذوّبه بـ «الأسيد». وهناك أسماء كثيرة غير بارزة. وبدأ السيّد محمد باقر الصدر يبرز أيضاً كطاقة فكرية حين أُلّف كتاب «فلسفتنا» الذي ردّ فيه على الماركسية. يومها بدأ التنظيم. وكان السيّد محمد باقر الصدر هو الذي يكتب دستور الحزب الذي تعرّف عليه الناس باسم «الأسس للدعوة الإسلامية». وهو موجود في معظم أدبيات «حزب الدعوة»، وقد نُشر في وقت من الأوقات. وبقي هذا الحزب محدوداً جداً وذلك ما بين عامي 1957 و1958. ومن الطبيعي أنني كنتُ في هذا الجوّ لكنني لم أدخُل التنظيم، ولم يكن الإخوان يتعقدون من حضوري لأنني كنتُ إسلامياً حركياً على نحو بارز جداً. وعندما حَدَّثَ الانقلاب على الحكم الملكي، وجاء عبد الكريم قاسم وتحرك المدّ الشيوعي في العراق، شعرتُ «النجف» بالخطر والاهتزاز، لأنه كان أول تجربة مضادة ملحدة تعملُ على اجتياح العراق. ومن الناحية العقائدية وصفوه بـ «المدّ الأحمر». في ذلك الوقت تأسست «جماعة العلماء»، وبدأت التحرك على أساس احتواء عبد الكريم قاسم، وكانت تُصدِر منشورات للجماهير تشتمل على بعض الجوانب السياسية والإسلامية وتشيد بعبد الكريم قاسم باعتبار أنه مسلم وذلك من أجل احتوائه، لأنه كان هو يلعب هذه اللعبة... ثم بدأ «حزب الدعوة» التحرك في هذه الساحة، وكانت المنشورات الصادرة عنه يكتبها قياديون فيه. تلت ذلك حملة دينية على الحزب الشيوعي في النجف، فأصدر المرحوم السيّد محسن الحكيم أول فتوى أن الشيوعية كفرٌ وإلحاد أو ترويجٌ للكفر والإلحاد. فمن انتمى فكرياً إليها هو كافرٌ وملحد، ومن انتمى سياسياً فهو مروّجٌ للكفر والإلحاد. وتتابعت فتوى العلماء من المرجعيات الأخرى، وحدثت هزّات سياسية، وكان «حزب البعث» يحمي ويختفي وراء تحرُّك العلماء، خصوصاً أن عدداً من شبابه كانوا أبناء علماء في «جماعة العلماء» في النجف الأشرف.

❦ هل كان لـ «جماعة العلماء» علاقة بعبد الكريم قاسم؟

- لم تكن لها علاقة به، لكنّها كانت تحاول أن تجتذبه وتأمّن شرّه. وأصدرت

مجلة الأعضاء منذ 42 سنة. صحيح أن صدورها كان تحت اسم «جماعة العلماء»، لكنها كانت تحت إشراف «حزب الدعوة»، وكان السيد محمد باقر الصدر يكتب افتتاحيتها الأولى تحت عنوان «رسالتنا»، وكنت أكتب الافتتاحية الثانية بعنوان «كلمتنا»، ثم حدثت ضغوط على السيد محمد باقر الصدر فانسحب من كتابة الافتتاحية بعد العدد السادس. وكان ذلك نتيجة ظروف حوزوية أرادت له أن لا يبرز بهذا العنوان الحزبي لأن له مستقبلاً مرجعياً. وبقيت أنا أكتب «كلمتنا» وأصبحت هي الافتتاحية الأولى، ولمدة ست سنوات. وقد جمعت هذه الكلمات في كتابي «قضايانا على ضوء الإسلام». لقد مثلت هذه الافتتاحيات كلمات حركية إسلامية تتحرك في ذلك المناخ الإسلامي الحماسي الذي لا يلتقي مع أي تيار آخر باعتبار الذهنية الإيديولوجية الحادة... بقيت في الجو الإسلامي وداخل مناخ الحركة، لكنني لم أنتم إليها تنظيمياً. كان «حزب الدعوة» ككثير من الأحزاب العربية غير الإسلامية يأخذ بنظام الخلايا على الطريقة الماركسية. ولم أكن أشرف على أي خلية أو جزء من أي خلية، لكنني كنت في هذه الأجواء، وكنت أتحدث مع العلماء عن إيجابيات الحركة الإسلامية. أذكر أنني تحدثت مع الشيخ محمد مهدي شمس الدين في النجف عن الحركة الإسلامية من دون أن أدعوه إلى الانتماء إليها، كما لم أدع نفسي. وتحدثت مع الشيخ محمد مهدي الآصفي في الأمر نفسه أيضاً.

❖ هل استقطب «حزب الدعوة» معظم الشيعة العراقيين؟

- عندما بدأ «حزب الدعوة» حركته، استطاع أن يأخذ حماية من خلال المرجعية، إذ كان يضم في صفوفه مثلاً، السيد مهدي الحكيم ابن المرجع السيد محسن الحكيم. وكان السيد محمد باقر الحكيم، إلى جانب السيد محمد باقر الصدر، وكانت مرجعية السيد محسن الحكيم منفتحة وتتميز عن المرجعيات التقليدية بانفتاحها، كان الرجل يمتلك رحابة حتى في الفهم السياسي، ولذلك أصدر فتوى بإعطاء الحقوق الشرعية للمقاومة الفلسطينية في وقت مبكر جداً. استطاع «حزب الدعوة» اجتذاب رضى السيد الحكيم، حتى وجهت إليه أسئلة شرعية مثل: هل يُشجع الحركة الإسلامية الحزبية؟ وكان يجبُ بإيجابية.

استطاع «الحزب» أن يستفيد من مرجعية السيد الحكيم وأن ينفذ إلى الكثير من المواقع التي تتحرك فيها المرجعية، فاستطاعوا مثلاً الحصول على أن يرسل

المرجع وكلاء إلى أكثر من موقع في العراق . كما بدأ السيد الحكيم أسلوب إقامة المكتبات الإسلامية في العراق وكان «حزب الدعوة» أكثر من يشرف عليها . وكان الشيخ شمس الدين أحد وكلاء السيد الحكيم في بلدة الديوانية ، وقد أسس مكتبة عامة بإشراف السيد الحكيم هناك . . .

بذلك استفاد «حزب الدعوة» في امتداداته وسط هذه الأجواء ، حتى إن السيد الحكيم عندما كان يتحرك معارضاً الحكم كان «حزب الدعوة» هو الذي يُثير الأجواء ، ويخلق الظروف المؤاتية لحركته التي كانت حركة مؤاتية ومحدودة ولم تكن حركة حكم . ونحن نعرف أن مصطفى البرزاني آنذاك كان له صلة بالسيد الحكيم باعتبار أنه كان معارضاً للحكومة العراقية . . .

❖ هل توسّع نفوذ حزب الدعوة إلى خارج العراق؟

- استطاع «حزب الدعوة» أيضاً أن يدخل الجامعة باعتبار أن كوادِرَه كانت مثقفة . استطاعت دخول الجامعة وأخذ ما يُناسب الحوزة منها . جاء طلاب يحملون شهادات جامعية ودخلوا الحوزة ، فحصل «الحزب» على كوادر ثقافية في الجامعة ، وكوادر جامعية في الحوزة ، مما جعله إلى جانب المكتبات والوكلاء ممتداً ، فتجاوز العراق إلى الخليج في أكثر من موقع ، وإلى لبنان على نحو محدود جداً . ثم حدثت الأوضاع السياسية الحادة التي اضطهد فيها السيد محسن الحكيم واعتصم في داره ولوجح ولد السيد مهدي الحكيم ، وبدأ العد العكسي لذلك . لا شك في أن العراق ثار من أقصاه إلى أقصاه مباحياً السيد الحكيم الذي لم يكن في وارد ثورة ، فلم يحدث شيء . وهذا حصل أيام عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف ، بعدها توفي السيد الحكيم فلاحق النظام والحكم العراقيان «حزب الدعوة» ، واللذان أصدرَا حكماً رجعياً بإعدام كُلٍّ منتسب إلى «حزب الدعوة» . وقد كان السيد محمد باقر الصدر قد أصدر فتوى بحرمة الانتماء إلى حزب البعث العراقي ، كما أنه أصدر ، نتيجة بعض الظروف الحوزوية والأمنية ، بياناً بعدم انتماء الطلاب الحوزويين إلى «حزب الدعوة» . لم يكن ذلك تنكراً للحزب الذي بقي السيد الصدر معه إلى آخر حياته ، بل لأن الصدر كان يفكر أن الحوزة تنتج علماء للمناطق ، والعالم لا بد من أن يكون للناس جميعاً . فإذا كان مصبوغاً بصبغة حزبية فإنه سوف يكون مع جزء من الناس ولا يكون للناس كافة . بعدها بدأت الاعتقالات والإعدامات لأعضاء «حزب الدعوة» وقياداته . ومن أوائل الذين أعدموا أحد قياديي الدرجة

الثانية من «الدعوة» وهو الشيخ عارف البصري وخمسة معه. ثم بدأت الاعتقالات والتشريد والملاحقات، مما جعل الحزب يعيش مشكلة كبيرة في العراق ففترق أعضاؤه وقادته في العالم بعد ذلك.

جعلت هذه الأحداث عدداً من الأشخاص المنتمين إلى «الدعوة» ينتقلون إلى لبنان. فبدأ هذا التنظيم يعمل، وكان الأساس الذي ربى القيادات التي صارت في ما بعد قيادات «حزب الله».

❖ هناك، من جهة، كتابتكم عن «حزب الدعوة» وتفاعلكم وحماستكم له وعلاقتكم العضوية به إذا جاز التعبير. وهناك، من جهة أخرى، نفيكم للالتزام تنظيمياً فيه. كيف نفسر ذلك؟

- هناك فرق بين أن تكون جزءاً من الحركة الإسلامية وجزءاً من التنظيم. أنا أكرّر دائماً أنني مع كل التيارات الإسلامية ولست جزءاً منها. إنني موكلٌ بالإسلام أتبعه دائماً، ولا أطيق أن أكون جزءاً من تنظيم. حتى حين تأسس «حزب الله» وعرضت عليّ فكرة الموقع، قلتُ لهم إنني لست جزءاً من الحزب، ولكن تشاورونني في الأمور وما أوافق عليه أعطيته، وما لا أوافق عليه ترون الطريق له. وأعتقد أنه منذ انطلاقة «حزب الله» كنا منفتحين على الخط الإسلامي والمقاومة... وهم يعرفون أن كل هذا الجيل المقاوم الأول والثاني والثالث تربى على أفكاره.

❖ هل انتهى «حزب الدعوة» ولن تقوم له قائمة بعد الضربة التي وُجّهت إليه، أم إنه لا يزال موجوداً ولكن في صيغة مختلفة؟

- إن «حزب الدعوة» موجود في العالم، لكنّه لم يكن في موقعه في العراق حيث توجد بقايا منه وله حركة معارضة مسلّحة، إلى جانب القوى الأخرى. لكن وجوده ليس فاعلاً كي نقول هناك حركة حزبية «دعوتية» سياسية فاعلة. هو موجود بكوادره. ومن الطبيعي جداً أن يكون على هذه الحال جرّاء الضربات التي وُجّهت إليه، حتى إنه في بداياتها، وقفت الثورة الإسلامية في إيران ضد «حزب الدعوة»، إما لعدم إيمانه بولاية الفقيه، كما كانوا يقولون عنه، وإما لأن بعض شخصياته، كان له اتجاه مماثل لاتجاه مهدي هاشمي والمرحوم محمد منتظري. كانوا في إيران ضدّ «حزب الدعوة». بعد ذلك تبنت إيران «حزب الله» ولم تتبنّ الأحزاب الإسلامية، على رغم انسجام «حزب الدعوة» مع الجمهورية الإسلامية

فيها، وإعلانه ولاية الفقيه في أدبياته. لكنّ هذا الحزب عانى كثيراً، وخصوصاً الآن بعد أن حصلت المشاكل داخل الحركة الإسلامية العراقية، من خلال تبني إيران للسيد محمد باقر الحكيم كرئيس للمجلس الأعلى، وخروج «حزب الدعوة» من المجلس الأعلى وتحوله إلى الاستقلال. كلّ ذلك أضعف «حزب الدعوة»، لكنّه لا يزال قوّة وإن لم يكن من الناحيتين التنظيمية والعراقية... وإن لم يمتلك أيضاً الكثير من الفرص السياسية للظهور إعلامياً.

الجلسة الرابعة

❖ هناك مبدأ عندكم، لم تتزحزحوا عنه، وهو عدم التزام أيّ تنظيم حزبيّ، فهل كان لديكم مشروع كبير منذ البداية، كالمرجعية مثلاً؟

- الواقع أن المرجعية لم تكن طموحاً لي، لأنني لم أعش الظروف الموضوعية التي تؤهل الإنسان للوصول إلى هذا الموقع. فالمسألة في النجف كانت تخضع لموازن معينة، منها أن يكون الشخص قد وصل إلى مرحلة ممتدة من أربعين إلى خمسين سنة في الدراسة، مع وجود جهات تُموّله ولو بالحقوق الشرعية، كما يحدث بالنسبة إلى الإيرانيين. وقد يكون لبعض الإيرانيين المتقدمين في العلم صلة بالتجارة الموجودين في بلادهم إيران والذين يثقون به، فيرسلون له حقوقهم الشرعية لتوزيعها على الطلاب.

فالجانب المالي قد يترافق مع الجانب العلمي في هذا المقام، ولم يُصادف أنّ شخصاً لبنانياً في النجف وصل إلى مستوى المرجعية، وحتى العربي أيضاً. كانت المرجعية للإيرانيين. فهم الذين يملكون الامتداد الشعبي الواسع في إيران، والجانب المالي الذي يمدّون به طلاب العلم في النجف، لأن الإمدادات العربية لم تكن في ذلك الوقت بالمستوى المطلوب.

فالعربي خُوربت مرجعيته كالسيد محسن الحكيم، وكانت حرباً فوق العادة باعتباره عربياً. لكنّ ظروفاً معينة ساعدته مع وزنه العلمي للامتداد في المرجعية.

لهذا، لم تكن هناك أسس لهذا الطموح عندي. لكنني بطبيعتي ولدتُ وتحركتُ حُرّاً، فلا أرتبط ارتباطاً عضوياً بأي جهة بالمعنى التنظيمي، وحافظتُ على حُرّيتي حتى الآن، لأن هذا الأمر جزء من تكويني النفسي. حتى إنّ السيد محمد باقر الصدر، رحمه الله، كان لديه طموح مع شعوره بأنّ كونه عربياً لن

يُفسَح له المجال. فحين دَخَلَ أجواء الشباب والجوّ الحركي الإسلامي تَبَنَّتْ الحركة الإسلامية، وهي التي أفسحت له المجال لبداية المرجعية. لكنَّ السيّد لم يصل إلى المرجعية الشاملة، إذ كانت مرجعيته على هامش مرجعية السيّد الخوئي، رحمه الله. ولهذا كان بعض المتصلين بمرجعية السيّد الخوئي يشنّون على ولادة هذا النوع من المرجعية حرباً قوِّية جداً رغم تقدير السيّد الخوئي للشهيد الصدر الذي كان تلميذاً له. مرجعية الشهيد الصدر واجهت مشكلات كثيرة، ولم تستطع الاتساع، ثم جاء اغتياله من قبل النظام العراقي. وكانت طبيعية الحملة عليه بعد ذلك.

أنا تركتُ النجف مبكراً، ولبنان ليس موقع مرجعية وحتى السيّد عبد الحسين شرف الدين لم يكن مرجعاً، والسيّد محسن الأمين كان عنده مرجعية محدودة جداً بحكم وجوده في الشام.

قضية المرجعية بالنسبة إليّ كانت من قبيل المفاجأة والصدمة لكثيرين جرّاء ما أحاط شخصيتي من الجوّ السياسي والأدبي والثقافي. ربما إن الجانب الفقهي والأصولي الذي درجت عليه منذ أن جئتُ إلى لبنان، ومدرسة «المعهد الشرعي الإسلامي» التي خرجت الكثير من العلماء، ودرس البحث الخارج، والدروس العالية في الفقه والأصول التي أعطيها منذ أكثر من ثلاثين سنة، ربّما كل ذلك ساهم في تفكيري في المرجعية. لكنّها شكلت صدمة للمرجعيات الموجودة. وهو ما يُفسّر الحملة الصعبة عليها التي امتدت في العالم الشيعي كله، وبمختلف الوسائل، بحجة أنها مرجعية خارجة عن الخط والقواعد المتعارفة للمرجعية التي كانت عادة في النجف (العراق) أو في إيران. أما أن تكون المرجعية في لبنان وتتسع من خلال اهتمام الإعلام، فهذا ما يُفسّر الكثير من أسباب الحملة.

خلاصة الفكرة أن عدم التزامي تنظيمياً معيّناً لم يكن من خلال طموح ما، مع أنني لست ضد التنظيم والعمل التنظيمي السياسي الإسلامي، وليس بسبب وقوف هذا الشيء ضد طموحي، لكن لأنه ضد إحساسي بالحرية وتوقيي إليها. ولهذا، فالمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى مثلاً، ومن خلال تقدير السيّد موسى الصدر لي، كان من الممكن أن أكون نائباً لرئيسه. لكنني، منذ البداية، أعلنت أنني لن أُنْتَخَبَ ولن أُنْتَخَبَ. وهذا لا يعني أن هذه المؤسسات غير نافعة ومنتجة، لأن إنتاجها قد يكون جيداً خصوصاً في الوضع اللبناني المركّب طائفيّاً، ومن مجالس ملّله. فلم أحمل أي عقدة من الانفتاح على المجلس والقائمين عليه، لكنني لستُ جَزَاءً منه، وكذلك في موضوع «حزب الله»...

❖ هل علاقتكم مع السيد موسى متقدمة على علاقة المرحوم الشيخ شمس الدين؟

- نعم، لأن السيد موسى كان صديقاً في النجف، ولمدة سنوات أربع باعتبار علاقتي بآل الصدر، التي وثّقت علاقتي به كثيراً وكُنّا نلتقي في النجف. أما علاقة المرحوم الشيخ شمس الدين فمتأخرة عن علاقتي بالسيد موسى.

❖ هل كان السيد موسى يستشيركم في كلّ الخطوات التي ينوي القيام بها؟
- في كلّها لا، لكننا كُنّا نتشاور في بعض القضايا.

❖ ووصولك إلى لبنان: كيف بدأت حياتك الشخصية، والعملية، والفقهية والدينية... مع مَنْ تعاملت...؟

- حين أريد الحديث عن مجيئي النهائي للسكن في لبنان، لا بُدَّ أن أطلّ على علاقتي قبل ذلك بلبنان. فقد كنتُ أزوره كما أسلفتُ أحياناً. وكانت الزيارة الأولى سنة 1952، وهي التي بدأتُ بمشاركتي في تأبين السيد محسن الأمين، والجلسات الحوارية في بنت جبيل مع مختلف التيارات الأخرى، ولقاءاتي في بيروت مع المفكرين والأدباء والشعراء. منذُ ذلك الوقت أيضاً، انفتحتُ على بعض العلماء كالشيخ محمد جواد مغنية، والسيد هاشم معروف الحسني، والسيد عبد الحسين شرف الدين الذي وجدتُ تقديراً لي عنده. ولذلك، حين طلبتُ إجازة بالرواية منه، أعطانيها وكتب كما كان معروفاً: «أجزتُ الشريف العلامة ومفخرة كل مُتّوج بعمامة» مستخدماً السجع... كنتُ أذهب إليه فيعتنقني حين أصلُ إليه. بعدها رجعتُ إلى النجف، ومن ثمَّ عدتُ إلى لبنان مع المرحوم الوالد للاستقرار فيه، في بنت جبيل سنة 1955. وذلك الوقت لم يُطلب مني البقاء، لكن بقيت مع الوالد ما يقارب مدة سنة ونصف سنة تزوّجت في أثنائها. ولا شك في أنه كان لديّ نشاط للرجال والنساء، وجلسات حوارية مفتوحة للسؤال والجواب.

شاركتُ في المنشورات الصحافية، ونشرتُ وقتها في مجلة «الأديب والعرفان» بعض القصائد، وفي مجلة «الرسالة» الصادرة عن معهد الرسل في جونيّه ومن خلال جان كمّيد عدة قصائد في عامي 1955 و1956. كنتُ أتردّد على شارع المعرض لأجلس في «مكتبة العرفان» و«هاشم» وهناك التقيتُ لبيب الرياشي. وهكذا كنتُ كلّما قدمتُ إلى لبنان، انفتحتُ أكثر على الأفق اللبناني. أما بخصوص علاقتي فقد كنتُ أنزل في بيروت عند خالي علي بزي، رحمه الله،

الذي كانت علاقتي به قوية. عنده تعرّفتُ إلى تقي الدين الصلح ومحمد صفي الدين وزهير عسيران وكاظم الصلح. كان هناك تجانس في الانفتاح بيني وبين المرحوم خالي. انفتحتُ أيضاً على رياض الصلح، وفؤاد شهاب. ومن خلال أحاديث خالي انفتحتُ على حميد فرنجية الذي كان يثقُ به كثيراً ويؤيِّده... في بنت جبيل، انفتحتُ على الشعارين الناقدين موسى شرارة، ومحمد حسين عبد الله، وعلى الكاتب عبد اللطيف شرارة، والكاتب الماركسي محمد شرارة، وكانوا كلّهم في العراق، وكان لقائي بهم كما لو لم يكن هناك مشكلة.

أذكرُ، في تلك المرحلة، أنني أُلقيتُ عام 1955 قصيدة في بنت جبيل، رثيتُ فيها الشيخ علي شرارة، والد عبد اللطيف شرارة الكاتب المعروف، ضمّنتها نقداً اجتماعياً للذهنية العربية. وتردّدت على صور والتقيتُ في ديوان السيّد عبد الحسين شرف الدين أولاده، ومنهم مفتي صور السيّد عبد الجوّاد شرف الدين، وصدر الدين شرف الدين، والسيّد محمد رضا شرف الدين، والسيّد جعفر وعبد الله. وكنتُ أُلقي الأدياء المعروفين في صور ومنهم أحمد حجازي ابن البادية، ومحمد زكي بيضون، وأحمد مغنية. كان ديواناً ثقافياً أدبياً وذلك في حياة عبد الحسين شرف الدين.

بعدها، عُدْتُ إلى النجف، ثم رجعتُ إلى لبنان في فترةٍ أخرى. وخلال بعض الفترات، أسست حسينية في النبعة، أنشأتها «جمعية أسرة التّأخي» التي كانت بإشراف المرحوم الوالد.

في لبنان، كنتُ أذهب إلى النبعة، أُلقي الكلمات والمواظ في الحسينية. بعد ذلك، رجعتُ إلى النجف خلال الستينات، ثم ألح الكثيرون عليّ للعودة إلى لبنان. فعُدْتُ لأن أحد أولادي أصيب بمرض جعلني آتي به إلى لبنان للعلاج. وهناك ظروف أخرى أعادتني إلى النجف سنة 1966، حينها سمعتُ كلمةً عن السيّد محمد باقر الصدر نُقلت إليّ قال فيها: «كل إنسانٍ خرج من النجف خسرَ النّجف إلا السيّد فضل الله فقد خسرَ النّجف».

وحين عُدْتُ إلى النبعة، بدأتُ برنامجاً ونشاطاً مثل إقامة صلاة الجمعة وإلقاء المحاضرات الدينية، مع بعض الأحاديث السياسية. وكنتُ أُلقي المحاضرات الخاصة بالمتّقين، حتى إن كتابي «الإسلام ومنطق القوّة» شكّل خلاصة المحاضرات التي أُلقيتها هناك. وكذلك كتاب «الحوار في القرآن».

ثم بدأنا توسعة المركز الذي كان طبقة واحدة، فبنينا مكتبة عامة فوقه ومستوصفاً وسكناً للعالم الديني. أما الطبقة الثالثة فبنيناها كحوزة دينية، لدراسة العلوم الشرعية، وأسميناها «المعهد الشرعي الإسلامي». وبدأت حينها إنشاء الحوزة العلمية التي كنتُ مُدرّسها الأوّل في الدروس العالية، والتي خرّجت الكثير من العلماء الموجودين في الجنوب وغيره.

❖ هل هناك أسماء لهؤلاء الخريجين، مولانا، تحضركم الآن؟

- مثلاً كان منهم الشيخ عبد المنعم مهنّا، والسيد نجيب خلف، والشيخ راغب حرب، والشيخ محسن عطوي، وأحمد الكوراني...

❖ اصطلاحاً سنستخدم كلمة «تلاميذك»، كم كان عددهم في البداية؟ وكيف صار التطوّر كمّاً ونوعاً؟

- لقد كانوا في البداية حوالي عشرين أو خمسة وعشرين. وحين عُرِفَت الحوزة التي لم يكن في بيروت حوزة غيرها، بدأ الطُلاب يتوافدون، سواء الذين يسكنون في المبنى نفسه - كقسم داخلي - وغيرهم. وقد كنتُ أجري عليهم مساعدات شهرية، ومنهم من يعود بعد الدرس إلى منزله.

❖ لماذا كنتم تدفعون لهم؟

- هذه طبيعة الحوزات العلمية. فالمشرف على الحوزة إن كان بمستوى علمي وفقهي رفيع، يدفع المساعدات للطلاب من خلال «الحقوق الشرعية»، ولا نزال كذلك. ولهذا توسعت الحوزة. وعدنا وبنينا طبقةً للاجتماعات النسائية، إذ كنتُ أهتم بقضايا المرأة منذ البداية، فتُعقد الاجتماعات وأحاضرُ... وهكذا ارتفع البناء في النبعة وصار خمس طبقات، حتى سُميت الحسينية بخليّة النحل.

ثم كان هناك مشروع آخر، هو مشروع المسجد، من خلال المرحوم الشيخ رضا فرحات. وكطبيعة أي منطقة، اعتُبر بناء الحسينية كأنه مزاحمة للمشروع الآخر، خصوصاً عندما حضرتُ، وبدا كأنّ تنافساً حصل، فحاول الناس الاصطياد في الماء العكر. لكنني من خلال انفتاحي الدائم كنتُ أذهبُ إلى المسجد والتقي الشيخ. وبعد وفاته، تابع ولده الشيخ محمود فرحات المدير العام للمجلس الشيعي، العمل.

كانت النبعة تتسعُ لكل البقاعيين والجنوبيين، مما فتح المجال لي للتجول

يومي السبت والأحد وخلال الأسابيع، ولعقد ندوات في الجنوب والبقاع. وهكذا امتد وجودي بقاعاً وجنوباً. وكنتُ أذهب من النبعة إلى المنطقة الغربية من بيروت فأعقدُ الجلسات في المصيطبة والبسطة، وفي حسينية الخنسا في الغبيري وفي برج البراجنة، وغيرها... كنت متحرّكاً في استمرار إضافة إلى الدروس العادية التي كنتُ أعطيها. ثم وصل تجوالي إلى المناطق الشرقية، فكنتُ أذهبُ إلى الفنار، وقمتُ بمشروع بناء مسجد وحسينية هناك، وإلى سدّ البوشرية حيث ساعدتُ على بناء المسجد هناك. كنتُ أذهب كذلك إلى بياقوت، ورويسات الجديدة، وكنتُ ألتقي بعض المسيحيين. كنا نقيم الحفلات الثقافية في المناسبات الدينية وغيرها، ودعونا إليها الأستاذ نصري سلهب، والشاعر جورج جرداق، والشاعر بولس سلامة، وجوزف الهاشم، وآخرين... في حفلاتنا كنا ندعو السيّد موسى الصدر، ومبعوث الأزهر الشيخ فهم أبو عبيدة، والشيخ محمد جواد مغنية. وحين يحضر الشيخ محمد مهدي شمس الدين، كنّا ندعوه إلى إلقاء محاضرة.

لقد كان الموقع الذي نشرفُ عليه موقعاً مفتوحاً منذُ البداية.

❖ يلاحظ أن المسيحيين الحاضرين مناسباتكم كانوا مثقفين، أدباء وشعراء، هل تعدّدت العلاقة مع المسيحيين هذا الجانب؟

- لا، لقد كانت قضايا عادية مثار حديث معهم، خصوصاً أننا كنّا بفعل الذهنية الإسلامية الحركية وقتها التي أخذناها من النجف، وبفعل الوضع السياسي اليساري والعربي والفلسطيني، ننظرُ نظرة سوداء إلى حزب الكتائب، وإلى السياسيين المسيحيين مثل كميل شمعون وريمون إدّه، لأنهم شكّلوا زعامات حاولت إلغاء المسلمين في لبنان، وتحويلهم مواطنين من الدرجة الثانية، وأخذ الامتيازات والضمانات. كنّا نعيش هذا الهاجس، لا سيما حين تطوّرت الكتائب وبرزت في هذا الجانب. وبدأت تنشرُ في جريدة «العمل» التي كنّا نقرأها ما أصيبَ به المسيحيون في فلسطين من إحراق الكنيسة وغيرها. فكان لدينا إحساس بوجود حالة حذر. لذلك لم يحدث أن صارت هناك علاقات مباشرة بشكل سياسي، بسبب الحاجز النفسي آنذاك.

❖ هل حصل اتصال بكم هناك لمعرفة ماذا تفعلون وخصوصاً أنكم كنتم تعملون في ظل وجود أجهزة قوية؟ هل حصل اصطدام مثلاً؟

- لم أشعر بذلك، ربما نتيجة غياب الجانب السياسي عن الواجهة. فالسيّد موسى الصدر كان واجهة هذا التحرك، وكانت هناك إقرارات محلية أو شبه

طائفية مثل «فتيان علي». لم يكن الوجه السياسي بارزاً عندنا بحيث يثير التحسُّس ويدفعُ إلى الدراسة والحذر المضاد للآخر.

وباعتبار وجودنا في منطقة برج حمود (النبعة جزء منها)، كنّا نلتقي بعض الأرمن، ممّن كانوا يزوروننا من المجلس البلدي... وكان التقدير متبادلاً لا سيما للطرح الذي نطرحه، والانفتاح الذي نمارسه.

❖ **عدم الطرح السياسي، والاكتفاء بالجانب الديني، هل كان نتيجة قرار معين، أم لأنّ المرحلة كانت للبناء والتأسيس؟**

- حتى أكون دقيقاً أكثر، لقد كنتُ إسلامياً في خطابي السياسي وبالطريقة التي من الممكن أن لا تتناسب مع ما بدأتُ أعيشه بعد ذلك من فهم للوضع اللبناني. لهذا، كنتُ أتحدثُ في السياسة، وكنتُ غير منفتح وقتها على القومية العربية بمعناها الإيديولوجي، بل كنّا نتناقشُ مع القوميين، ومع البعثيين، كما مع الشيوعيين... وطبعاً ساد الحذر مع هذه التيارات من التجمع الذي كان يعيش معنا والذي كانوا يهتمونه بالطريقة التي كانت الاتهامات تُوزَعُ فيها أي بالعلاقة بالسفارات وما إلى ذلك.

الشيء الذي نفّيته أو نسيتُهُ أنّ هذا بالنسبة إلى الجانب المسيحي. أما الجانب اليساري فقد كان حذراً من هذا الجو، ويحاولُ النفاذ إلى الموقع الذي نحنُ فيه، ولا سيما أنه كان هناك امتدادٌ شعبي، ومحبة متبادلة مع الناس المستضعفين الذين كنتُ أزورهم وأسهر معهم، وأساعدهم حسب الاستطاعة...

من الطبيعي أن وجود السيّد موسى الصدر واجهة مهيمنة على الجوّ الشيعي خفّف من اهتمام الإعلام بكلّ حركتنا، ولذلك ما كان النشاط الشعبي وغيره يبرزُ إعلامياً. كنّا نواجهُ في الجنوب صراعاً مع البعثيين والشيوعيين، حتّى إنهم كانوا يمنعون الناس من حضور الجلسات والسهرات التي كنّا نقيمها بحجّة أنهم لا يريدونهم أن يتأثروا بأيّ فكرٍ.

❖ **هل طرحتُ في تلك الفترة، مشروع الدولة الإسلامية؟**

- لم يكن بهذا العنوان، لكنّه كفكرٍ يختزنُ هذا المبدأ، لم يكن فاقعاً كعنوان. لكننا نريدُ حُكم الإسلام. فقد جئنا من النّجف بهذه الذهنية الحركية، التي من خلالها نؤمنُ بأسلمة العالم. فماذا يكون لبنان بالنسبة إلى هذا الموضوع؟ الفكر كان

موجوداً لكنّه لم يعيش أرضية الصراع مع المسيحيين . وإن كان يحملُ الحذر من الأحزاب المسيحية، ويشعر بالخطورة منها... ومن الممكن أننا كنا ننتقدُ تقَرَب السيّد موسى ممّا وجدنا واقعية فيه بعد ذلك . فالصراع كان مع اليسار .

❖ في تلك الفترة، كان اليسار مع العروبيين في خندق واحد، وكانت الطائفة الشيعية موجودة في كل الأحزاب اليسارية والعربية، وفي النبعة تجمع شيوعي كبير مفتوح على الجنوب والبقاع . فإذا كان الصراع بينك وبين اليسار من جهة، ومع الزعامات التقليدية الشيعية من جهة أخرى، فإنك كإسلام حركي والإمام الصدر كنتما في خط واحد قائم على العداء للإقطاع . كيف كان هذا الصراع مع اليسار والإقطاع؟

- كان يغلب على الصراع مع اليساريين العرب الطابع الإيديولوجي، إسلام وقرمية، إسلام وماركسية، وهو لم يتحرّك في الخطوط السياسية التفصيلية، كعنوان مشاريع سياسية .

فإذا طُرِح عنوان الوحدة العربية، كنا نطرح عنوان الوحدة الإسلامية مثلاً . لم نكن منسجمين كثيراً مع عبد الناصر في طرح القومية العربية، ولدينا وجهة نظر سلبية تجاهها، وحين أعدم عبد الناصر «سيّد قطب» و«عبد القادر عودة» ونفّذ حملته على الإخوان المسلمين، كنّا في خط المواجهة له .

أما بالنسبة إلى الإقطاعيين، فنحن لدينا تاريخ ضد الإقطاع . وكل أهل المنطقة ينقلون عن المرحوم جدّي، أنه أرسل رسالة إلى كامل الأسعد (جد كامل الحالي) حين اضطهد أحد الفلاحين وفيها «فرعون البلاد وجرثومة الفساد كامل الأسعد»، وذكر كلمات فيها نوع من التهديد . وحاول كامل الأسعد آنذاك لعب لعبة التناقض بين موقع علمي وآخر . فسعى إلى الإيقاع بين السيّد علي محمود الأمين وهو عالم في شقرا، وبين المرحوم جدّي . لكن السيّد الأمين لم يتجاوب معه وقال له: «أنا لا أرضى عنك حتى يرضى السيّد نجيب فضل الله»، فجاء كامل الأسعد معتذراً وراضخاً...

كان لدينا عقدة من مسألة الإقطاع، وهو ما عشتُهُ منذ حضوري إلى لبنان من خلال المرحوم خالي علي بزّي الذي كان يقفُ ضده مُمثلاً بأحمد الأسعد آنذاك... وهو ما ترك تأثيراً عندي لأنني اطلعتُ على العديد من الأشياء، مما أبقى عندي هذه الذهنية المضادة للإقطاع .

حتى عندما حضر كامل الأسعد إلى حسينية النبعة، كان موقفى جافاً بالنسبة إليه مما أزعجهُ جداً، وأزعج أهل هونين وهم جماعته. وقد تحدّثت يومها حديثاً فيه نوعٌ من المساس به.

✻ من 1966 حتى 1969، بدأت الإشكالات بين الفلسطينيين واللبنانيين. بعدها بدأ الفرز في البلاد بين المسلمين والمسيحيين. والفلسطيني كان يلعب دوراً بارزاً في هذا الفرز، ومعه اليسار والعربيون. فأين كنتم من كل ذلك؟

- طبعاً، كنا نتعاطف مع الفلسطينيين انطلاقاً من عقدة الضد للتيار المسيحي المسمّى بالانعرالي، ولا سيما أن الساحة كانت ساحة توتر. فمن الممكن أننا لم نكن مع خطّ القومية العربية بالمعنى الايديولوجي، لكننا كنا مع هذا الجوّ السياسي الإسلامي العام، إن صحّ التعبير. فالفلسطينيون كانوا في النبعة وقاعدتهم في تل الزعتر، ومن الطبيعي أنهم كانوا يزوروننا على رغم الحذر المتبادل. وقد ذكرنا سابقاً رفض «فتح» تدريب بعض شباننا للدفاع عن أنفسهم.

✻ في تلك الفترة، كانت للفلسطينيين علاقة جيدة مع الإمام موسى الصدر، ولكن كان هناك حذر بينهما. هل جرب الفلسطينيون وهم في تل الزعتر، الاتصال بكم على قاعدة أنّ هناك نجماً شيعياً آخر يبرز؟

- حاولوا في شكل خفيف جداً. ومن الممكن أنهم ما كانوا يفكّرون وقتها أن هناك مستقبلاً ينتظرنا على النحو الذي يمكن أن يعتبرونا بديلاً. كانت هذه المحاولات عادية وتأخذ طابع المجاملات والزيارات. والواقع أننا كنّا خاضعين في تلك الفترة إلى حال خوف من المسيحيين، كخوفهم من المسلمين. وكان الإيحاء النفسي أن الفلسطينيين هم الضمان للمسلمين. ولذلك كان سقوط تل الزعتر بمثابة الكارثة.

✻ مولانا، في سنة 1969 حين انفجر الخلاف بين السلطة والفلسطينيين، وبين المسيحيين والفلسطينيين، ثم اندلعت حرب الستين سنة 1975، ماذا كنت تفعل خلال تلك السنوات؟

- كنت أتابع الأحداث وأحاول تتقيف الناس خلالها، بالخطب، لأثير الحذر فيهم، لا سيما بعد أن بدأت عملية الخطف على الهوية وتطوّرت. فقد كان كثيرون من شباننا وحتى الناس العاديون والبسطاء جداً يُقتلون على حاجر المتحف

والجاموس في أثناء تنقلهم للعمل. كنتُ أتابع الأحداث الحاصلة، وكان عندنا مستودع جثث يأتون بها إلينا، وحولنا الحسينية إلى مشفى ميداني. كنتُ أساعدُ الناس، وكنا نعمل على توعيتهم، وبقيتُ معهم إلى آخر لحظة، حتى إنني ذهبتُ يوم السبت الأسود إلى الجنوب وعُدْتُ بعدها إلى النبعة. لقد انخفض وزني نتيجة الجهد والعناء ثلاثين كيلوغراماً، ونتيجة قصف البناية التي كنا فيها. ومما يذكُرُ أننا كنا نعيشُ وننامُ مع أولادنا وأهلنا وأطفالنا في الملجأ، وفي غرفة لا ضمانه فيها. حتى إن الكثيرين تساءلوا أين السيّد نتيجة «ضعفي».

في يوم من تلك الأيام، حُجِرْتُ بين الشرقية والغربية على حاجز كان العماد عون مسؤولاً عنه (بين 1976 و 1977 على الأرجح) ثم ذهبنا إلى بنت جبيل، وسقطت النبعة بعد يومين أو ثلاثة.

❖ هل تذكرُ حادثة جرت معك على حاجز ما؟ هل أسيء إليك؟

- لا، لم يحدُث ذلك وقد قال ميشال عون: «إني سهّلتُ خروج فلان (السيّد فضل الله) من الحجز. وكان يحاول يومها التعاطف مع التيار الإسلامي. لقد حاولوا «جمركة» الأغراض التي كانت معنا ولم يكن هناك احترام. إلا أنه في المقابل، لم تكن هناك إهانة.

❖ هل تستطيع وصف سقوط النبعة، لا سيما في الأسبوعين الأخيرين، وصفاً دقيقاً؟

- عندما خرجتُ كان هناك «درك» على علاقة بالدولة الظاهرة وبالجهات المسيطرة. خرجت بضمانة «الظاهرة». وأذكرُ أن مُقدماً من آل شعيتو، سعى كواسطة لتأمين الخروج. كان الناس في حيرة وخوف شديد، وخصوصاً بعد سقوط المسلخ. وامتد السقوط حتى النبعة. في ذلك الوقت كان السيّد موسى الصدر يسعى وغيره، لكنّ أحداً لم يستطع فعل شيء في هذا الموضوع. لم تكن نتصورُ وقتها أن النبعة يمكن أن تسقط في هذا الشكل. طبعاً بعد دخول الكنائس وغيرهم حصلت أعمال نهب وتقتيل وطرُد للناس وسبيّ لهم. فالوضع كان مأسوياً فوق العادة، كان وحشياً...

❖ كم من سكّان النبعة بقي في تلك الفترة؟

- أغلب سكّان النبعة خرجوا، وربما بقي ما يقارب عشرة آلاف، بعد أن

كان يقطنها أكثر من ربع مليون .

❖ ماذا عن مساعي الإمام الصدر؟ هل كانت القصة أكبر منه؟
- لم يستطع فعل شيء . كانت القصة أكبر بكثير .

❖ هل أعطى الفلسطينيون سابقاً انطباعاً أن هناك استحالة لسقوط النبعة؟
- كانوا يعتبرون أنفسهم الحماة ، فلما سقط تل الزعتر ، فُتحت المسألة على كُلِّ الاحتمالات .

❖ هل شعرت حينها بأنه حصل تلاحمٌ حقيقيٌّ بين الفلسطينيين وأبناء النبعة؟
- لا ، لم يحصل تلاحم . كان هناك بعض الناس ممن لهم علاقة بالفلسطينيين ، ومن الناس من كان له علاقة بتيار الكتائب . بقي منهم من حاول التوسط بعد سقوط النبعة .

❖ كم غبت عن النبعة ، ومتى رجعت إليها؟
- لم أرجع إليها إلا بعد مجيء السوريين إلى لبنان ، وتوجهت على الفور لتفقد مبنى الحسينية والمسجد ، وكان منهوباً . وقتها كان أمين الجميل ، فلما دخل الحسينية وأراد تبيان المناقبة قال : «إن هذه سوف تبقى كما هي» ، لكن لم يبقَ فيها شيء .

❖ حين تركت النبعة وتوجهت إلى بنت جبيل ، كيف بدأت نشاطك؟
- بدأت نشاطي في بنت جبيل بالجلسات السابقة . كنتُ انتقلُ في منطقتها من «بلد» إلى آخر في نشاط مكثف فوق العادة . كنتُ أحضرُ «الأسابيع» ، وكنا نقيم الندوات في أغلب القرى الجنوبية .

❖ هل كنت تفكر بماذا ستفعل بعد ذلك؟
- لم يكن لدي فكرة ، وامتدت هذه الفترة إلى حين قُصِفَتْ سوق بنت جبيل من مَنْ حَضَرَ من «عين إبل» . يومها اجتمع أهالي بنت جبيل في بيت المرحوم الوالد ، وحضر عبد اللطيف بيضون ، وعلى أساس أن المسيحيين كانت علاقاتهم بالسوريين جيدة اتخذوا قراراً أن أتوجه مع الشيخ محمد مهدي شمس الدين للالتقي السيد موسى الصدر ونطلب منه أن يتحدث مع السوريين .

فحضرتُ من بنت جبيل إلى بيروت، وكان الشيخ محمد مهدي، رحمه الله، يقيمُ في خلدِه وقتها. توجهنا معاً إلى بعلبك، ومنها إلى الشام. أذكرُ أننا التقينا مصطفى طلاس، فتحدّث السيّد موسى الصدر، من قبيل «أن الناس تحمّلني المسؤولية، وأنتم لا تُراعون جماعتكم في الهرمل وغيرها». وقد وعده طلاس بما يمكن أن يُمونوا عليه. لكنّ شيئاً لم يَحْصُل بعد ذلك.

وحين أصبحت بنت جبيل في خطر، انتقلْتُ إلى بيت أنسابي في جويّا، ثم انتقلنا إلى الشهابية بعد أن أخذنا بيتاً مستعاراً فيها. ومع كل تنقلاتي، كنتُ أنشطُ للعمل. بعدها جئتُ إلى بيروت وسكنتُ الغبيري بدايةً، وبسبب قلق القصف، استأجرتُ بيتاً قريباً من «حرش» بيروت غادرته بعد محاولة الاغتيال.

❖ هل التقيت خلال هذه الفترة «أبا عمار» أو بعض المسؤولين الفلسطينيين؟
- لم أَلْقِهِمْ. في ذلك الوقت ولغيايب السيّد موسى، برز الشيخ محمد مهدي كنايب له. «أبو عمار» شاهدتهُ مرة واحدة، صادفتهُ وأنا نازلٌ من الصلاة في بئر العبد، فسلم عليّ، وكان لا يعرفني، قائلاً: أين الشيخ شمس الدين؟ باعتبار نيابته لرئاسة المجلس الشيعي...

وبعدها حين حصلت محاولات الاغتيال، وقررت الخروج حَصَرَ «أبو الهول» وزارني وحادثني.

❖ مسألة الذبح على الهوية، المسيحي يذبح، يأتي الفلسطيني ويذبح، فهل كان مع الفلسطيني شيعة آنذاك؟

- لم يكن بارزاً ذلك الوقت أن الفلسطينيين يذبحون على الهوية على الأقل في ذهنيتنا. كانت المسألة أن المسيحيين يذبحون على الهوية، وهو ما حصل لكثير من العمال البسطاء على «حاجز السريان»، وإن كان السريان يتبرأون من هذا الحاجز.

❖ إضافة إلى الذبح على الهوية، هل كان هناك خطف مضاد؟
- نعم، كان هناك خطف.

❖ هل كان مبرراً في رأيك؟

- نحنُ ضد الخطف طبعاً. لكن نتيجة الجوّ الحاصل حيث كانوا يحشرون

الناس في الزاوية، ولربما لفقدان الطرق، كنا نفكر في ذلك وقتها.

❖ هل طلبت منكم فتوى بذلك؟

- لا، وقد كنا ضد الخطف.

❖ ما الذي تعرضت له في «الحرش»؟

- كان «الحرش» إلى جانب المخيم الفلسطيني، أول الغبيري. وكان بيتنا ملاصقاً له. ومن خلال متابعة نشاطي وصلاتي في مسجد بئر العبد في شكل عادي، كنت أركب سيارة أجرة للذهاب، وأحياناً كنت ألقى محاضرات في الشياح وذلك منذ وجودي في النبعة، وفي كل أسبوع لدي ندوة للرجال والنساء، تتخللها الأسئلة والإجابات، وفيها ما هو السياسي، والفكري.

يومئذ كنا نقف في وجه البعث العراقي انطلاقاً من موقفه ضد الحوزة العلمية في النجف، واضطهاد العلماء، وقتلهم، وهو أمر تعاوناً فيه مع السيد موسى الصدر. وكان البعثيون يتربصون بنا، والمخابرات العراقية كانت قوية جداً في لبنان وكان عندها فيه «جبهة التحرير العربية». فأثناء توجهي من بيتي إلى حسينية الشياح، كمن البعثيون في «الحرش»، ولمجرد وصولي إلى هناك أطلقوا زخات الرصاص، ولكن «كفى بالأجل حارساً». فالسيارتان اللتان أمامي وخلفي أصيبتا وسيارتي لم تُصب. كان معي أحد أولادي (نجيب). فتابعْتُ سيرتي ووصلتُ إلى الحسينية وألقيت المحاضرة. لم أخبر أحداً كأن شيئاً لم يكن، وبعدها توجهتُ إلى منزل المرحوم الوالد قريباً من مسجد بئر العبد. عرف بذلك الناس فخرجوا في تظاهرة تأييدية واستنكارية حينها، ولا سيما الإسلاميون منهم. لم يكن وقتها «حزب الله» موجوداً بل «حزب الدعوة»، والناس الملتزمون.

الحادثة الثانية وقعت بعد أن أصبح لدي حرس. وكانت خطة البعثيين تقضي أن يدقوا الباب فأخرج وبكاتم للصوت ينفذون ما يريدونه. ولكن خرج أحد الحُرَّاس وهو حسن عز الدين، رحمه الله، واجههم فقتلوه. وفُضِّحت قصة البعثيين.

أما في الحادثة الثالثة، فقد كنت نائماً في الطبقة الخامسة، وكان عندنا ناطورة اتُهمت أنها مخبرات علينا، وأنا لا أتحمل مسؤولية إثبات ذلك أو نفيه، فبلغت، على ما يبدو بمكان نومي. أطلقوا صاروخاً نزل على سقف الطابق الرابعة. فلو

انحرف قليلاً لأصاب مكان نومي . الحمد لله لم يكن هناك أحد في الطابق الرابعة . يومها لم يُعدْ هناك مجال للبقاء ، فانتقلنا إلى شارع عبد الله الحاج ، واستأجرنا بيتاً جديداً . في ذلك الوقت ، حَضَرَ أبو الهول لزيارتي ، فقلت له : «لقد أملتُ أن مَنْ يكون قربكم يبقى آمناً ، لكن يبدو العكس» . فشعر مني تهمة غير مباشرة ، لأنه أخذ يردُّ كلاماً حول سبب مغادرتي وأنهم مستعدون للحماية .

رغم ذلك كله ، استمررت في نشاطي ، من حينها بدأ مسجد بئر العبد يتوهج ، وكان الموقع الوحيد الذي تنطلقُ منه الخطابات النارية ، والمحاضرات الموجهة الهادفة . فدخلنا الوضع اللبناني من الباب الواسع ، وبدأ الإعلام بالتوافد ، وتوهجت القصة أكثر بعد قضية المارينز وغيرها . . .

الجلسة الخامسة

✻ قصّة خطف الكتائب لسماحة السيّد.

- حصل ذلك عام 1982. كنتُ قبل الاجتياح الإسرائيلي للبنان مدعوّاً لحضور مؤتمر فكري في إيران، وعندما وصلنا إليها حصل الاجتياح. ومن الطبيعي أن اللبنانيين، ولا سيّما العلماء منهم سُنّة وشيعة، اجتمعوا وأصدروا بياناً عارضوا فيه الاجتياح وقرروا مقاومته.

بعد انتهاء برنامج الدعوة، بدأنا نستعدُّ للعودة إلى لبنان. رجعنا عن طريق سوريا وعبر البقاع. كانت الطرقات مليئة بالإسرائيليين من جهة وحزب الكتائب من جهة أخرى. سعيّتُ مع ضُباط في الجيش اللبناني في البقاع كي يؤمّنوا لي وللعلماء معي وصولنا إلى بيروت. لكنّهم تراخوا، فغامرنا ومررنا على الحاجز الإسرائيلي قرب كيفون يومها مروراً عادياً، حتّى إذا وصلنا إلى مدخل الضاحية بعد الحازمية، أوقف سيارتنا حاجزاً لحزب الكتائب، وكان في داخلها بعض الأخوة وولدي السيّد علي. ففتّش عناصره المحفظة، وطلبوا نزولنا إلى المكتب. وعثروا على بعض الصحف الإيرانية التي كان لي بعض المقالات فيها، وقرّروا نقلنا إلى منطقة الحازمية من دون أن يتحدّثوا معنا بشيء، ومنها إلى منطقة الاعتقال. رفضتُ النزول من السيارة لركوب شاحنة «بيك آب»، وبعد أخذ مرافقين فيها، أوصلونا إلى مكان وأنزلونا إلى ملجأ بناء، هناك رأيتُ أشخاصاً يتحدّثون مع بعض النساء، ولا أدري إذا كانت قضية شكوى أو غيرها. حاولنا الحديث مع المسؤول لنفهم طبيعة المسألة، فلم يُحادثنا. بقينا هناك نحو ساعتين.

صادف أنّ بعض معارفنا شاهد عملية الخطف، فذهب إلى الضاحية وأخبر أهلها بما جرى، وكانت «حركة أمل»، قوّتها وقاعدتها، متعاطفة معي. فنقل الخبر

إلى نبيه بري الذي كانت المفاوضات وقتها جارية بينه وبين بشير الجميل حول إيجاد لجنة إنقاذ للبلاد. اتخذ نبيه بري موقفاً جيداً، إذ قال: «إنَّ أيَّ عمل لن يتم إذا لم يطلق سراح السيّد». كان موقفه حاسماً وقوياً أشعرهم بأن المشروع سيسقط إذا لم يطلق سراحنا... فجأة، حضر بعض الأشخاص واعتذروا منّا بداعي الخطأ، وأوصلونا إلى الضاحية. خلال فترة الخطف، كان الصمت عقوبة كبيرة، لأنك لا تعرف ماذا يُرادُ بك. ولم يحدث سوء معاملة حينه.

❖ هل شكرتم الرئيس بري وقتها؟

- عدنا إلى الضاحية واستقبلنا استقبالاً حافلاً. لكنني في تفاصيل هذا الأمر لا أذكرُ ماذا حصل.

لقد عشنا هذه التجربة (الخطف) وعاشنا آلام المخطوفين.

❖ بئر العبد: المتابعة للعمل... وولادة «حزب الله» من رحم الحركة التي أطلقتها، دور الفلسطيني والإيراني والسوري... تطوّر العلاقة إلخ...

- قبل ولادة «حزب الله» كانت قاعدته في أكثر نماذجها، وقبل الانفتاح على الثورة الإسلاميّة في شكل مباشر، منتمية إلى «حزب الدعوة»، باعتبار أنّه الحزب الإسلامي الشيعي الوحيد في العالم العربي يومها، وهو الذي استطاع أن يعطي انفتاحاً على الوعي.

ولعلّ العملية الاستشهادية الأولى وبفعل معارضة «حزب الدعوة» للنظام العراقي آنذاك، كانت تفجير السفارة العراقية. وكان المتنفذ من «حزب الدعوة». ولهذا، فإنّ مناخ «حزب الدعوة» في لبنان كان لا يبتعدُ عن الحسم في أسلوب المواجهة العنيفة، ولا سيما أن المنطقة كانت تحفّ بالعنف. وكان من الصعب أن يفكر أي تيّار من التيارات في المواجهة في خط معارضته لأي طرف في شكل هادئ، وقد استطعت من خلال مسجد الإمام الرضا (ع) في بئر العبد إطلاق الكلمة الثورية التي كانت تعالج كلّ الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة. وشكّل خطاب الجمعة محطة لتناول قضايا المنطقة، إذ لم يقتصر على الجانب اللبناني.

لهذا، استطاع هذا المسجد بخطابه السياسي أن يصنّع روحية المقاومة التي بدأت بعد الاجتياح. فكنتُ، رغم كلّ الأحداث، أتابع الحضور إلى المسجد، كما أتابعُ الندوات والاجتماعات في البيت. ومن الطبيعي أنني لم أكن آنذاك الواجهة

الإعلامية في شكل ظاهر. وعندما حدث الاجتياح، بدأت أرعى الشباب المقاوم، المؤمن، المتدين. وكانت المقاومة الإسلامية، كما سُميت بعد ذلك، قد بدأت المواجهة ضدّ الإسرائيليين في خلده، وقد تحرّك عناصر منها من مواقعهم في الليلي، واشتدّ الضغط يومها، وكانت تعليماتي: «أنه ما دام هناك خطّ إمداد وخطّ انسحاب، فإن عليكم متابعة المقاومة. وكنتُ أشجّع العمليات الجهادية، وأحدثُ بتفاصيل المواضيع وأعرفُ ماذا يحدث، فقلتُ إذا أغلِقُ عليكم كمجاهدين خطّ الإمداد، وخطّ الانسحاب، فمن الطبيعي عدم تنفيذ عملية المقاومة.

كان الشباب المقاومون يلتقون مع الفلسطينيين، لكنّهم لم يعملوا تحت سلطتهم أو بإمرتهم، بل كانت لهم قيادتهم الخاصة باعتبارهم مجموعة جهادية ضد العدو الإسرائيلي. لهذا، أتصوّر أن هذه المجموعة هي أوّل مجموعة أطلقت المقاومة... وليست الجهة الماركسية أو الشيوعية أو الوطنية أو غيرها، لكنّ الإعلام لم يكتشف هذه المجموعة وقتها.

❖ «أمل» تقول إنها هي التي كانت على مئذنة خلد.

- واقعاً، لم يكن هناك فصل بين «أمل» والشباب المؤمن المتحرك بهذا التوجه الإسلامي الحركي. لذلك، لم تكن هناك حساسية كالتّي حصلت بعد ذلك. فالتعاون بين الشباب و«أمل» كان طبيعياً ولا مشكلة فيه. حتى في شباب «أمل»، كان هناك المتدينون والحركيون، وفي الواجهة السياسية ما كان هناك غير «أمل»، إذ أن «حزب الدعوة» لم يكن بارزاً في الساحة الشيعية، وربما نُظِرَ إليه بخذر من بعض كوادِر «أمل»، حتى إن بعض الأسماء طُرحت في مؤتمرات وحركة «أمل» على أنها من «حزب الدعوة»... ولكنّ هذا الاختلاف لم يصل إلى حدّ الصراع...

❖ هل في تلك الفترة، وُجِدت مجموعة مقاومة حركية بإشرافكم؟

- كان هناك نوع من الرعاية، لأنّ هؤلاء الشباب كانوا يلتزمون آرائِي وأفكارِي، ويصلّون معي دائماً، ويسألونني عن الحكم الشرعي في أعمالهم كي تكون شرعية...

❖ ميدانياً، هل تدخلتم؟

- لا، لأنني لم أكن أملك خبرة في هذا الموضوع وقتها. لكنني كنتُ أتابعُ

التفاصيل، فيطلعونني عليها.

❖ هل كانت هذه المجموعة تضم تلاميذ لك قريبين في الوقت نفسه من «حزب الدعوة»؟

- كان الجيل المتدين في شكل عام، الذي يعيش همّاً حركياً، قد تربى على يدي منذُ كنتُ في النبعة، لأنني وأنا هناك تابعته هذا الجيل في المصيبة والبسطة والغيري وبرج البراجنة، وتابعته في الجنوب والبقاع خلال جولاتي أيام السبت والأحد، وفي أثناء الندوات المُقامة. لذلك أستطيع القول إن أغلب جيل «أمل» أو «حزب الدعوة» أو ممن صار «حزب الله» بعدها، هو الذي عاش معي في أكثر من مسجد وحضر أكثر من ندوة وأكثر من خطّ فكري في هذا المجال.

لم يكن هناك في تلك الفترة، لا سيما بعد غياب السيد موسى الصدر، شخص يواجه الساحة بهذه الحركية كما واجهتها. وكان المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين يشارك في الخطاب السياسي، لكنّه لم يكن على هذا الشكل الجماهيري المتحرّك على الأرض.

❖ هل طرّح العمل الاستشهادي في تلك الفترة؟

- لم يكن مطروحاً في الساحة، في تلك المرحلة من المواجهة. ولكن التجربة السابقة القريبة أوحّت أن هذا العمل مشروع، ومن الممكن استخدامه حين تنهياً الظروف...

❖ هل حصلت حينها اتصالات أكثر مع الفلسطينيين...

- لم تحصل اتصالات عضوية بالمعنى السياسي للاتصال. كنت التقى بعضهم ولكن من دون تخطيط لأنني كنتُ أشعرُ بشيء من الحذر ولا أدري لماذا.

❖ ألم يتطرق الحديث إلى تلاقٍ استراتيجي أو نحوه؟

- قلتُ لم يحصل، ولكن كنّا مع هذا المناخ الفلسطيني الواقف ضد الانعزالين حسب المصطلح آنذاك...

❖ هل كان الفلسطينيون يخافون الجسم الشيعي الجديد المقاوم النامي والمستقل؟

- لم تسمح المرحلة لهم بذلك، لأنها كانت مرحلة تجييش كل الناس، وليس

فرزهم. لقد حاول الفلسطينيون ربط كل الناس بهم باعتبار أنّ الناس يحتاجون إليهم. لكن، بالنسبة إليّ، لم تكن المسألة ارتباطاً عضوياً بالفلسطينيين... ولم تصل إلى مستوى إمداد الفلسطينيين لهذه الجهات بالمال، بل بالسلاح أحياناً.

❖ مولانا، هل زيارتكم المتكررة لإيران بعد الثورة الإسلامية جعلتكم

تسمعون مباركة ودعماً لخطّ الإسلام الحركي الذي كنتم تسيرون فيه؟

- لقد انطلقت الثورة بصفاتها الإسلامية الثورية، وموقعها الشيعي، فاستطاعت أن تنفذ إلى القاعدة الشيعية سريعاً. ولهذا أمكنها أن تُركّز الكثير من القواعد وتجذب الكثير من الأشخاص الذين صاروا قيادات للحركة الجديدة «حزب الله».

ومن الطبيعي أن المسؤولين الإيرانيين والذين كانوا في السفارة الإيرانية في بيروت أو دمشق، كانوا يعيشون مع هذه الجماهير، ويتواصلون معها في المناسبات. فالثورة أثرت كثيراً، لا سيما بعدما بدأت تدعو مختلف الشخصيات إلى زيارة إيران. وبذلك استطاعت أن تُنظّمها أو أن تُنظّم بعضها.

❖ إسلامكم الحركي، ينسجم مع حركية الثورة الإسلامية في إيران. فهل

كانت إيران في حاجة إلى هذا الوضع الشيعي الحركي؟ أنت محرّك هذا

التيار، هل تفاهمت مع الإيرانيين على متابعة هذين النهج والخط؟ وهل

كنت تشعرُ بدعهم المعنوي لك؟

- حين انتشرت الثورة، ووجدت إيران قاعدتها الشعبية، فكّرت أن لا يكون هناك أيّ تنظيم آخر. فعملت على محاربة «حزب الدعوة»، من خلال وجود علامات استفهام من الإيرانيين حول بعض شخصيات هذا الحزب العراقية، أو اللبنانية. وبدأت تخطط لإلغاء «حزب الدعوة» في لبنان... وكنت أشعرُ حينها بأنه ليس هناك مصلحة إسلامية وشيعية في وجود حزبين. ولذا تحدثت مع أصدقائنا في «حزب الدعوة» أن عليهم الانسحاب من لبنان كحزب، إذ جاء التيار الذي حوّل الساحة إلى نهر كبير. نفهم أصدقائنا هذا المعنى وجمّدوا نشاطهم الحزبي، واندفع الكثيرون من شباب «حزب الدعوة» للانفتاح على الثورة الإسلامية في إيران، وخصوصاً بعدما أطلقت الثورة شعار «اللاحزبية»، وبعدما ألغى الإمام الخميني «الحزب الجمهوري» وطرح فكرة «حزب الله»، لا على أساس أن يكون تنظيمًا حزبيًا كما هو الحال في «حزب الله»، ولكن على أساس الجماهير الملتزمة بالإسلام وقضاياه. ف«حزب الله» كان بديلاً عن «حزب الدعوة» وصاحب خطّ

إسلامي منفتح على خط الثورة الإسلامية الإيرانية، وسار في خط الإمام الخميني على أساس «ولاية الفقيه».

أنا كنتُ أعتزُّ على التسمية. فالحزب حركة سياسية ليس من المألوف، ولا سيما في لبنان، ربطه بالله. واقترحت «الحركة الإسلامية» بديلاً. لكن الإمام الخميني حاول تحريك المفردات القرآنية في الخط السياسي، كـ «حزب الله» و«الاستكبار» و«الشيطان».

أول اجتماع لـ «حزب الله» حضرته وسُئِلْتُ: «ما هو موقفك؟» فقلت: «لست جزءاً من التنظيم، ولكن تشاورونني في الأمور. فما نتفق عليه أغطيه، وما نختلف عليه نجد له إخراجاً غير انقسامي». كان الاجتماع في البقاع. وانطلق «حزب الله» كخط إسلامي حركي في موقعه القيادي في شكل مستقل عني. لكن كنتُ، من خلال المسجد والساحة والخطاب السياسي، الصوت الناطق المثير والطارح للقضايا من خلال الخط الإسلامي، لأن الساحة السياسية في لبنان لم تكن قد اكتشفت بعد قيادة بارزة لـ «حزب الله»، الذي لم يكن لديه مكاتب، وكانت ساحته المساجد والشوارع... لهذا كان الإعلام الغربي يتوجه إليّ لأنّه لا يرى غيري في الساحة في هذا الشكل القيادي ولو من ناحية خطابية. ومن ذلك، نشأت فكرة أنني المرشد الروحي لـ «حزب الله».

❖ قيادات «حزب الله» وجنسياتها هل كان فيها إيرانيون؟ وهل حضروا اجتماع البقاع؟

— لم يكن في القيادة إيرانيون. أمّا الأسماء فلا أجد نفسي في حلٍّ من ذكرها، لأن القضية متصلة بالآخرين.

❖ طريقة الإمام الخميني، أنه لم يكن هناك حزب وأطر حزبية، وهذا ينسجم مع حركتكم. فمن جعل «حزب الله» يتحوّل حزباً كالأحزاب الأخرى؟

— ربما بدأ تحوّل «حزب الله» حزباً، كما نقول، عندما بدأ الصراع في الساحة. فهي كانت في حاجة إلى تنظيم عسكري وأمني، وإلى إيجاد قيادات متدرجة في هذا المجال. لهذا أتصور أنه بدأ يتحوّل إلى حزب من دون أن يعطي لنفسه هذه الصفة على أساس أن عناوينه هي عناوين قيادة الجماهير. لكنّه كلما

دخل الواقع اللبناني أكثر، كلما تلبّين أكثر، إذ شعر بأن من الصعب جداً نقل تجربة إيران الجماهيرية إلى لبنان بسبب الخصوصية اللبنانية المتنوعة التي تفرض على كل تيّار يريدُ العيش في شكل فاعل، أن تكون له مؤسسات تنظيمية قد تختلف عن الأسلوب التنظيمي للماركسيين والخلايا، لكنّه يتحرّك بما أنطلق فيه.

لقد كنتُ أخشى من تعددية الساحة الشيعية لأن ذلك سيجعلها ساحة صراع. ولهذا كنت أحاولُ أن تتحرك «أمل» لتلتزم الخط الإسلامي الحركي وليدخلها الآخرون. لكنّ الجوّ الإسلامي آنذاك المنفتح على الثورة الإسلامية في إيران كان يرى أن «أمل» اختطّت نفسها خطأً يقتربُ من الجوّ اللبناني، لا سيما أمام الظروف الإيرانية الفضاضة التي لا تعترف بالحدود والحواجز، ولا بما اسمه لبنان بالمعنى السياسي للمسألة اللبنانية.

❖ كان لـ «أمل» علاقة كبيرة بإيران، حسب معلوماتنا؟

- نعم، ولكنّها طرحت نفسها حركة لبنانية تلتزم لبنان، لا سيما بعد غياب السيّد موسى الصدر، بالمعنى السياسي للمسألة اللبنانية. وتلتزم الواقع العربي مع انفتاحها الشيعي على إيران. لكن التمايز بدأ بين «أمل» والخطوط السياسية في إيران منذُ بدايات الثورة الإسلامية.

❖ ألم تطرح «أمل» نفسها حركة دينية متحركة أو حركية؟

- السيّد موسى الصدر، حين طرح حركة «أمل» كحركة مؤمنة، سُئل في مؤتمر صحافي في بدايات انطلاقتها: «هل هي حركة إسلامية» أجاب: «الإسلام كما يفهمه موسى الصدر». فقد كان حذراً ودقيقاً في طرح العنوان الإسلامي من الناحية السياسية، وإن كان الرجل يعيش هذا العنوان الإسلامي في عقله وقلبه ووجدانه.

❖ قبل قرار إيران أنه يجب أن يكون للإسلاميين الشيعة حزب في لبنان، هل جرت محاولات مع «أمل» أو «داخلها» على مستوى القيادة أو القاعدة «لتغييرها»؟

- لا أتصوّر ذلك، أو لم يحدث هذا الأمر في شكل بارز على الأقل. فـ «أمل» كانت قد ركزت خطّوطها السياسية في وضوح، حتى إن الشهيد الدكتور مصطفى شمران قائد المقاومة أيام السيّد موسى، وصاحب الدور في «الحركة»،

كان مشدوداً إلى فكره بالنسبة إلى التحرك السياسي في لبنان. كان حركياً وممن يعملون للثورة الإسلامية مع السيد موسى، من خلال إفساح المجال لتدريب المعارضة من قبل الفلسطينيين السائرين في خط الإمام الخميني. فهو من رجال المعارضة في خط الإمام الخميني. لكنه ربما فكّر أن مسألة لبنان شيء وإيران شيء آخر.

وهو لم يتحرك لتحويل «الحركة» إلى ما يشبه «حزب الله». وقد لا يكون قادراً على ذلك أو مقتنعاً به.

❖ مع من كانت المشاورات تحصل في إيران، في ما يتعلق بـ «حزب الله»؟
- لم تكن هناك مشاورات خاصة معي. كنت أعيش في الجو العام وكان الحديث معي يتناوله. كانت هناك عقدة لدى الإيرانيين جعلتهم حذرين مني، وهي أنني كنت أبتنى مرجعية أستاذي السيد الخوئي من الناحية الفقهية، في الوقت الذي اندفعت بكل ما أمتلك من طاقة لدعم الثورة والإمام الخميني بالذات. فالأخوة في إيران عملوا على امتداد مرجعية السيد الخميني في الواقع الشيعي. إذ كلما امتدت فيه أكثر كلما تركت تأثيرها في حركيتها أكثر. فصاحب المرجعية تطلق عليه صفة نائب الإمام. وهناك نوع من القداسة للمرجع الفقيه، مما يجعل فتاواه حجة للناس أمام الله...

لقد شكّل هذا الجانب عقدة لدى كثيرين من المسؤولين الإيرانيين، بحيث قال بعضهم «لولا هذه النقطة لدى السيد فضل الله لكان واجهة إيران الوحيدة في لبنان». ولهذا لم أكن الواجهة الإيرانية في لبنان.

كان هناك تعاطف مع طروحاتي لانسجامي مع خط الثورة، ولكن كانت هناك تعقيدات تركت بعض آثارها على الأوضاع التي تحيط بي. ولعل البعض كان لا يحب وجود شخصية مستقلة آنذاك، لا سيما أنني كنت كذلك منذ بداياتي في العراق ولبنان... لقد كانت مسألة المرجعية حاجزاً عانيت منه كثيراً.

❖ ماذا عن لقاء «حزب الله» الأول ومرحلة التشاور؟

- حصل اللقاء بعد الاجتياح. ومنذ البداية، لم يحصل تشاور بالمعنى القيادي، بل تحركت المسألة في المناخ العام. ولهذا كنت أقول صادقاً، إنني لست

جزءاً تنظيمياً من أحد، وهو ما صارت به الإيرانيين مرةً. لكنني كنتُ ولا أزال موجّه الخطاب الفكري والروحي والديني لكل هذه الجماهير من «حزب الله» وغيره. كنتُ أقول دائماً: لا تُحزّبوا «حزب الله»... واعملوا على فكرة الإمام الخميني بالنسبة إلى «حزب الله».

❖ كم استمرت مرحلة تغطية ما يتناسب وفكركم؟ وكم استمرت مرحلة التشاور التي سالت عنها؟

- الواقع أن التشاور الدقيق لم يحدث، بل ربما كنت أعرف الأشياء بعد اتخاذ القرار فيها. فالتشاور كان لا على أساس ماذا نفعل، بل إخبار بما نفعل...

❖ في تلك المرحلة، كم من الناس الذين صاروا جماهير وقيادات «حزب الله» كانوا ينتمون إلى السيد فضل الله؟

- في المناخ العام، لم يكن هناك فكر مطروح في الساحة، في معنى الفكر، غير الفكر الذي كنتُ أطرحه. كانت خطابات الإمام الخميني هي التي بدأت تحرك في الساحة، وبقيت في هذه الساحة الصوت الوحيد المحرّك للإسلام في الخط الحركي. ولهذا بقيت الجماهير معي حتى وقت متأخر.

❖ هل شعرت بأن «حزب الله» بارتباطاته يمكن أن يشكل خطراً على حركتك في الساحة؟

- لم أشعر بذلك في تلك الفترة، لأنني كنتُ اعتبر نفسي ركيزة في الحركة الإسلامية. كنتُ أعتبر هذا الجمهور جمهوري، ولذلك تحركتُ معه من دون تحفظ، حتى في المراحل التي كان التحرك فيها يُعقد علاقتي بالخطوط الدولية ومحاورها والتي واجهتني بأكثر من تحرك، وصل إلى أكثر من محاولة اغتيال. فقد كنتُ مندفعاً في هذه الرحابة الإسلامية التي عشتها ولا أزال، وكنتُ أتحمس انسجامي مع نفسي في هذا المجال، وهؤلاء الأبناء هم أبنائي. وكنتُ أبتعد عن كل التحفظات التي ربما لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت لرأيت أن هناك أخطاء كبيرة في طريق السلوك لا في مصلحتي الشخصية. لكنّها طبيعة التوازن الذي أحببته لنفسي في مسيرتي في الساحة الإسلامية...

إنني أستطيع أن اعتزّ بكل هذا الجيل الذي انطلق بقوة من خلال المناخ الذي صنّع في خط الثورة ضد إسرائيل والاستكبار العالمي. إنني أقول إن الناس عندما

بقرأونسي في سنة 1947 وأنا أنظم قصيدة في فلسطين، أو عندما جئت إلى لبنان في أول زيارة في سنة 1952 حيث ألقيت قصيدة في تأبين السيد محسن الأمين تحدثت فيها عن الاستعمار الفرنسي والظلم السياسي الموجود في لبنان الذي كنت أدخله لأول مرة في حياتي، يعرفون مدى تمسكي بالوحدة الإسلامية واهتمامي بمشاكل الشباب. أنا لم أنطلق في هذا الحس الثوري الذي ربما كان ساذجاً في البداية وسطحياً، من الثورة الإسلامية في إيران ولا من «حزب الدعوة» في لبنان ولا في أي مجال. لقد كنت سابقاً على ذلك من دون أن أعرف لماذا كنت كذلك.

✽ أنتم، أول من أصدر كتاباً عن المقاومة الإسلامية في لبنان. لكن في أعقاب التحرير هناك من حاول مصادرة...

- (مقطعاً) ليست المشكلة في ذلك. فأنا أحب أن أقول، سواء صدق الناس أو لم يصدقوا، أنني كنت أرعى المقاومة فكراً وحركة حتى أوديت وهوربت وهُشمت نتيجة ذلك من الداخل والخارج تماماً كما لو كنت أصلي. فكما كنت أصلي قربة إلى الله تعالى كنت أرعى المقاومة قربة إلى الله تعالى. ولو كنت أعيش عقلاً مادياً أو شخصياً كان تصرفي كتصرف المجنون، أي أن تدخل أنت في معارك خاسرة وتحاول تحدي مواقع القوة في البلد والمنطقة بما يعرضك للخطر. هذا عمل لا يقوم به عاقل يفكر في الحسابات المادية أو الذاتية. لقد قدمت إلي الأمور على طبق من ذهب من أعلى موقع في العالم بمختلف الإغراءات... لذلك، فإن القضية لم تكن مسألة ذاتية. ولهذا، لا مشكلة عندي في أن يتحدث الناس عن دوري في المقاومة أو لا يتحدثوا عنه، إذ اعتقد أن التاريخ عندما ينطلق في مراحل الإضاءة سوف يضيء الأمور ولو بعد حين...

✽ مولانا، من جهة «حزب الله» وبعد الذي حدث، هل تشعر بالحزن أو بالغضب؟

- الواقع أنني أشعر بالحزن لأن الإنسان لا يستطيع أن يشعر بالغضب أمام أولاده. أنا لا أزال أعيش من موقع عاطفي وإنساني في كل هذا الجيل، لأنه جيل أمثلك أبوتة ولو من خلال هذه الدرجة في الأجيال. إنني أشعر بالحزن لا بالغضب وليس من ناحية ذاتية. أشعر بالحزن لأنني كنت أفكر أن أفتح أكثر من نافذة للمستقبل على مستوى الوعي والفكر الذي يمكن أن يتقدم إلى العصر، ليقدم الإسلام كدين يحترم العقل والعلم والإنسان ويمكن أن يخاطب الإنسان في

حلّ مشاكله. إنني في الوقت الذي أشعرُ فيه بالعزّة والكرامة أمام الانتصار الذي قاده «حزب الله» بكفاءة أشعر بأنني كنتُ أريدُ لهذه المسيرة أن تتنقّف أكثر، وأن تدخل العصر من موقع الفكر إلى جانب موقع المقاومة أكثر. لذلك، فإحساسي هو إحساس الأب تجاه أبنائه. لا أشعر بالغضب لأن مسألة الغضب تنطلق من الذات، وأرجو أن أكون صادقاً إذا قلت إن الذات لا تعني عندي شيئاً لأنني أعتقدُ أن الذين يختلفون داخل ذواتهم لا يعيشون عنفوان الذات.

❖ مولانا، الإسلام دين ودنيا. وأنت أسست هذا التيار وما زلت ترعاه حتى الآن وأعطى نتائج. وكثيرون كانوا يقولون: إن مناسبات سياسية عدة في لبنان توفّرت للسيد فضل الله، فلماذا لم يترجم مرجعيته لهذا التيار الديني السياسي في السياسة، مثلاً في الانتخابات النيابية والبلدية؟ لم يجب عن ذلك. بل أثر أن يتابع الحديث عن مرجعيته التي أثارت إيران الإسلامية ضده.

قال: كانت سلبية المرجعية على الجمهورية الإسلامية جرّاء النفاق الشيعة حولها، وجرّاء الشعب الإيراني الذي قد يرتبط بمرجعية خارج إيران فيتأثر بها في هذا المقام، سلباً أو إيجاباً. لذلك أصبحت المرجعية في «قَم» مسألة حيوية واستراتيجية، إن صحّ التعبير، بالنسبة إلى الجمهورية الإسلامية في إيران. ولعلنا نلاحظُ وكشاهد على ما نتحدّث به، مسألتين هما: الأولى أنّه عندما توفّي المرجع الذي كانت إيران تتبنّاه وهو الشيخ محمد علي الأراكي، اجتمع مدرّسو الحوزة العلمية في «قَم»، ويدعون جامعة المدرّسين، كي يعيّنوا المرجع. فحدّدوا سبعة أشخاص يتخيّر المقلّدون في العالم الشيعي بينهم، وطرحوا اسم السيّد خامنئي لظروف معيّنة، ولم يطرحوا أي اسم من الشخصيات المرجعية في المرجعية الفعلية في النجف كالسيّد السيستاني والشيخ الغروي أو غيرهما... ممّن كانوا يتحرّكون في خطّ المرجعية، وكان لهم امتداد مرجعي حتّى في إيران. بل اقتصروا على الشخصيات الموجودة في إيران مع أن هناك فريقاً كبيراً من الشيعة يعتقد أنّ بعض الأسماء في النجف أكثر علماً وأكثر تقدّماً في الكفاءة... ممّا يدل على أن المطلوب كان حصر المرجعية في إيران.

أما المسألة الثانية فهي أنّ السيّد خامنئي عندما طرح نفسه للمرجعية قال في البيان الصادر عنه أن المرجعية لم تكن طموحاً له، وأنّه طرح نفسه للمرجعية

خارج إيران، لأن التقارير التي قُدِّمَتْ له أفادت أن المرجعية خارج إيران لا تستطيع الوقوف على قدميها وأنها سقطت. لذلك طرح نفسه للمرجعية خارج إيران لا داخل إيران، أي لحماية المرجعية في الخارج. ثم توجَّه إلى علماء «قُم» وقال: إذا استطعتم أن تتدخلوا لحماية المرجعية خارج إيران من السقوط فأنا أنسحب». كان بقاء المرجعية في إيران مسألة حيوية بالنسبة إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وبدت قضية تتصل بسلامتها أكثر مما قد تتصل بالمسألة القومية الإيرانية، كما يُحاول البعض تفسيرها. ذلك أن المراجع الموجودين في النجف هم في الغالب إيرانيون. والمرجع البارز الآن في النجف السيّد علي السيستاني هو شخصية إيرانية. إن المسألة هي في ما يتصل بالجمهورية الإسلامية في إيران، لأن الملحوظ أنَّ هناك نقطة تؤكد هذه المسألة هي أن الإيرانيين الذين كانوا يرجعون إلى مرجعية النجف والذين لا يزالون يرجع بعضهم إلى مرجعية النجف، كانوا لا يتعقّدون من وجود المرجعية في النجف حتى داخل «قُم» ذاتها، لا سيما أن أغلب المراجع الذين تتابعوا في المرجعية الإيرانية الأصل.

أما بالنسبة إلى ما يتصل بي وبموقعي في المرجعية، فالظاهر أنَّه لم يجد ترحيباً لا في النجف ولا في «قُم». ومن الطبيعي تداخل المسألة السياسية مع المسألة المرجعية في هذا المجال من خلال الملاحظات التي ذكرناها رغم أنني أُعتبَر لدى إيران وفي العالم الخارجي، من مؤيِّدي الجمهورية الإسلامية، وتحملت الكثير حتى على مستوى الخطر بسبب تأييدي لها. وقد قالت لي إحدى الشخصيات المسؤولة إنَّه «ليست عندنا شخصية في العالم تُدافع عن إيران وتقف معها في كل الظروف غيرك...». ومع ذلك كانت الخطوط، إن صحَّ التعبير، أي بعض الأجهزة يعمل بكلِّ شراسة في مواجهة هذه المرجعية. ومن الطبيعي أنَّها امتدت إلى لبنان من خلال الذين يلتزمون القيادة الدينية أو السياسية في إيران، وابتدأت الحساسيات وما قد يُسمَّى الحرب على هذه المرجعية. وأعطت هذه المسألة للأشخاص الذين يواجهونها بقوة وشراسة كالمجلس الإسلامي الشيعي وبعض الجهات الأخرى، أعطتهم قوة لأن المسألة أصبحت تمثِّلُ جبهة واحدة. ولعلِّي ذكرتُ سابقاً أن هناك مرجعيات تقليدية في «قُم» أصدرت فتاوى ضدي، فاستغلَّ هذا الأمر في لبنان وفي أكثر من بلد في العالم الشيعي.

أما في النجف فلم يصدر عن أي مرجعية، أي موقف سلبِي. ربما صدر عن المرحوم الشهيد السيّد محمد الصدر في البداية بعض الكلمات السلبية عندما

قَدِّمَتْ إِلَيْهِ بعض البيانات أو بعض الآراء. لكنَّه تراجع عن ذلك، وأصدر بياناً بأن «قراءتي لكتب السيّد فضل الله تدلُّ على اجتهاده، وأنه مجتهد، وأن ما ذكرته في البداية هو اختلاف في الرأي، أي مناقشة في الرأي». لكنَّ بعض الأجهزة من المشايخ وأجهزة دينية رسمية في لبنان زوّرت على لسان علماء النجف بيانات تتحدث عني بسلبية قاسية جداً. وعندما عُرض ذلك على علماء النجف أنكروه، وقالوا إننا لم نتحدث أبداً بهذه الطريقة وإنَّ هذه البيانات مكذوبة علينا. لكن من الطبيعي أن الموقف بقي موقفاً لا يتجاوب مع هذه المرجعية (مرجعيتي) لأنهم يرون أنفسهم الأكثر علماً وفقهاً ويصرّحون بذلك. وربما انطلقت بعض مكاتب هذه المرجعيات في حرب شديدة على مستوى العالم الشيعي ضد مرجعيتي انطلاقاً من تصريح بعضها أنه لاحظ أن كثيراً من المقلّدين لهم قد بدأوا يعودون في التقليد إليّ. فكانت هذه مشكلة دفعتهم إلى مواجهتها بقوة وعنف من خلال استغلال بعض الآراء الفقهية أو التاريخية للتشكيك في سلامة الخط الشيعي الذي أوْمِنُ به، أو ما يتصل بنظرية الشيعة في عصمة الأنبياء أو في الأئمة، أو في الحديث عن الشك في المسلّمات، أو في بعض القضايا التاريخية وغير ذلك ممّا أثّر...

لقد استغلّت هذه الأمور في شكل بشع جداً، كما دُفِعت أموال باهظة إلى بعض الشخصيات هنا في لبنان ومشايخ لبنانيين لتأليف بعض الكتب التي تُهاجمني بأسلوب تشهيريّ يتخذ صفة العلم. كما ألّفت كتب الآن في «فَم» عندما كان يُسْتَنْطَقُ العلماء هناك أو بعض الفضلاء، كما يُسمّونهم، ما رأيكم بمن يقول كذا؟ في نسبة لا أقولها أنا، ولكنهم يقولون إن فلاناً يقول كذا؟ وأصدروا كتاباً طبعوه عدة مرات «الحوزة العلمية تُدين الانحراف»، باعتبار أنني أمثل الانحراف، في زعمهم، عن الخط الإسلامي الشيعي... ونشروا المسألة من خلال توظيف خطباء المنبر الحسيني وكثيرين من المشايخ الذين يذهبون إلى أميركا وأوروبا وأستراليا وكندا من أجل الوقوف ضد هذه المرجعية.

لكن، من المفارقات، إن الحملة كلما اشتدت أكثر كلما امتدت المرجعية أكثر. ذلك أن الأساليب التي يتبعها هؤلاء متخلّفة. فهي قد تُقنّع بعض البسطاء، لكنها لا تُقنّع الأشخاص الواعين، وخصوصاً أنهم يأخذون بكثير من الأساليب أو تحريف الكلام عن موضعه مما يظهر أمره بعد ذلك. مع ملاحظة أخرى هي هذا الحضور اليومي المتحرك على مستوى العالم، سواء على مستوى اللقاءات العالمية مع أجهزة الإعلام وعلى مستوى صفحة الإنترنت، أو على مستوى الكتب التي تصدرُ

بين وقت وآخر، أو على مستوى المحاضرات واللقاءات التي يبادرُ الناس فيها إلى السؤال عن هذا وذاك ويرون خطأً هذا وكذب ذاك. ولذلك، فإنَّ هذه المرجعية حوربتَ حرباً لم تُحارب فيها أي مرجعية شيعية في التاريخ. لكنّها لم تستطع أن تُسقطها أو تضعفها بل شاركت في تقويتها على مستوى العالم الشيعي كله. من الطبيعي أن الحرب المذكورة تركت بعض التأثيرات وأثارت بعض الشكوك، وخصوصاً أن المشايخ الذين يرتبطون بهذه المرجعية أو تلك عملوا على مقاطعة مرجعيتي. لكن يبدو أن الوسط الشعبي، على أكثر المستويات في الخليج أو في الجاليات الموجودة في الغرب أو في لبنان بالذات أو سوريا، لا يزال يرتبط بهذه المرجعية في طريقة أو في أخرى.

❖ هل لديك، مولانا، فكرة عن عدد مقلّديك في العالم الشيعي وحجمهم؟
- عندما أدرسُ المسألة من ناحية تقريبية، لأنني لا أمتلك إحصائية، فإنني أتصوّر أنها تتجاوز الملايين.

❖ مولانا، ذكرتم في سياق الحديث أن الحملة قام بها مشايخ وأجهزة، فما هي الأجهزة المقصودة، ومن هم المشايخ؟
- قد تكون بعض الأجهزة المخابراتية، (مقاطعاً: محلية؟):

هناك أجهزة مخابراتية إقليمية ولا أقصد إقليمية عربية، وقد أسلفت سابقاً حول حديث السيّد خسرو شاهي حول «هذا الموضوع»... وقضية تخصيص الكونغرس الأميركي 20 مليون دولار لزعزعة النظام الإسلامي.

❖ إذّا، استعملت المرجعية وسيلة سياسية، مولانا، في إيران؟
- عندما تداخلت المسألة السياسية مع المسألة الدينية كان من الطبيعي أن تترك بعض تأثيراتها على المرجعية. ومن الصعب جداً أن لا يكون أي شيء بهذا الحجم خصوصاً في العالم الشيعي الذي دخل الجوّ السياسي من الباب الواسع من خلال العنف السياسي الشيعي أو من خلال طبيعة الجمهورية الإسلامية التي دخلت ساحة الصراع مع الغرب من الباب الواسع، من الطبيعي جداً أن يفتح الباب أمام وضع مخططات أو القيام بدراسات لكل التناقضات والتعقيدات الموجودة في العالم الشيعي من أجل تقوية عنصر الإثارة الذي يُساهم في تمزيق الساحة أكثر، أو في تصفية بعض الحسابات مع بعض الشخصيات المعارضة لسياسة أميركية أو

إسرائيلية أو عربية أو ما إلى ذلك...

❖ مولانا، أنتَ قَمِي أو نجفي؟

- من الطبيعي أنني ولدتُ في النجف وعشتُ كلَّ شبابي فيه ودرستُ فيه. لم أدرس في «قَم» ، ولعلِّي أَرْجَحُ أن ترجع النجف إلى قوتها باعتبار العنصر التاريخي الذي تُمثِّلُه هذه الحوزة الألفية، والذي لا يُمْكِنُ أن يقوم مقامه أي عنصر. ففي النجف معنى يعيشُهُ كل شيعي في العالم بل كل مُسلم، وهو مقام أمير المؤمنين الإمام علي (ع). لذلك فإن مسألة النجف هي من المسائل التي تعيش داخل وجدان كل الشيعة، ومن الطبيعي أن لهذه الخلفية تأثيراً كبيراً في الوجدان الشيعي بالنسبة إلى موقع الحوزة العلمية في النجف الأشرف...

❖ مولانا، نحن نفهم أنه ومنذ القدم كان الشيعة يُقلِّدون مراجع عديدين. لكننا نلاحظ الآن أن هناك مرجعية استندت إلى دولة ونظام، وتحاول أن تقوم بأعمال قسرية في هذا الموضوع؟

- لا. الواقع أنه إذا أردنا الكلام بموضوعية في هذه المسألة، نقول إن الدولة في إيران، التي تفكرُ في المسألة من ناحية استراتيجية على المستوى السياسي والأمني، لم تلغِ المرجعيات الأخرى في إيران. ربما لم تشجّع المرجعيات الموجودة خارج إيران، أو أنها تحفظت عليها أو حاولت أن تحجمها لكنها لم تلغها. فالمرجعية النجفية الآن التي يُعتبر السيد علي السيستاني أحد أبرز رموزها تمتلك امتداداً في إيران، ولها ممثلون في «قَم»، وموقع واسع هناك، إذ تمارس مشاريع المؤسسات وإعطاء الأموال الشرعية للحوزة العلمية في «قَم» والحوزات الأخرى في مناطق إيران، ولأئمة الجمعة والجماعة من دون أن تواجه حرباً من المرجعية الرسمية في إيران، إذا صحَّ التعبير. كما أن هناك مرجعيات أخرى في «قَم» تتمثل بالشيخ جواد التريزي والشيخ الوحيد الخراساني والشيخ ناصر مكارم الشيرازي والشيخ فاضل اللنكراني وغيرهم... ولهم مُقلِّدون ولا يُواجهون ضغطاً على مستوى المرجعية. أي هناك اعتراف من الدولة بتعدد المرجعيات، حتى وهي تعمل لتقوية المرجعية «الولائية»، إذا صحَّ التعبير. ولهذا، فإن إيران لم تخالف التقليد الشيعي في مسألة إفساح المجال لتعدد المرجعيات، لأنها لا تستطيع ذلك، ولأن لا واقعية لمصادرة هذه المرجعيات وحصرها في واحدة وإن كانت تُرحبُ بذلك لو توفّرت الظروف الملائمة له.. كل ما هناك أنها لم تشجّع

المرجعيات خارج إيران ، لكنها لم تخض حرباً ضد بعض المرجعيات . حتى إنّ بعض الخطوط الموجودة في إيران ، التي قد تتبرأ الجهة الرسمية من مسؤوليتها عن حركيتها المضادة للمرجعية التي أمثلها ، أعلنت أنها لا تمارس حرباً ضد هذه المرجعية ، بقطع النظر عن واقعية هذا الموضوع في طريقة أو في أخرى ... ذلك أن هناك نقطة موجودة هي أن المرجعية الشيعية تتميز بالامتداد الشعبي الذي ينطلق من عنصر الثقة الدينية الحرة التي لا تُصادرُها أي دعاية ولا أي دولة ، حتى الدولة الشيعية المباشرة في هذا المجال . والذي حفظ امتداد المرجعية الشيعية على مدى التاريخ هو أنها لم تخضع لأي دولة . بل إنّ هناك ملاحظة إيجابية في جانب المرجعية الولائية أو الرسمية في إيران هي أن الأموال المصروفة على الحوزة العلمية في «قُم» أو الحوزات الأخرى في مناطق إيران لا تنطلق من الدولة بل تبقى مستمرة من الحقوق الشرعية الآتية للمرجع حتى المرجع نفسه . ويعود ذلك إلى الخوف من إمكانات التطورات المستقبلية لنوعية الدولة ، إذ قد تتغير وتصبح رغبة في خضوع الحوزات العلمية للدولة من خلال تمويلها لها ...

❖ مولانا، هل يمكننا القول إن لبنان قد يتحول مع الوقت مرجعية، أو مقراً للمرجعية الشيعية الدينية كما في النجف و«قُم»، وخصوصاً أن شيعة جبل عامل كان لهم دور كبير في الموضوع الشيعي عموماً والإيراني خصوصاً؟

- من الصعب جداً أن يتحول لبنان مرجعية بمستوى مرجعية النجف أو مرجعية «قُم» بسبب العنصر التاريخي من جهة والعنصر الديني من جهة أخرى . فالبلد الذي يحتضن المرجعية هنا وهناك يحتضن مرقداً من مرقد أهل البيت (ع) ، وبذلك تكون له قداسة تجعل الناس يُسافرون إليه من سائر أنحاء العالم . ولهذا مثلاً ، لم تُعقد الحوزات في الشكل الواسع الذي يُمثّل موقعاً روحياً ، إن صحَّ التعبير ، في لبنان ، بل عُقدت فيه عندما هاجر المهاجرون من النجف إلى منطقة السيّد زينب في سوريا . لهذا ، فإن لبنان ليس مؤهلاً بحسب المنطقة الجغرافية وبخصوصيات الموقع الديني لأن يصبح مرجعية منافسة للنجف أو لـ «قُم» حتى لو نشأ مجتهدون في لبنان ... فهناك شيء في الوجدان التاريخي والديني يجب عدم إغفاله . حتى عندما كان لبنان في جبل عامل يحتضن علماء كبار يُمثّلون وما زالوا يُمثّلون أساتذة الفقه الشيعي في كتبهم ، حتى في ذلك الوقت كان للنجف دورها الكبير الذي لم يستطع لبنان أن يغطيه . بل كان علماء لبنان يذهبون إلى

النجف ويدرسون فيها مدة قد تطول وقد تقصر. وحتى كان علماء لبنان يذهبون إلى إيران ليصبحوا مراجع هناك وشخصيات. إن لبنان لا يُمثّلُ الامتداد بين الناس. لذلك تبقى مسألة الوجدان الشيعي تفرض نفسها في هذا المجال. وليست من المسائل التي تتصلّ بالتحليل الهندسي والتخطيط الهندسي...

❖ إذا ساعدَ الله، عزَّ وجلَّ وفرَّجَ حُرْبَةَ النجف، وصارت هناك إمكانية لنشاط مستقبلي هناك، فهل نقيم في النجف، مولانا؟

- مُمكن جداً. هناك الكثير من الناس من العراقيين المقيمين داخل العراق وخارجه، وخصوصاً بالنسبة إلى العراق الذي أمتلك فيه امتداداً في مستوى التقليد، يتحدثون أن العراق إذا انفتح ورجع النجف ورجع التوازن في واقع النظام العراقي، عن مسألة ذهابي إلى النجف، بقطع النظر عما إذا كان هذا الأمر واقعياً في ذلك الزمن أو غير واقعي. فهذا أمرٌ فرضي...

❖ هل ينظر «حزب الدعوة» إليكم ككتمة ومتابعة لما بدأه الشهيد الصدر؟
- من الطبيعي أن أغلب المنتسبين إلى هذا الحزب، سواء انتساباً تنظيمياً أو انتساباً فكرياً تأييدياً، قد يجدون في هذا الشخص بعض الآفاق التي انطلقوا منها، وانفتحوا عليها في رحابة الإسلام الواعي والحضاري والحركي المنفتح. وربما يتحدّث البعض، أن هذا الشخص يُمثّلُ الامتداد لمسيرة المرجعية الرشيدة الواعية التي تمثّل فيها الشهيد الصدر. لكنني أعتقد أن المسألة تجاوزت دائرة الحزب وابتعدت المرجعية عن أن تكون في هذه الدائرة. وقد يكون من الواقعي الاعتراف بأن لهؤلاء الناس بعض تأثير في قوة هذا الوجود المرجعي. أعتقد أن المسألة تجاوزت ذلك كثيراً، حتّى إنهم هم لا يفكرون في ذلك على المستوى التنظيمي.

❖ ما نسبة مقلّديكم في إيران، مولانا؟

- هناك مقلّدون من العرب في منطقة الأهواز. وقد سمعتُ من أحد السفراء الإيرانيين أن هناك مقلّدين من الشباب الإيراني الجامعي، ولذلك بدأت المطالبة بترجمة كتبتي إلى الفارسية، وقد تُرجمَ الكثير منها. كما تُرجم «الكتاب الفقهي» الذي يشتمل على المسائل التي يحتاج إليها المقلّدون. وقد عكف بعض العلماء في قم على إخراج هذا الكتاب، وسيطبع قريباً.

❖ ماذا عن قداسة المرجعية وبرتوكولها؟ وهل لها قداسته؟

- لا قداسة، وأستطيع القول إن الناس صغيرهم وكبيرهم يدخلون على المراجع، وهذه ميزة المرجعية الشيعية عبر التاريخ.

❖ لنغز إلى «النَجف» و«قُم» والصراع بينهما. ماذا كانت تأثيرات هذا الصراع في كل القضايا المطروحة؟

- الواقع أن كلمة صراع ربما هي أكبر من الواقع. فالنَجف كان قاعدة المرجعية بحسب الامتداد التاريخي، حتى إن إيران كانت ترتبط بمرجعية النَجف رغم وجود مرجعيات إيرانية بين وقت وآخر، لكن الامتداد هو لمرجعية النَجف. يعني أنه حتى لو فرضنا أنه كانت هناك مرجعيات في إيران مثل مرجعية السيّد حسين البروجوردي وهو من المراجع الكبار، فإنها ما كانت تتجاوز إيران التي تشاركها مرجعية النَجف. فهي البعد التاريخي في مسيرة المرجعية وعمرها الآن كمرجعية حية أكثر من 1000 (ألف سنة). إيران فيها مدرسة أو مدارس، ولكن كحوزة علمية كانت حوزة النَجف تستقبل سائر طلاب العلوم الدينية للشيعية من كل أنحاء العالم. فهي التي تُمثّل قاعدة المرجعية وامتدادها وسعتها، والنكسة أصابتها من خلال النظام العراقي الذي حاول أن يصادرها. وقد يكون موقفه إيديولوجياً باعتبار أنه يريد أن يُسقطَ الموقع الديني وتحديد الشيعة، خصوصاً أن النَجف تحرّك كمعارضة سياسية للنظام. كان للمرجعية دورها في هذه المعارضة، ويمكن أن «حزب الدعوة» الحزب الشيعي الإسلامي الأوّل المعارض، كان في الواجهة في حينه وكان يحتمي بعباءة المرجعية.

قام النظام العراقي أولاً بتهجير كلّ الإيرانيين ومن هم من أصول إيرانية من العراق، وبالتالي هجر أغلب العلماء أو طُلّاب العلم الديني في النَجف، وضيّق على الباقيين منهم بحيث إن الحوزة فيها تحجّمت من حيث كونها مركزاً لطلّاب العلوم الدينية، ومن حيث طبيعة تأثيرها الديني. بعد ذلك، جاءت الثورة الإسلامية في إيران وحصل ضغط في العراق، وصار مجيء جاليات أخرى إلى العراق صعباً، كما فقدت الشخصيات العلمية البارزة التي يمكن أن تُعطي الحجم العلمي الكبير. فتوجّه طُلّاب العلوم الدينية إلى قُم. ومن الطبيعي أن الجمهورية الإسلامية هناك أفسحت المجال لهذا الامتداد الحوزوي، إذا صحّ التعبير، الذي يعطي إيران الموقع الفعلي الحيوي أو الحركي للمرجعية، لأن الضغوط التي

صارت على مرجعية النجف، لم تقل دورها الذي كان يتمثل في السيد الخوئي وكانت مرجعيته واسعة في العالم الشيعي بما في ذلك إيران، بحيث لم تستطع مرجعية السيد الخميني أن تنافسها حتى في إيران، رغم الوهج الذي أخذته إلى جانب المراجع الأخرى من مرجعيات الثورة.

لذلك كانت مسألة ضمور مرجعية النجف ناشئة من الوضع السياسي في العراق والضغط التي مارسها النظام فيه. ولم تكن ناشئة من سيطرة مرجعية «قُم» على مرجعية النجف في ساحة الصراع. لأنه، كما أشرنا، فإن «قُم» ورغم الوهج الكبير الذي أخذته من خلال الثورة الإسلامية في إيران، لم تستطع أن تنازع مرجعية النجف بقدر ما يتصل الأمر بما يُسمى بالتقليد وهو رجوع الناس بالفتيا. فالمسألة لم تكن مسألة صراع وإنما طُرِحَتْ مسألة الصراع في واقع الصحافة أكثر من الواقع الفعلي. ومن الطبيعي جداً أن الجمهورية الإسلامية عملت على تقوية مرجعية «قُم»، وعلى عدم إفساح المجال لعودة مرجعية النجف إلى الحجم الذي كان لها، وذلك بالتأكيد على أن «التقليد الشيعي» يجب أن يبقى في إيران. وهذا أمر صرّحت به شخصيات كبيرة جداً. ولعل المسألة التي كانت تحكم هذا التصور أو هذا العمل هي اعتبارهم أن للمرجع دوراً وتأثيراً كبيرين في العالم الشيعي. وربما لم تأخذ مركزية الولاية الدور الذي للمرجعية. ولهذا، فإن أي مرجعية خارج نطاق إيران ربما تترك تأثيرات سلبية على الجمهورية الإسلامية عندما تتخذ بعض المواقف، سواء من خلال آرائها أو أفكارها أو الخطوط التي تتحرك فيها، أو عندما تمارس عليها الضغوط من النظام الذي يحكم البلد الذي هي فيه... فقد يترك هذا تأثيرات.

❖ ماذا تريد سوريا من لبنان؟

- ربما كانت مسألة لبنان في الخط السياسي السوري هي مسألة الذي يُشكّل خطراً على سوريا من خلال التاريخ الذي عاشته الأوضاع اللبنانية في القضايا السورية، باعتبار أن لبنان كان أرض المخابرات الدولية. وكانت الانقلابات السورية تُصنَع في لبنان بسبب التداخل السوري اللبناني الذي يجعل سوريا منفتحة على لبنان، ولبنان منفتحاً على سوريا، الأمر الذي يسهّل التدخل في القضايا السورية من خلال المفردات اللبنانية، سواء ما كان لبنانياً في ذاته أو كان خارجياً يتحرك من خلال لبنان. لذلك فإنني أتصور أن تحلّ سوريا مسؤولية قيادتها لقوات الردع

العربية كان فيه شيء من هذا. أي أن يكون سوريا موقعٌ مميزٌ في لبنان تستطيع من خلاله أن تراقب الوضع اللبناني وتتدخل فيه بالمستوى الذي تحمي نفسها من تعقيداته، وتترك تأثيرها فيه لتكون عملية وقائية للمستقبل. أتصور أن هذا الدور بقي مستمراً حتى اللحظة الحاضرة. ومن الطبيعي أننا، عندما نؤكد على هذه المسألة في خصوصية الدور السوري من خلال وجهة نظر سوريا، فإننا لا نمانع أن يكون هناك أكثر من خطّ دولي وإقليمي عربي لتشريع الدور السوري في لبنان. فمن الممكن جداً أن يكون هناك دور دولي متقاطع مع دور إسرائيلي وربما عربي أن تُشغل سوريا بلبنان، في إطار تعقيدات الساحة اللبنانية، أو بحجة المسألة الإسرائيلية وانعكاساتها السلبية على لبنان وغير ذلك... مما يجعل قضية انشغال سوريا في لبنان وبه هدفاً دولياً وربما أميركياً، ولا مانع أن يكون أوروبياً يتقاطع مع الخط الإسرائيلي بين وقت وآخر... ذلك أن الخط الإسرائيلي في هذه المرحلة هو خطّ متحرك...

وفي هذا الاتجاه، يمكن أن نلاحظ أن سوريا تخشى خلفيات المارونية الطائفية المتقاطعة مع المارونية السياسية من خلال التصور بأن هناك عقدة طائفية عميقة تنظر إلى سوريا نظرة طائفية، بالإضافة إلى العقدة اللبنانية التي قد تعتبر عقدة مسيحية باعتبار أن لبنان في نظر المسيحيين، ولو كان ذلك في المراحل الأولى من تكوينه، دولة مسيحية. وكما قال ريمون إده، أريد أن تكون للموارنة دولة فكان لبنان، مما يجعل سوريا تواجه المسألة المارونية بالذات والمسيحية الممثلة للمارونية السياسية مع بعض الخطوط الإسلامية. ولذلك، هي تعمل على ضبط هذا بالضغط على حركية هذه الفئة والاستفادة من التعقيدات الموجودة في لبنان لمواجهة التعقيدات المارونية السياسية في الواقع الإسلامي فيحصل نوع من التوازن تستطيع سوريا أن تحمي نفسها من خلاله. من الطبيعي أن هذا التوجه يفرض دخول أجهزة الأمن السورية لبنان، كما يفرض أيضاً بقاء الجيش السوري ريثما تستقر الأوضاع وتأمين سوريا على نفسها بوجود حكم لبناني يحميها من اللبنانيين الآخرين ومن نفسه.

إنني أتصور أن المسألة تتحرك من خلال خشية سوريا من لبنان، ولذلك من الصعب جداً الحديث عن انسحاب سوري من لبنان في وقت قريب، لأنه لا يزال يعيش الفوضى الطائفية والسياسية بين وقتٍ وآخر. وأعتقد، وإن كان اعتقاداً في الهواء، أن هذا الإلحاح على انسحاب الجيش السوري من لبنان والتعقيدات

التي تحيط به وتتحرّك في داخله يؤخّر انسحابه لأنه يزيد المخاوف السورية من المستقبل اللبناني، لا سيما حين يُثار خطأً أو صواباً وجود خلفيات دولية أو إسرائيلية وراء هذا التحرك.

في رأيي أن المسألة في عمقها تتحرك في هذا الاتجاه. ومن الطبيعي أن تُطرَح عناوين السلم الأهلي الذي قام به الجيش السوري، ويدور الحديث عن أن انسحاب الجيش السوري قد يُربك السلم الأهلي لأن الجيش اللبناني لا يزال هشاً في المسألة الطائفية، ممّا قد يُحدِث الانقسام الطائفي عند أي حالة تُثيّر بعض المشاعر الطائفية في بعض المواقع الطائفية، باعتبار أنه لا يزال في فترة النقاهة. يُضاف إلى ذلك الحديث عن وحدة المسارين السوري واللبناني لأن لبنان لا يزال في حالة حرب مع إسرائيل، ولا تزال التطورات الموجودة في المنطقة من خلال ابتعاد مسألة التسوية وحركة «الانتفاضة» التي ربما تخلق مشكلة للبنان في الجانب الفلسطيني. هذا إلى جانب قدرة سوريا وحدها على ضبط المسألة الفلسطينية في لبنان مع بعض «البهارات» للقومية العربية هنا وهناك...

❖ على افتراض التسوية في المنطقة، هل سيبقي استمرار الفوضى الطائفية في لبنان السوريين فيه، وتحديدأ جيشهم؟ وهل تحتاج التسوية السلمية في المنطقة إلى ذلك في حال التوصل إليها؟

- أتصوّر أن التسوية إذا حصلت لن تكون تسوية ساذجة، بمعنى أنها مجرد حالة سلام بين العرب وإسرائيل. بل ستكون تسوية تعمل على ترتيب المنطقة ووضع أكثر من بصمة دولية على هذا البلد وذاك البلد. فأنا لا أستطيع، ولا يستطيع أحد يفهم لبنان، أن يُفسّر ما يحدث في لبنان على أنه مجرد حالة داخلية لبنانية لا علاقة لها بالخارج. ولا أريد أن أقول إن اللبنانيين عملاء للخارج، لكنهم يعرفون كيف يلتقطون إشارات الخارج. ونعرف أن الخارج قد لا يتدخل في شكل مباشر في أثناء التحضير للمستقبل بل يرسل إشارات إليه تربك الوضع اللبناني باعتبار ما سيأتي. لهذا، فأنا لا أتصوّر أن الجيش السوري سيبقى طويلاً في لبنان بعد التسوية، لأنها ستكون الحدث الذي يُعطي المنطقة حالة من التوازن في نطاق المصالح الأميركية.

❖ لتتحدث عن سوريا الكبرى. هل تبقى فكرة أم يمكن تنفيذها لاحقاً؟

- أتصوّر أن سوريا الكبرى أصبحت مجرد خيال سياسي لا واقع له. إذ أن

مسألة تكبير الدول وتصغيرها ليست سهلة بحيث تستطيع أي دولة أن تكبر نفسها أو تصغر نفسها. وهذا ما لاحظناه في مسألة الوحدة العربية والمسألة القبرصية، وفي مسائل أخرى. فتصغير الدول أو تكبيرها لا بد أن يخضع لتوافق دولي جزاء ارتباطه بالمصالح الدولية المتحركة في ساحة الصراعات الدولية. وإذا درسنا الواقع الدولي في المصالح المتحركة في المنطقة، لا نجد أن هناك أي فرصة لتكبير سوريا أو لتصغير لبنان. بل إن سوريا لا تمتلك الآن بحسب إمكاناتها الذاتية أن تتوسع لأنها تضيق الآن حتى في سوريا الصغرى وفي عملية إدارتها، فضلاً عن الجانب الاقتصادي والسياسي والتحديثي وما إلى ذلك...

لكنني أتصور أن على اللبنانيين، إذا أرادوا أن يكونوا واقعيين، أن يفكروا أن العلاقة بسوريا ليست كالعلاقة بأي دولة عربية أخرى. ولا أتحدث هنا عن شعارات العلاقات المميزة التي أصبحت كلمات استهلاكية بل، أقصد أن هناك تداخلاً بين الشعبين السوري واللبناني يُمثل ارتباطاً عضوياً وتاريخاً مشتركاً. حتى إن الموارد الذين يُمثلون المشكلة في لبنان هم سوريون بحسب تاريخهم مثلاً. وهكذا نجد التداخل بين الكنيسة الأرثوذكسية في سوريا ولبنان. هذا إلى جانب طبيعية الارتباط العضوي بين الدولتين باعتبار أن سوريا هي المنفذ البري الوحيد للبنان على العالم العربي، إذا استثنينا فلسطين، التي لن تكون حتى بعد التسوية بسهولة هذا المنفذ وواقعيته.

لهذا، لا بد من أن يعمل اللبنانيون على أساس أن يطمئنوا سوريا أن لبنان لن يكون ممراً ولا مَقَرّاً للتأمر عليها. وأن ينظروا إلى العلاقات بين سوريا ولبنان في صورة واقعية، وأن يدرسوا مسألة السياسة في مفهوم التطورات السياسية الموجودة في العالم. فنحن، عندما ندرس أميركا وكندا مثلاً، فإن ما بينهما قد يكون أكثر مما بين سوريا ولبنان، وهكذا بالنسبة إلى كل دولة كبيرة مع الصغيرة.. عندما ندرس الآن وضع السعودية مع دول الخليج الأخرى كالبحرين أو قطر لولا خصوصيتها التي حاولت بها أن تتفقت من سيطرة السعودية نجد علاقة الكبير بالصغير. من الطبيعي أن أي دولة صغيرة تجاور دولة كبيرة لا يمكنها أخذ الحرية لنفسها في الشكل الفضفاض الذي يُحدث عنه... ومن الطبيعي أن يفكر اللبنانيون في السيادة، ومن الطبيعي جداً أن يطالبوا بعدم تدخل سوريا في القضايا الداخلية اللبنانية وبعدم تسليطها بعض العملاء اللبنانيين، الذين ليسوا في مستوى أن يتحركوا سياسياً في لبنان، عليهم.

إنني أعتقدُ أن العلاقة مع سوريا تحتاجُ إلى دراسة عميقة دقيقة واقعية خارج نطاق كل هذا الجدل السياسي أو اللغو السياسي الدائر في الساحة.

❖ هل التسوية خيار آتٍ في المنطقة، وإليها؟

- إنني لا أزال أشير إلى أن التسوية هي الخيار السياسي الوحيد في المنطقة ولو بعد حين. وإنني أؤكد ما فكرت فيه، وهو أن كل هذا التعقيد الإسرائيلي المتناغم مع التعقيد الأميركي للمسألة الفلسطينية هدفه أن تحصل إسرائيل على أكبر قدر ممكن من المكاسب الجغرافية والسياسية والأمنية والاقتصادية قبل أن تتحول دولة طبيعية من دول المنطقة. هذا يؤكد التسوية ويجعلها تسير بخطى متسارعة من أجل أن تصبح العلاقات الطبيعية بين إسرائيل والدول العربية نهاية المطاف...

❖ ماذا عن نشاطكم الديني في سوريا؟ وكيف بدأت علاقتكم معها؟

- في أثناء زيارتي لسوريا، كنت أترددُ على منطقة السيدة زينب (ع) التي يسكنها الكثير من الشيعة ومن طلاب العلم الذين هُجروا من النجف الأشرف نتيجة الوضع الداخلي في العراق، وبعضهم من الأفغانيين والباكستانيين والعراقيين. كنت، في تلك الفترة، أقومُ ببيع الندوات في هذا الموقع أو ذاك، وألقي بعض المحاضرات في هذه الحسينية أو تلك الحسينية. ثم فكرتُ مع بعض الأصدقاء من العلماء هناك في تأسيس حوزة علمية دينية تُخرج العلماء. بدأنا تأسيسها فاستأجرنا لها مكاناً، ثم بدأت الدراسة فيها وكنْتُ أنفقُ عليها، بما يُنفقُ على الحوزات من المساعدات للطلاب ومن القيام بتكاليفها بين وقتٍ وآخر. في تلك المرحلة كنْتُ ألقي الدروس العالية على بعض العلماء المتخرجين في بيتي هناك، ثم، بعد ذلك، قُدمتُ لنا بناية قريبة من مقام السيدة زينب (ع) وتوسَّعت الحوزة نتيجة سعة المكان. وبدأنا، منذُ تلك المرحلة التي دخلنا في سنتها التاسعة، إلقاء محاضرات في أثناء ندوة مفتوحة مساء كل سبت، أتحدَّث فيها عن بعض المفاهيم الإسلامية وأتقبل فيها أسئلة الحاضرين في مختلف الشؤون الثقافية. ولم أكن أتحدَّث في السياسة، بل كنْتُ أقول للشخص الذي يطرح عليّ سؤالاً سياسياً: «عليك أن تسألني هذا السؤال في لبنان، لأن هناك تحفظات في الحديث السياسي الواسع في سوريا». وقد نجحت الندوة نجاحاً كبيراً لأنها ضُمَّت الكثيرين من الجاليات العربية والإسلامية، ولا سيما الذين يأتون من الخليج وغيره في أثناء المواسم الإسلامية. وقد أنتجت هذه الندوات كتاب «الندوة» الذي صدر منه ثمانية أجزاء، ونحن نعدُّ الآن الجزء التاسع. نقلتُ

الدروس العالية من البيت إلى هذه الحوزة، وأصبحت مركزاً استقطابياً للناس الآتين للزيارة في الموسم فيوجهون الأسئلة والمراجعات. وكان بعضهم آتياً من أميركا وأوروبا وأستراليا وكندا والخليج. وكنت، بين وقت وآخر، ألقى محاضرات في مراكز ثقافية كـ «اتحاد الكتاب العرب» و«المركز الإسلامي» وفي حمص ودرعا وبصرى الشام واللاذقية. كما استطعنا أن نقيم في سوريا بعض المشاريع الدينية، فبنينا مسجداً ونادياً حسينياً في درعا، كما بنينا مسجداً في منطقة إدلب، وبدأت بإرسال وكلاء عني كي يبلغوا الناس الدعوة الإسلامية والفقه الإسلامي وغيرهما. حتى إننا وصلنا إلى بلاد العلويين الذين تقبلوا ما نفعله تقبلاً حسناً. وأصبح هناك جمهور كبير من علمائهم يلتقينا ويتصل بنا. لم تكن لي علاقات كبيرة بالمواقع الرسمية. ولكن، كما أشرت، كان هناك بعض العلاقات المحدودة في هذا المجال لأنني منذ البداية حاولت أن أنأى بنفسني عن الاتصال العضوي بالجانب الرسمي...

❖ كيف رخصت لكم سوريا إنشاء الحوزة على أرضها؟

- هناك أكثر من حوزة موجودة في السيِّدة زينب (ع) ولكنها لم تأخذ ترخيصاً، وكلها تعمل على أساس غضّ النظر لأنها لا تمتلك تراخيص، أي كأن الجهات الرسمية السورية لا تريد أن تُسجّل على نفسها أنها أعطت رخصة لمدارس دينية لأن الطوائف الأخرى سوف تطلب منها ذلك. ولهذا، اعتبرت منطقة السيِّدة زينب (ع) «حرّة». يمارس الشيعة فيها مواكبههم العزائية وحفلاتهم السياسية والدينية على نحو قد لا يتناسب مع طبيعة الجو السوري السنّي في هذا المجال. لكن المسألة كانت معتبرة من قبل الأخوة السوريين كأنها مرحلة محدودة. ذلك أن الأغلب من هؤلاء العراقيين سوف يتركون سوريا إما باللجوء للدول الأوروبية والأميركية، وإما بالعودة إلى العراق حين يتغيّر الوضع فيه. أما الأفغان والباكستانيون فمن الطبيعي أن يرجعوا إلى بلادهم عندما تُحلّ مشاكلها. لهذا، لم يجد السوريون مشكلة في وجود هذا النوع من الفسيفساء البشرية وفي الحريات التي قد لا تجدها في مناطق أخرى من سوريا.

❖ ماذا عن خريجي حوزتكم السورية، سماحة السيِّد؟

- تخرّج منها الكثير من العلماء الكبار، ولا أزال أتابع كل أسبوع درس «البحث الخارجي» مع كثيرين منهم أيضاً هناك.

❖ ماذا عن التمويل؟

- وكانت الحوزة تموّل من خلال الحقوق الشرعية. إذ، عندما انفتحت على المرجعية وانفتحت المرجعية عليّ، أصبح هناك مصادر للتمويل من بعض دول الخليج يأتي من المؤمنين الذين يُخمسون أي يدفعون الخمس. وهذا أمر طبيعي... وهو ما نستعين به لتمويل هذه المشاريع وغيرها من أداء الحقوق...

❖ هل هناك طلبات انتساب إلى الحوزة من طلاب علويين؟

- لقد قبلنا قسماً من الطلاب العلويين، سواء من علويّ سوريا أو الإسكندرون. كما قبلنا طلاباً من أذربيجان، ولدينا طالب من الفلبينيين ومن أندونيسيا، وأصبحنا نقبل الطلاب من الجاليات الأجنبية إضافة إلى الطلاب العراقيين الغالبين.

❖ ومن السُنّة؟

- لا مانع، هناك طلاب سُنّة تحولوا إلى مذهب التشيع من بلاد الجزائر والمغرب.

❖ هل بدأت مرجعياً هناك؟

- لقد بدأ الامتداد المرجعي لنا في أكثر من بلد في سوريا... ومن الطبيعي أن السوريين يتعقدون من ذلك، لكنني وجدت في زيارتي لأكثر من بلد كحمص وحماه ودرعا حيث أُلقيت محاضرات أن هناك إقبالاً كبيراً بالنسبة إليّ. ومن الممكن جداً أن يكون السبب رؤيتهم أن خطابي هو خطاب إسلامي منفتح وليس خطاباً شيعياً فحسب.

❖ هل حصلت معك أو واجهتكَ ردود فعل سلبية؟

- لم أجد على الأقل معي، أي ردّة فعل سلبية. حتى إن المفتي العام لسوريا الشيخ كفتارو دعاني مرّة إلى إلقاء محاضرة في مسجده الذي يضمّ الآلاف وقد استقبلني بكلمات أَعْجَلَتَنِي، أعتقد أنهم وجدوا أن خطابي لا يُثيرُ أي حساسية، لهذا استقبلوني في عرينهم، إن صحّ التعبير...

❖ هل شعرت بالوحدة الإسلامية هناك؟

- في تصوّري أن هناك على السطح مناخ وحدة إسلامية. لكن أعتقد أن الوضع السياسي في سوريا في تعقيداته المذهبية قد يخلق حسّاً طائفياً عميقاً...

لهذا، فالمضمون هو أن نلتقي مع الآخرين على ما اتفقنا عليه من الناحية الثقافية وهو كثير، وعلينا أن نتفق في مواجهة التحديات التي لا تختص بمذهب دون مذهب، بل تطال رأسي الإسلام. ولهذا، فإنني أطورُ في حديثي فأحدثُ عن المستضعفين وأحدثُ عن وسائل الاستعمار في إثارة المسألة الطائفية وإرباك الواقع العربي والإسلامي. ولهذا كنتُ أقولُ إننا لا نطلبُ من السنة أن يكونوا شيعة أو العكس، بل نريدُ أن نقولُ إننا نلتقي على ما اتفقنا عليه ونتحاور بالحكمة والموعظة الحسنة في ما اختلفنا فيه.

❖ حدثنا عن علاقتك مع إيران... وعن الزيارة الأولى لها؟

- أول زيارة لي لإيران كانت في أواخر الخمسينات، وهي زيارة عادية للأماكن المقدسة هناك. ثم كانت زيارة ثانية انفتحت فيها على المجتمع الإيراني في سنة 1963 حتى إنني ذهبتُ إلى «قُم». وهناك زارني كبار العلماء، ومنهم السيد شريعتمداري وكان من كبار العلماء آنذاك، والسيد المرعشي وعلماء آخرون وعاملوني بشيء من الاحترام والتقدير، كما إنني استجبتُ لبعض دعواتهم بالنسبة إلى الغداء ونحوه... كنتُ أتحرك مع بعض المثقفين الموجودين في «قُم» آنذاك في شكل منفتح، وكان السيد شريعتمداري يُصدرُ من مركزه مجلة إسلامية باللغة العربية. وقد شاركت في نشر بعض المقالات فيها. وأذكرُ أنني كنتُ، في تلك المرحلة، في موقع المعارض للسياسة المضادة الشاهنشاهية...

ومن الطبيعي أننا، منذ انطلاقة هذه السياسة، كنا منفتحين على المسألة الفلسطينية والاستعمار البريطاني والأميركي، ولذلك وقفنا ضد حلف بغداد والحلف الإسلامي بعد أن سقط حلف بغداد بخروج العراق منه، وبقيت فيه إيران وتركيا وباكستان. كانت نظرتنا إلى نظام الشاه سلبية جداً. أذكرُ أنني كنتُ أحد المشرفين على مجلة «الأضواء» التي تصدرها «جماعة العلماء» في النجف الأشرف، وقد وقفت وإخواني الذين شاركوني الإشراف عليها موقفاً حاداً من «الاعتراف الواقعي» للشاه بإسرائيل وهو أقل من الاعتراف الرسمي. ونشرنا آنذاك رسالة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر، طبعاً برغبة من جمال عبد الناصر ومن المرجع الأكبر في النجف السيد محسن الحكيم، التي يطلبُ فيها التدخل مع الشاه من خلال بعض الأصدقاء والعلماء في طهران للتراجع عن الاعتراف. وعلّقنا على هذه الرسالة وجوابها بمقال حادٍ ضدَّ الشاه، وواجهنا الكثير ممَّن كان

لهم ارتباطات معه في حوزة النجف. وأدى ذلك إلى وقف اشتراكاتهم في مجلة «الأضواء».

في بعض تلك السفرات، التقيت السيد علي خامنئي في مشهد لأنه كان صديقاً لأخي الذي يصغرنى المرحوم السيد محمد جواد فضل الله، وكانت له علاقات بالإيرانيين ويتقن اللغة الفارسية، وهو شاعر ومؤلف ومثقف، وكانت صداقة تربطه مع السيد علي خامنئي. بقيت مع السيد خامنئي مدة أسبوع في مدينة مشهد التي كان يسكنها آنذاك، وكنا نذهب معاً إلى بيته وإلى الدروس العالية لبعض العلماء. أذكر أنه كان من رجال الثورة آنذاك، فسألته ما الذي استفدته من الثورة التي لم تنجح؟ وكان هذا سنة 1963 فأجاب: «المكسب الأول هو أن الجامعيين كانوا يعتبرون المعتمدين من المرجعية السوداء. أما الآن فأصبحوا يعتبروننا من الذين نملك فكراً متقدماً»، حسب تعبيره.

في تلك الفترة أطلعنا على بعض دقائق الثورة الإسلامية في إيران وكنا نتعاطف معها ونخاف عليها لأن الظروف المحيطة بها لم تكن تشجع على التفاؤل في نجاحها. إذ كانت في البدايات، وكان الشاه يفرض سلطته في صورة مطلقة على إيران. وقد انعكس هذا الاتجاه على موقفنا حتى إننا شاركنا السيد موسى الصدر في كتابة بيان ضد الشاه استجابة لرسالة من المرجع السيد الخوئي. كتبتُ البيان مع السيد موسى الصدر آنذاك في صور في أثناء إحدى زياراتي للبنان، وكان بياناً عنيفاً. ومن المفارقة أن صحيفة «صوت العروبة» وحدها نشرته لأن «الحياة» وغيرها امتنعت عن ذلك لأسباب عدة...

أذكر أنني زرت السيد الخميني عندما كان في قم في بعض السنوات أيضاً ولقيتُ ترحيباً شديداً منه. لكن لم يجر بينه وبينني أي حديث ذي بال يتعلق بالثورة... وقد كان واضحاً معي، وكان له جمهور كبير من العلماء، وكنتُ أشعرُ بأن الرجل يحملُ وضعا وتوجهاً مستقبلياً يختلفُ عن المراجع الآخرين في قم...

❖ من كان من العلماء مع الشاه أي كيف رأيت العلماء الشيعة والسياسة؟

- كان يقال آنذاك إن السيد شريعتمداري قريب من الشاه. لكن لم يكن قريبه منه يعني تأييده له. لكن كان وبعض العلماء الآخرين لا يشعرون بأن هناك أي إمكانية لإسقاطه. ومن هنا، كانوا يتخذون من العلاقة مع الشاه وسيلة لقضاء

بعض الحوائج أو لتخفيف بعض الضغوط التي كانت السلطة وأجهزة المخابرات تمارسها...

في إيران، يختلف الوضع عن النجف بالنسبة إلى انشغال العلماء في السياسة. فهذا الانشغال كان تاريخياً فيها. ولعلّه، منذ القرن الماضي، كان العلماء هناك يتدخلون في المسائل السياسية. ولهذا، فإن الشعب الإيراني مُسيّس دينياً أكثر من الشعب العراقي أو الشعوب العربية الأخرى، وذلك جرّاء العلماء لمواجهة السلطات، سواء في المسائل الدينية كما عندما فرض رضا شاه والد محمد رضا الشاه السُّفور ونزع الحجاب، أو في المسائل السياسية عندما حدثت في إيران معركة «المشروطة والمستبدة». كما كانت هناك بعض التحركات السياسية ضدّ روسيا من جهة وبريطانيا من جهة أخرى... حتى إنّه يُنقل عن علماء كبار قولهم «ديننا سياسة وسياستنا دين».

الجلسة السادسة

❖ هل ذهبت إلى المشاركة في الاجتماع الأول في البقاع، وفي ظنّ الدّاعين أنك أحد مؤسسي الحزب، أم كشخصٍ أطلق هذا التيار الحركي في الساحة الشيعية؟

- أتصوّر أن الجانب الثاني هو الصحيح، فمعروف أن لا أحد يتصوّر أن أكون في هذا الموقع، ولو فرضنا كنتُ، فلا أكونُ عضواً.

❖ هل كان الداعون وقتها إيرانيين؟

- كلا، لبنانيون. كان الوضع طبيعياً في الدعوة، فلم يكن فيها جانبٌ رسمي، ولم يكن الإيرانيون هم الذين دَعَوْا...

❖ كيف تطوّرت العلاقة بينكم وبين «حزب الله»، بعدما كانت علاقة أبوة؟

- لم يكن لـ «حزب الله» مقرات ومواقع باعتبار أنه لم يتموّل أول الأمر وبالمعنى التنظيمي لبنانياً. كان المسجد الرئيس له هو بئر العبد ولا مسجدٍ غيره يُثير الأفكار والمواقف. وأنا كنتُ أثيرُ هذه المسائل، بمبادرة كانت تنسجمُ مع الجو العام، لأنني كنتُ من المؤيدين للثورة الإسلامية والمتحرّكين ضدّ أميركا وإسرائيل، فكان موقفاً لا يحملُ في مفرداته أي نوع من الخلاف. أما دافعي إلى ذلك فمعروف، فأنا كنتُ منسجماً مع نفسي كوني إسلامياً حركياً، وموقفي السياسي لم يكن جديداً، بل سبق مجيئي إلى لبنان. فهذا الموقف المتميّز بالدفاع عن الحرية بمعناها السياسي الخارجي، إن صح التعبير، كان جزءاً من مخططي. ولهذا كنتُ منسجماً مع نفسي في هذا المجال ولم أكن أتلقّى شيئاً من أحدٍ بما في ذلك المواقف، لا من الإيرانيين ولا من «حزب الله»... ربما كان يحصل

لقاء في قضية ما. مثلاً حين أثّرت قضية القرار 425، أذكر أنني كنتُ البادئ بالاعتراض عليه ومناقشته لأنه ينطلقُ من آلية القرار 426. كما لم يكن بحسب مدلوله القانوني يعطي الحرية من دون قيد ولا شرط.

وحين جاءت المقاومة. تجاوزت الظروف السياسية آلية القرار 426 وغيره. والإيرانيون وقفوا بعد ذلك ضد الـ 425 بهذا اللّحاظ.

كنتُ مغامراً في دعم موقف «حزب الله». فحين حدثت مجزرة فتح الله، تحدّثتُ بصوت عالٍ، وأثبتتُ الشهداء. ويومَ قالَ غازي كنعان سنكسر أبواب الضاحية وندخلها، قلتُ: «إن أبواب الضاحية مفتوحة» وذلك كاستهانة بهذا الموضوع. كانت المواقف متميّزة بوجود إرادة صلبة، ولم أكن ألاحظ أي عواقب في هذا المجال، ربما بفعل الحماسة والحركة الإسلاميتين.

وأيضاً حين بدأت مقاومة الاحتلال في الجنوب، كنتُ أقولُ للمُقاومين: «لاحقوهم حتى بالحجارة والسكاكين». وأطلقتُ نداءً: «كلوا حشائش الأرض ولا تخضعوا لأعدائكم». وعندما كان الآخرون يتحدثون عن المقاومة المدنية الشاملة، كنتُ أتحدّثُ عن المقاومة المسلحة.

❖ يعني كانت هناك علاقة متينة بينك وبين «حزب الله»، ربما أكثر مثانةً من العلاقة الحزبية...

- صحيح. حتى إن الإيرانيين حين كانوا يُحادثونني، كانوا يتحدثون معي على أساس أنني جزءٌ من الساحة، ولستُ عنواناً. ففي المجالات العامة، يُنظر إليّ كشخص في الساحة...

❖ في تلك الفترة حصلت متفجّرة بئر العبد.

- نعم، حصلت المتفجّرة في 8 آذار 1985.

❖ هل كنت تتوقّع عملية بهذا الحجم؟

- بهذا الحجم لا، فأنا قبلها تعرضت لمحاولة اغتيال، ولكن كنا ننظر إلى حزب البعث العراقي باعتبار موقفنا من النظام العراقي، وكان حزب البعث يمارس عمليات الاغتيال. لكنني لم أتوقع أن تأتي عملية بهذا الحجم من أميركا.

❖ هل جاءتك معلومات وافية وكافية عن المنفّذين بعد العملية؟

- نعم، فقد استطاع أمن «حزب الله» أن يكتشفهم ويعتقل الكثيرين منهم.

كان أغلبهم بسطاء ومنهم عملاء منظّمون ، وأغلبهم موظفون من قبل مخابرات الجيش آنذاك ، كما أعلن . كانت تردّني المعلومات عن الاعترافات ، ويومها لم أكن الشخص الذي يُحاكم ويفتي . إذ كان السيّد علي الأمين هو الذي يتحرك مع «حزب الله» وهو القاضي لـ «الحزب» ، وقد وكل بهذا القضاء ربما من القضاء الإيراني . استدعيته وأوصيته بتلمّس الحقيقة ، إذ ربما أخذت اعترافات ومعلومات تحت تأثير التعذيب والضغط . فحملته من ناحية شرعية مسؤولية أن تكون الاعترافات مع كلّ الناس بعد إعطائهم الفرصة وحرية الخيار . حتى عندما أعدموا كما أذكر ، حاولت إنقاذ بعضهم ، ولا سيما النساء ، ومنهن بنت القاضي شريف الحسيني . عملت بكل طاقتي لإنقاذها ، لكن لم يستجب لي وقتها . الشاهد أنني لم أصدر فتوى بإعدامهم . وقتها عرفنا الحقائق ، وتم نشرها وكشفت «الواشنطن بوست» شيئاً من ذلك ، وأذكر أن ريغان (رئيس أميركا) أصدر بياناً قال فيه: «نحن لسنا وراء هذه العملية» .

ثم صدر كتاب الحجاب «وودورد» فنقل فيه عن وليم كايسي (رئيس جهاز مخابرات أميركي) ، أن هذه العملية مؤلّتها بعض السفارات العربية ، وهيأت أجواءها المخابرات البريطانية ، وهيأت الجوّ الداخلي اللبناني مخابرات الجيش ، وكان المسؤول عن مخابرات الجيش سيمون قسيس .

❖ مؤلّتها بعض الدول العربية ، مثل منّ ، مولانا؟

- ما ذكره وليم كايسي ، أن بندر آل سعود دفع 3 ملايين دولار لأن الكونغرس لم يكن يلبّي هذه العمليات . دفع حتى تلبّي المخابرات الأميركية . ثم قيل عبرهم : نحن دفعنا لجماعته (السيّد فضل الله) مليوني دولار ، فكانت رشوتهم أرخص من محاولة الاغتيال . وقتها أصدرت بياناً تحدّيت فيه ذلك ، وقلت إن هذه كذبة واضحة . فمرة يقولون أعطوني ، ومرة ورّعنا على جماعته ، وكل الناس في الضاحية تعرف أن شيئاً من هذا لم يحدث .

❖ هل كان الدور الإيراني في تلك الفترة مباشراً في «حزب الله» وظاهراً يومياً؟

- كانت العلاقة بين إيران و«حزب الله» قوية . وكان مظهرها أن السفير الإيراني يحضر المجالس الخاصة والعامة حين يأتي . لكن وقتها لم يكن الجوّ السياسي واضحاً تماماً نتيجة اختلاط الأوراق وكذلك الجوّ الإيراني . لكن بدأت

الدول العربية تحسبُ هذا الحساب. ولهذا، حين حصلت المعركة بين «أمل» و«حزب الله» دخلت أكثر من دولة عربية لمصلحة «حركة أمل»، باعتبار أن المعركة إيرانية - عربية، إذ كان يقال إن إيران تريد أن تضع موطن قدم في قضية الشرق الأوسط... حتى إن خطاب «حزب الله» في 1985 كان جزءاً من استقلاليته. منذُ ذلك الوقت، كنتُ أتحركُ من خلال فكري، ولم أكنُ أتحركُ على أساس وجود تنسيق عضوي، إن صح التعبير حتى أكون دقيقاً. ولم تكن القضايا تفصيلية كما هي اليوم، بل كانت عامة والخطوط العامة كان عليها لقاء.

❖ هل كانت لكم ملاحظات على عمل «حزب الله» الذي لم يكن لديه أمين عام؟

- كنتُ أعتبر العمل كتجربة أطلقها الإمام الخميني وكنا نراقب التجربة. كنتُ أقول إنَّ «حزب الله»، وحسب المعنى الذي أطلقه الإمام الخميني وهو الجماهير، يفقد شيئين: وحدة الفكرة، والحالة الأمنية، أو كُلّ الحماية الأمنية. إذ إنَّ الجماهير كلها في هذا الحزب. نتيجة ذلك، تحوّل «حزب الله» حزباً ولذلك لم تنجح التجربة. ولهذا السبب كنتُ أنتقد ذلك. ومما انتقدتهُ ودلّل على استقلالية إيران، كتابتي لموضوع خط البطل أو بطل الخط، انتقدتُ فيها خط الإمام. فنحن لا نمثلكُ خط شخص، عندنا خط الإسلام، والإسلام له شخصيات، وكُل واحد له خصوصيته. كنتُ أقول من الخطأ أن نقول الناصريين، أو الصدريين، ونأبى أن نقول المحمديين. فنحنُ مسلمون، ومحمدٌ كان نبي الإسلام. نحنُ لسنا كالمسيحيين ينتمون إلى المسيح. أثارت هذه الفكرة تعقيدات فوق العادة، بالنسبة إلى فريق «حزب الله»، وفريق الإيرانيين الذين لم يكونوا مرتاحين لهذا. وكثيرٌ من أبحاثي التي تبلورت في كتاب الحركة الإسلامية «هموم وقضايا» كنتُ أدعو فيها إلى العمل التغييرى من خلال المؤسسات، كالمجلس النيابي الذي لا مشكلة أن يدخله الإسلاميون. وكان هذا يُثيرُ الآخرين، ووقتها بدأت التعقيدات.

تحدثتُ منذُ تلك الفترة عن الانفتاح والانغلاق، وأنا يجبُ أن ننفتح على العلمانيين والمسيحيين وكُل الإنسان الآخر. شكّل ذلك حالة ضدية للتوجه العام. لكن نلاحظُ أخيراً أن الجميع سنّ هذه السُنّة، وحتى إيران سارت على هذا الخط.

❖ في تلك الفترة كانت هناك حرب داخلية، وكانت إسرائيل تحتل أجزاء لبنانية. و«حزب الله» انطلق عملياً من مسألتين، الأولى المقاومة

والثانية أنه فريق في الصراع الداخلي. ما كان رأيكم في ممارساته في تلك الفترة؟

- كنتُ أتصوّرُ أن «حزب الله» كان في مقام الدفاع عن النفس، وكان مستهدفاً. في حرب الضاحية، كان كثيرٌ من الناس يحاولون تفريغ الضاحية، فكنتُ أقول: لا، لا شيء بعد أن انتهت الحرب. كان يُراد محاصرة «حزب الله» بتفريغ الضاحية، وبقائي فيها أخرج الكثيرين يومها... فقد قصّف اللواء السادس بيتي، كما هاجمت «الحركة» بيتي، واستمرتُ خاضعةً لفكرة أن «حزب الله» في مقام الدفاع عن النفس. أما في موضوع إقليم التفاح فكانت هناك أخطاء كنتُ أتصوّرُها، وأُطلعتُ عليها بعد ذلك.

❖ مولانا، كنتم تنتقدون الجميع وتقولون بعدم وجود خيمة زرقاء فوق أحد، وتذكرون أن الساحة لا تخلو من النُزف، وخصوصاً بعد معركة مشغرة. يعني كانت لكم مواقف مختلفة؟

- صحيح، فأنا لم أكن مجرد إنسان يمرُّ للآخرين أعمالهم، بل كان هناك نقد لما يُمكن نقده وعدم الرضى عنه.

❖ هل كانت هناك ممارسات كالميليشيات الأخرى في المواضيع الداخلية؟

- موضوع خطف الأجانب مثلاً، كنتُ اعتبره ممارسات غير صحيحة، خصوصاً أن بعض القضايا كانت تحصل داخل الكيان اللبناني، ولم أكن موافقاً عليها، وانتقدتها بالصوت العالي.

خطف الأجانب لم أبرره في أي مرة، لكنني كنتُ أقولُ هذا: «لماذا تعطون خطف الأجانب ميزة كبيرة أو أهمية؟ فالخطفُ عمل اللبنانيين بعضهم مع بعض وأسلوبهم، وتعبيرهم في الحاجة إلى المبادلة... والخطف في بدايته كان أن أعضاء من «حزب الله» أسروا في الكويت وحُكِمَ عليهم بالإعدام». وقد ذكرتُ مرةً للسفير الفرنسي «أننا تعلّمنا الخطف منكم فأنتم خطفتُم المهدي بن بركة، وخطفتُم طائرة بن بلا، وهو أسلوب يمارسه كل اللبنانيين. فإذا كنتم تتحدثون عن الخطف بلحاظ نتائجه، فلم يخطف هؤلاء؟ وما هي الأسباب؟ لقد سعيْتُ في كثير من الحالات لإطلاق بعض المخطوفين، حتى ذكرتُ توقيعني في قضية ميشال «سورا»، واستنكرتُ ذلك. وسعيْتُ بالنسبة إلى تيري ويت، وعميد كلية الزراعة في الجامعة الأميركية. كان سعيي حقيقياً، وكنتُ مخلصاً في هذه المسألة. وسعيْتُ

أيضاً إلى حل مشكلة المخطوف في الكويت باعتبار أنني أردتُ حلَّ المشكلة، ولكنها كانت تُعقّد.

❖ مولانا، المعروف أن أميركا عقّدت المشكلة وزادتّها.
- صحيح، فهي كانت مصرّة على أنها لا تتساهل في هذا المجال.

❖ دوركم في موضوع الرهائن، مولانا، لم يقتصر ذكره على الإعلام الغربي فحسب، إذ لوحظ في الإعلام كله إصرار على أن لكم دوراً فيه؟
- من أين جاء هذا الإصرار؟ جاء من أن قيادة «حزب الله» لم تكن معروفة ومن اللقب الرسمي الذي حُمِّلَهُ المرشد الروحي له، ومن طبيعة عدم وجود القيادة، ومن خلال اجتماعهم في المسجد، وتردّدهم على بيتي. أستطيع التأكيد كما أكدت سابقاً أنني لم أطلع على خطف إنسان خطف، ولم ألتق أي مخطوف كلياً. حتى تيري ويت حضر إليّ كوسيط. ثم لم أعرف بخطفه إلا بعد أن خطف. لقد دخلت بكل جهدي وإخلاصي في هذا الموضوع ولم أستطع فعل شيء ولم أطلع... ثم خطف مرّة كوريّ وجاءني السفير الكوري وكنتُ خجلاً منه، ولم أوفق، وكان خطف خطأ. لقد سعيْتُ مخلصاً إلى الإفراج عن أكثر من مخطوف ولم أوفق...

❖ مولانا، هذا عائد لكونكم محور الحركة الإعلامية وقتها.
- نعم صحيح، فكلّ الناس يأتون إليكم. مرّة أذاعت الـ BBC أن الغرب يركّز على أن السيّد فضل الله المرشد الروحي لـ «حزب الله»، على رغم نفيه لذلك من أجل أن يُحمَلَهُ المسؤولية ولكي يتدخل من خلال الضغط في هذا الموضوع. أذكرُ أن وكالة الصحافة الفرنسية طلبت حديثاً، فقلتُ لمحمد شقير قُل للمندوبة «إنني مستعدّ أن أعطيها حديثاً شرط عدم ذكر أنني المرشد الروحي لـ «حزب الله» لأنني لا أعترف بهذه المرشدية». فاتصلت بالمركز وقالت لم يوافق...

❖ مولانا، هل كنتُ توضعُ في أجواء عمليات الخطف والمخطوفين والمفاوضات في شأنهم بعد حصولها؟
- تفصيلياً لم أكن أعرف شيئاً، وكنتُ أتابع بعض اللقطات.

❖ هل الذين ماتوا من المخطوفين علّمت بهم؟

- لا، حتى ميشال سورا ما عرفتُ بوفاته إلا بعد حصولها. زارني السفير الفرنسي فقلتُ له إنني سعيْتُ سعيّاً حثيثاً، وقيل إن الجثة ضاعت.

❖ في موضوع الخطف جانبان الجانب السياسي...

- (مقاطعاً) كنتُ أقولُ منذُ البداية إنَّ في الإسلام قاعدة «...وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...». فنحن لا نستطيع تحميل أي مواطن مسؤولية دولته، حتى إنني لم أقتصر في حديثي على الرهائن، بل تعرّضتُ لخطف الطائرات كالمطائرة الفرنسية، والبواخر، كالباحرة التي خطفها الفلسطينيون.

❖ هل هناك ربط بين محاولة الاغتيال في بئر العبد وقضية الخطف؟

- لا، قضية اغتالي جاءت نتيجة السيناريو الذي ذكروه، وهو أنني باركت شهداء مقرّي «المارينز» الأميركيين و«المظليين» الفرنسيين.

❖ يقال إن خطف «المارينز» و«المظليين» كان عملياً إشارة من «حزب الله» تفيد أننا كحزب بدأنا العمل... ما رأيكم؟

- الواقع أنه كان من الطبيعي رد الفعل، علماً أن كلمة الحزب لم تكن في هذا الوضوح. كانت القضية حرباً مع أميركا، ومن انطلق انطلق من خلال خط ضد أميركا. لكن، في هذه العملية، التقت جهات عربية ودولية عدّة بما فيها الاتحاد السوفياتي. ولا يعني ذلك أنهم (أي «الحزب») كانوا خاضعين لهذا. فقد علّقتُ على ذلك وقتها بالقول «إننا أصبحنا كنفأ لغيرنا». فنحن لم نستفد من هاتين العمليتين، ولم نستفد من خطف الرهائن كفريق إسلامي، لأنّه ما كان عندنا من الوسائل التي تجعل الأعمال التي نقومُ بها ذات فائدة لنا، استفاد منها الاتحاد السوفياتي، وبعض الجهات العربية التي لا دخل لها في الإسلام. كنتُ أتحدّث في هذه الطريقة وقتها.

❖ وقتها كان هناك نوعان من العمليات، مولانا، خطف الأجانب الذي كنتُ مخالفاً له، والتفجيرات الاستشهادية. كانت هذه العمليات تحصل من دون علمكم، ماذا كان رأيكم فيها؟

- كنتُ أتفاعّل معها، لأن النظرة الإعلامية لم تبدأ فعلياً إلا بعد عملية «المارينز». فالإعلام، وخصوصاً الغربي، كان يتعامل معي على أساس أنه يريد أن يستنطقني حتى يأخذ تصريحاً بنحو الإدانة. كانوا يقولون لي مثلاً: «هل يدخل هؤلاء الجنة؟» كنتُ أجيب: «الجنة ليست في يدي» كما كانوا يقولون: «أليس حراماً أن يموت هؤلاء الشباب؟» وكنتُ أجيب: «هذه المسائل لا تعالج في هذه

الطريقة. فالحرب لا تُعالج بالجانب العاطفي أو المأسوي». وكانوا يسألون «ما رأيك في ما فعلوه»؟ وكنت أجيب ليس بالقول «انتحروا» بل بالقول إن الانتحار حرامٌ عندنا» وهكذا... تلك المرحلة كانت مرحلة عواصف وضوضاء، ولهذا حين كانت تحدث هذه الحادثة أو تلك مثل «المظليين» الفرنسيين، أو «المارينز» أو تفجير مقرّ الحاكم العسكري في صور، كنا نشعرُ بالنصر على هذه الجهة أو تلك، حتى علّقنا أن الشباب حوّلوا الخطوط الفاصلة بينهم وبين «المارينز» في حيّ السّلم خطوط نماس، حتى كُنّا نتحدّث ونسمع عن تخطيط لتفجير «نيوجرسي» وهي باخرة حربية أميركية في البحر. على الأقل، كُنّا طموحين، ونتصوّر أن هاتين العمليتين أسقطتا فكرة تحويل لبنان قاعدة عسكرية ونسفها.

✽ ظهر كلام وقتها أنكم تراخيتم في هذا المجال.

- لقد اعتبر بعض الصحافيين الإيرانيين أنني لم أثبت المسألة، ولم أقل إن هؤلاء شهداء وهكذا... ولذا اتهمتُ أنني ضدّ العمليات الانتحارية (الاستشهادية). لكنّ القضية لم تكن كذلك. بل كانت أسلوباً يتجاوز المطبات التي وضعوها في الطريق حتى يُشكّكوا ويعتبروا ذلك عنصر إدانة... فأنا كنتُ أحوّلُ أن أكون واقعياً مع الإعلام!

✽ هل كنت تشعر بأنك في موقع الدفاع، وأنت الساعي إلى عدم الوقوع في فخ الإعلام؟

- أكثر من هذا، أصبحتُ أشعرُ بأنني في موقف الهجوم. إذ حين التقطُ موضوع الألوية الحمراء، وخطف إسرائيل، وما هو موجود في الغرب، الخطف وغيره... كنتُ أتحدّث على قاعدة أن أقرب وسيلة إلى الدفاع هي الهجوم.

✽ لكنّ هذا يعكس عند السامع أنك ضمناً متفاعل مع ذلك؟

- هذا صحيح. فأنا لا أريدُ ولم أكن أريدُ إسقاط التجربة. أردت حفظها من دون الإساءة إلى المبادئ.

✽ كنتم تقولون إن الحالة الإسلامية وقتها لا تزال جنينية، فهل كنتم تعتبرون من واجبكم حمايتها؟

- طبعاً، لقد كنتُ أشعرُ بذلك، والساحة مملوءة بالأخطاء...

❖ هل تفاعلت ضمناً مع عمليات الخطف؟

- لا، ضمناً لا. ولكنك تشعرُ بالظروف التي أحاطت بعملية الخطف والظروف الهائلة التي أجازت حصولها. لقد خطفوا أحد أفراد «أمل» من البحر، فلماذا نتعرّض نحن فقط إلى ذلك؟ ولم يكن ذلك تبريراً للعمل نفسه، بل كان من أنواع التجاوب مع المسألة وليس مع مفرداتها.

❖ في مراجعة لتلك المرحلة، هل تعتقد أنّ عمليات الخطف التي حصلت والعمليات الاستشهادية لها ما يبررها؟

- بالنسبة إلى عمليات الخطف، لو استقبلت من أمري ما استدبرت لقلت إنّ هذا خطأ كبير جداً. فهي عمليات شوّهت صورة الإسلام، وأعطت الغرب المبرر لمهاجمته. فلو نفذت عملية تحقّقت من خلالها نتائج كبيرة لقلت الغاية الكبيرة تُبرّر الوسيلة كما هو رأي العالم كلّه. لكنني أرى أن عملية الخطف جعلتنا نخسر كثيراً معنوياً، ولم نكسب إيجاباً ولا واحد في المئة.

❖ هل حصلت مناقشات بينك وبين جماعات «حزب الله» حول ذلك؟

- كنتُ أتحدّث في هذا الموضوع. لكنّ المسألة وقتها لم تكن تسمح بهذا الجدل وعلى هذا الشكل... أما العمليات الاستشهادية فلم نتحدّث فيها. وحتى لو فرضنا أنها حصلت الآن بظروفها كنتُ أبررها. لماذا؟ لأنّ الجوّ السياسي آنذاك كان ضاغطاً. فأميركا تحدّث بـ «نيوجرسي» اللبنانيين إذلالاً وقهراً، و«المارينز» لم يأتوا كي يحلّوا مشكلة لبنان ولا غيرهم كما ظهر... وحتى الآن تؤيد عمليات الاستشهاديين ضدّ إسرائيل، رغم بعض جوانبها المأسوية. فهي خيار لا يملك الفلسطينيون غيره...

❖ هل يُمكن التوفيق بين الإسلام الحركي الذي دعوتكم إليه والعنف في التغيير؟

- أنا لستُ ضدّ العنف تماماً، فلهُ موقعهُ وللرفق موقعه، والأصل هو الرفق. فقد كنتُ أتحدّث ناظراً إلى المستقبل. وكما ذكرت أنا مع العمليات الاستشهادية ومع المقاومة ضدّ إسرائيل. ولذلك، لم أتنازل ولن أتنازل عن هذا. لكنني كنتُ أريد للمسيحة الإسلامية أن تفكّر في المستقبل، وأن لا تكون محشورة في الحاضر بالمستوى الذي يجعلها تخضع للظروف المرحلية، التي كنت أفكر بل

أَوْ مِنْ بذهابها... كُنْتُ أَذْكَرُ النَّاسَ بِالدَّوْلَةِ، وَأَقُولُ مِنْ غَيْرِ الْوَاقِعِيِّ وَمِنْ غَيْرِ الْمَعْقُولِ أَنْ لَا تَأْتِيَ الدَّوْلَةُ، فَهِيَ الشَّيْءُ الطَّبِيعِيُّ فِي حَيَاةِ النَّاسِ. وَكُنْتُ أَوْ مِنْ بَأَنِ الظُّرُوفِ الطَّارِئَةِ وَالْحَادَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَحْكُمُ الْمُنَاطِقَةَ سَوْفَ تَتَبَدَّلُ، وَأَنَّهُ سَيَأْتِي وَقْتُ لَا يَكُونُ فِيهِ لِلْعَنْفِ دَوْرٌ عَلَى الْأَقْلَى فِي الْوَاقِعِ الدَّاخِلِيِّ. لِهَذَا كُنْتُ أُرِيدُ اسْتِمْرَارَ الْمَسِيرَةِ بِتَعْقِيلِ التَّخْطِيطِ كَالْتَّغْيِيرِ عَنْ طَرِيقِ الْمَوْسُئَاتِ.

وقد سخر بعض الناس من ذلك. حتى إن البعض منهم كان، إذا أراد تسجيل نقاط، يقول إنَّ السَّيِّدَ لم يكن يشجّع العمليات الاستشهادية، وهو ليس ثورياً. لكن، بحمد الله، الأفكار التي كتبتها أخذ بها الجميع. حتى إيران الثورية عادت لتنتقل مِنَّا انطلقت به، وكذلك «حزب الله» الذي صار حزباً لبنانياً. فصحيح أننا ما زلنا مع المقاومة لإسرائيل وليس استثناءً، إذ كنت أنظر إلى المقاومة منذ انطلاقها وأتحرك معها. أما الجانب الداخلي من الانفتاح والنيابة وغيرها فقد أخذوا به في «حزب الله» ومعها أفكاراً كتبتها منذ عشرين عاماً وأكثر... قلتُ للشيخ هاشمي رفسنجاني مرّة: «بقدر ما يكون «حزب الله» لبنانياً أكثر بقدر ما استفادت منه إيران أكثر». وفي أكثر من مقابلة صحافية دعوتُ «حزب الله» إلى أن يتلبّن...

لقد قلتُ منذ الأساس إنَّ الإسلاميين وحسب القوميين لم تكن لهم نظرية في الأسلوب وإنما أخذوا أسلوب العمل من الماركسية. ولذلك قلتُ من الخطأ جداً أن نأخذ أسلوب العمل في مواجهة الآخر من الماركسيين. فنحن نحمل نظرية إسلامية فيها رفق وفيها عنف... والقاعدة الإسلامية أن الرفق أولاً والعنف ثانياً... فلا نرفض العنف في محلّه، وإن أمكننا مواجهة القضايا بالرفق فلا مانع. وبهذا كنا ننظر إلى مستقبل الحركة الإسلامية...

✽ عندما طغى موضوع الرهائن كانت تحصلُ مفاوضات من أجل حلّه. من هي، في رأيك، الجهات أو الجهة التي كان في يدها ملف الخطف، وتستطيع أن تقرّر فيه؟ إذ لا أحد يصدّق أن «حزب الله» فقط هو الجهة الوحيدة على هذا الصعيد؟

- من الطبيعي أنّ هناك جهات إقليمية كان لها دور في المسألة، ولا أعني بالإقليمية سوريا، وإنما الإقليمية بالمعنى العام، ولعلّها هي التي حلت مسألة الرهائن.

✽ هل تلبّن «حزب الله» مع نهاية الحرب اللبنانية؟

- لا، لم يتلبّن، بدأ يتنظّم أكثر، ويمتلك المكاتب. يمكن القول إنَّ التلبّن

بدأ ولكن ليس في شكل قويّ. فحين أعلن خطته بدأ كحزب، على غير قاعدة الجماهير. وكنتُ أقولُ إنّ الجهاد جزءٌ من السياسة، ولا قيمة لأيّ جهاد من دون سياسة. أما أن نقول نحنُ حالة جهادية لها بُعد سياسي فلا. البُعدُ الجهادي له مضمون سياسي، ومضمون الجهاد هو مضمون سياسي. والانتفاضة في فلسطين كلّها هي عملية لتحريك المفاوضات أو للضغط على إسرائيل كي تعطي أكثر. «حزب الله» بداية كان يتحدث عن المُطلق، كما كانت تفعل الجمهورية الإسلامية (الإيرانية). بعد ذلك، بدأ «حزب الله» يتحدث عن لبنان، ومن هنا بدأت اللبنة، وأصبحنا نفكر كيف نعيش في لبنان. وكيف نكون مع الآخرين. فصار الحزب يشعر في نفسه بأنّ حجمه لبنان لكنّ تطلعاته أكثر وأكبر، بينما كان في البداية جزءاً من حركة «حزب الله» في العالم.

وتبقى فكرة أن «حزب الله» هو حزب جهادي في وعي القيادة الإسلامية في إيران، وإيران انفتحت على هذا التطور الذي حصل لـ «حزب الله» حين صار حزباً له مؤسساته وتنظيمه وإن كان جديداً.

❖ ما هو تقويمك لـ «حزب الله» بعد الحرب؟

- «حزب الله» ازداد قوة عندما نأى عن الدخول في الحرب الداخلية التي أتصور أنها كانت مفروضةً عليه نتيجة أوضاع إقليمية ومحلية. وهو استطاع، عندما انتهت الحرب وبدأ يوثّق علاقاته بالأحزاب الأخرى والفلسطينيين، أن يركّز مسيرته كلّها على مقاومة إسرائيل، واستغرق في هذا الموضوع حتى حوّل كل نشاطاته السياسية وتأييده ورفضه لما ينفع المقاومة. واستطاع تركيز قوّته الشبابية بمختلف الأساليب التي حشدها من خلال التخطيط الروحي والديني والسياسي والتحرك في كل لبنان. واستفاد من الدور السوري لتجميد الخلافات ضدّه خصوصاً في الوسط الشيعي، واتجه اتجاهاً واحداً إلى إسرائيل..

❖ ما سبب خوف السوريين في البداية من «حزب الله»؟

- سوريا كانت تعتبر «حركة أمل» فريقها قبل نشوء «حزب الله»، وأي إضعاف لـ «أمل» كان يُعتبر إضعافاً للدور السوري في لبنان. وكانت العلاقات بين سوريا وإيران جيدة، لكنّ سوريا لم تكن تسمح لإيران بالتعدّد في لبنان بعيداً منها. ولهذا اعتبرت الحرب بين «أمل» و«حزب الله» التي كان لمصر والجزائر والسعودية دور فيها، حرباً إيرانية - عربية. هذه الحرب عدّلت المسار في هذا

المقام، إذ فهم الجميع أن سوريا لا تسمح بأي عمل في لبنان لأي جهة حتى إيران بعيداً من الخط السوري.

❖ «حزب الله» الآن إيراني أم سوري؟

- «حزب الله» لبناني له علاقات بإيران أقوى من علاقاته بسوريا.

❖ ماذا كان دور الشيخ صبحي الطفيلي في تكوين «حزب الله»؟

- كان من الأوائل الذين أطلقوا حركة «حزب الله»، وكان من القياديين، وربما كان متحمساً للفكرة في شكل كبير جداً بحيث قد يسبق الآخرين. ولم تكن هناك أي مشكلة ولا سيما بعد أن وصل إلى مرحلة الأمانة العامة لـ «حزب الله»، التي طبّعها بطابعه من ناحية نظريته إلى الأمور وصلابته في مواجهة المشاكل.

كانت علاقتي به معقولة. وكان، كأبي قيادي في «حزب الله»، منفتحاً على القاعدة الإيرانية الإسلامية في إيران جرّاء الارتباط العضوي (الطبيعي) بالقيادة الشرعية الإسلامية المتمثلة بالإمام الخميني أولاً ثم بالسيد الخامنئي ثانياً. وهو ارتباط أساسي من قبيل ارتباط القاعدة بالقيادة. وربما، من هنا، بدأ نوع من الحساسية في معركة إقليم التفاح الأولى التي دخلتها «حركة أمل» بقوة باعتبار أنها كانت مسؤولة عن أمن الجنوب. فقد اختلفت النظرة داخل «حزب الله» بين خطين، واحد يمثله الشيخ صبحي وآخر يمثله السيد عباس الموسوي. الخط الأول كان يدعو إلى التشدد والسيد عباس كان يدعو إلى حل المشكلة في طريقة أقل تشدداً. وكانت هذه المشكلة الداخلية، وربما كانت ناشئة من اختلاف الخطوط في إيران. إذ يدعو خط إلى التشدد وهو خط الأمن، ويدعو آخر إلى الحل الآخر وهو خط الخارجية. ومن الطبيعي أن الأمور انتهت إلى ما انتهت إليه، وانتهت مهمة الشيخ صبحي وحل مكانه السيد عباس بعد ذلك، فدخلت الأمور في نوع من البرودة في العلاقات، ولكن من دون أن تتحول إلى انفجار.

وبدأ الشيخ صبحي يتحرك كما لو كان قوة مستقلة داخل الحزب من دون الانفصال عنه، ومن دون أن يقوم بعملٍ حادّ في مواجهة قيادته. ثم تطوّرت الأمور وأريد له أن يكون له هو معلن الأمين العام الجديد بعد استشهاد السيد عباس الموسوي. فعَلَ ذلك، وربما كان إعلانه على مضض، لكنّه لم يُظهر ذلك في البداية بل كان منفتحاً، وتحدّث عنه في شكل إيجابي وفاعل.

من الطبيعي أن الأمور ازدادت شرخاً، إذ لعلَّه شعر بأن الخلفيات الإيرانية كانت أقرب إلى الأمانة العامة الجديدة منها إليه، من دون أن تتخذ أي قرار مضاد له. لكنَّه انطلق في «ثورة الجياع» التي كانت تمتلِك أرضيةً شعبيةً بسبب الأوضاع الصعبة التي كان الناس يعيشونها في البقاع، فخلقت شرخاً في قاعدة «حزب الله»، وأدَّت إلى مشاكل كثيرة. ودخل المسؤولون الإيرانيون على الخط في طريقة ربما يعتبرها بعض الناس قاسية، أو يرى بعض الناس أنَّه كان من الممكن أن يكون الأسلوب أحسن. وهكذا انفجر الموضوع وتحركَّ الشيخ بأسلوبه الخاص لا اعتقاده أنه يمتلك القدرة على المواجهة بأسلوب العنف.

حصل الانفصال الحادّ، وبقيت مفاعيل هذا الوضع إلى ما وصل إليه أخيراً في الانتخابات، وخصوصاً بعد حصار الدولة للشيخ صبحي، لاعتبارات محلية وغير محلية.

أما أنا فلم تكن لي أي علاقة بـ «ثورة الجياع»، لأنني لم أجد هناك أي مصلحة في الدخول على حالة انقسام داخل قاعدة «حزب الله». كما أنه ليست هناك مصلحة إسلامية في الموضوع، وليست هناك مصلحة لبنانية وطنية أيضاً. ولن يستفيد أحدٌ شيئاً من الانقسام لا سيما في منطقة كالبقاع تتأثر بالخلافات. مع ملاحظة أن الشيخ لا يمتلك الإمكانيات والقدرات التي تسمح لحركته بالامتداد، بينما يمتلك «حزب الله» كلّ القدرات والإمكانات والسياسات باعتبار علاقته بمسألة المقاومة، بأبعادها الإقليمية والمحلية والإسلامية الإيرانية. لذلك لم أجد أية مصلحة في ذلك.

كنتُ أنصح الطفيلي بأن هذا الأسلوب في العمل السياسي ليس أسلوباً واقعياً ولا مصلحة فيه، وبأنَّ العنف لا يمكن أن ينجح في أي حركة سياسية في لبنان، بل إنَّ الأسلوب اللبناني يلتف على كل من يتحرك بالعنف ويحاصره من كل جانب. هذا ما تحركتُ به، كما إنني كنتُ أتحدّث مع الأخوة في «حزب الله» عن ضرورة الصلح، وحتى عرضتُ عليهم أن أدخل مُصلحاً في هذا المقام. وقد أثّرت داخل قاعدة «حزب الله» ربما بطريقة أمنية، أي من خلال أجهزة الأمن أو بطريقة سياسية علاقتي بالموضوع. وربما تحدّث بعض الإيرانيين في ذلك، وقالوا إنني دفعت أموالاً وعشرات الألوف من الدولارات. لكنَّ الحقيقة أنَّ كل ذلك كان كذباً لا واقع له. حتى إن بعض قيادي «حزب الله» اعترف بذلك، معتبراً أن ذلك ليس من خلقي، ولا أرى مصلحة في انقسام «حزب الله»، بقطع النظر عن

انتقادي بعض السليبيات في الأسلوب والطروحات. لكن هذا شيء. أما التشجيع أو المشاركة في انقسام حركة مقاومة إسلامية سياسية فأمرٌ أعتبره في حجم الجريمة لا في حجم الخطأ. لكن التعقيدات الموجودة عادة في القضايا والمواقع السياسية اللبنانية تفسح المجال لكثير من الكلمات غير المسؤولة مما تعودته في أكثر من موقع ولا أزال.

أنا أعتقد أن الفرق بيني وبين الآخرين، مع احترامي للآخرين، أنني أمتلك خطأً سياسياً إسلامياً استراتيجياً، لكنني لا أمتلك اللعبة السياسية. ولذلك، فإن من يتحرك في اللعبة السياسية يظن أن الناس كلهم يلعبون على طريقته، كما قال المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وأستطيع التأكيد أمام الله أنني لم أدخل أي نزاع في الساحة الشيعية كلها، لكن كانت لي مواقف قد يرتاح إليها هذا ولا يرتاح إليها ذاك لأن علي قول كلمتي في ما أعتقد أنه الحق. ولعل الذي يقرأ ما نُشر من خطب الجمعة والتصريحات والأحاديث الصحافية في تلك المرحلة يعرف أنني كنت أحدث بأسلوب الدعوة إلى الحوار والمحبة والانفتاح وتحذير الآخرين من النتائج المأسوية التي قد تصيبهم في هذا المجال.

لقد تحدثت بالصوت العالي عندما صدرت بعض التصريحات التي تتحدث عن المقاومة في شكل سلبي يبعث على الإشفاق.

❖ هل كان يمكن، مولانا، أن يتشكل صبحي الطفيلي حالة شعبية تُعادل الحالة الشعبية لـ «حزب الله» أو تشقه؟

- لا أتصور المسألة في هذا الحجم. فالفرق أن الحزب يمتلك قاعدة منظمة دينية تخضع لقراراته خضوعاً يأخذ الصفة الشرعية من جهة، ويتحرك من إمكانات مادية من جهة أخرى، مع بعض الجوانب العاطفية. ولذلك، فإن القاعدة الحزبية في «حزب الله» تمثل قاعدة متناسقة بينما قاعدة «ثورة الجياع» كانت متناثرة ولا تلقى على خط ثابت أصيل. وربما كانت طريقة بعض الناس تتحرك على قاعدة: «لا حُباً بعلي ولكن بغضاً بمعاوية».

من الصعب جداً في المسألة السياسية أن ينجح شخص مهما كان موقعه فيها

أمام حزب يمتلك القوة في كل الجهات لأنه يحتاج إلى ظروف محلية وإقليمية وربما إلى مناخات دولية غير متوفرة له. فالسياسة ليست من المسائل التي تخضع لكفاءة الأشخاص، بل تخضع لموازن القوى، سواء كانت موازين القوى الذاتية أو موازين القوى، مقارنةً بالأوضاع المحيطة في الحركة السياسية في الواقع أو في الموقع السياسي هناك.

لذلك، فإن المسألة لم تكن تحمل إمكانات النجاح من البداية. لكنّها حصلت في ظرف كانت تحاول فيه مواقع سياسية كثيرة في البلد أو خارجه إزعاج «حزب الله»، أو توجيه رسائل إليه تفيد أن من الممكن أن يحدث في البقاع ما حدث في الجنوب، ولكن ليس بمعنى أن تصل المسألة إلى مستوى ما كانت في الجنوب. فالمسألة التي كانت في الجنوب كانت مسألة الصراع العربي - الإيراني، كانت متصلة بمواقع النفوذ وربما بمسألة الشرق الأوسط والخوف من دخول إيران المسألة من الباب الواسع. أما في البقاع فكانت لا تتعدّ عن الجانب المحلي. ونحن نعرف في السياسة اللبنانية في صورة عامة التي قد تتقاطع مع بعض السياسات الإقليمية أنها لا تعطي أي موقع حزبي أو سياسي جماعي أي حرية في الحركة بحيث يشعر بالعاقة وبالراحة. وهذا ما لاحظناه في لبنان، إذ ما من حركة سياسية في الدائرة الإسلامية أو المسيحية إلا وخضعت لأكثر من إرباك وإزعاج ممّا كان بمستوى الرسائل لمن يهّم الأمر، وذلك كي تتعقّل أو كي تضبط مسارها في الخط المرسوم.

هل كانت سوريا في تلك المرحلة، تعتبر «حزب الله»، ومن خلال التباينات، أقرب إلى إيران منه إليها هي التي تحفظه وترعاه في لبنان؟ وهل استعملت حالة الشيخ الطيفلي للحصول من إيران والحزب على ما كانت ترغب فيه؟

- لا أظن أن المرحلة كانت في هذا المستوى. فالمرحلة كانت مرحلة المقاومة، وكانت إيران وسوريا تلتقيان عندها. فضلاً عن أن إيران تتحرك بعقلانية وموضوعية في لبنان بقدر ما يتصل الأمر بالوضع السوري. لكنّ المسألة كانت تتحرك في دائرة اللعبة السياسية التي لا تريد أن تترك أي أوضاع يمكن أن تستفيد منها في المستقبل. هناك كثير من الأوضاع السياسية في البلد أو في المنطقة قد لا تكون موضع اهتمام في الآلية، لكنها لا تكسر أو تُصادر بل تُجمّد وتوضع في دائرة الانتظار والحجز ريثما تملّ الحاجة إليها في المستقبل.

❖ إلى أي درجة يمكن القول إن ثورة الشيخ الطفيلي كشفت أو أحدثت نوعاً من التصدّع داخل القيادة والقاعدة في «حزب الله»؟

- أحد وجوه التصدّع القضية المناطقيّة (جنوبي وبقاعي) حتى قيل إن «أمل» جنوبية و«حزب الله» بقاعي مع أن هذا تبسيط للمسألة.

في تصوّري أن مستوى القوة التي كان يمتلكها «حزب الله» في تلك المرحلة على الأقل، كان لا يتأثر بهذه الحساسيات. إذ قد تُثار بين وقتٍ وآخر، ولكن من دون أن تُصدّع الهيكل ومن دون أن تجعله يسقط على رؤوس الجميع. فالقضية لم تكن مفتوحة على الأشخاص، بل كان هناك تنظيم يرتكز على التكليف الشرعي تحت عنوان ولاية الفقيه، كما كان يخضع لكثير من الحاجات المادية للمنتسبين هنا وهناك، وكانت مسألة المقاومة هي الواجهة التي أبلى فيها البقاعيون بلاءً حسناً، إذ سقط منهم شهداء كثيرون في المعركة مع إسرائيل. كانت هناك توازنات في المسؤوليات مما سدّ الكثير من الثغرات وإن بقيت حساسيات نتيجة بعض الطموحات الشخصية التي لا يمتلك أصحابها الامتداد بها بعيداً. إذ إن امتدادهم بها قد يُفقدّهم موقعهم.

❖ هل لا يزال «حزب الله» بالقوة نفسها التي كان عليها في تلك المرحلة؟

- أعتقد أنه لا يزال قوة، لأن علينا ألا ننسى الانتصار الذي استطاع أن يحققه «حزب الله» عمقاً في نفوس محازبيه تماماً كما في الواقع العربي والإسلامي، كأول انتصار عربي وإسلامي على إسرائيل. وذلك لم يحدث في كل تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي في هذه الطريقة.

كما إن «حزب الله» استطاع أن يدخل الخطوط السياسية برشد سياسي جيّد، سواءً من خلال سيطرته على قاعدته أو على مستوى امتداده في الساحة السياسية، ولا سيما من خلال هذا السقف السوري المباشر. وقد بلغ الحزب مستوى من الصلابة والقوة يجعلك تشعر بأنه يتحرّك في سوريا بكلّ انفتاح وحرية، تماماً كما يتحرّك في لبنان على مستوى اللقاءات والجماعات، وبأنه حاصل على تعاطف المسؤولين السوريين ولا سيما الرئيس بشار الأسد. هذا بالإضافة إلى الدعم الإيراني الكبير والدعم الرسمي اللبناني.

❖ هل انتهى الشيخ الطفيلي في رأيك، مولانا؟

- أنا لا أتصوّر أن ينتهي أحد في لبنان، حيث لا يمكنك أن تُلغِي إنساناً. فإذا

كان الشخص يمتلك بعض الكفاءات والمواقع فإن ظروفاً قد تستجد تجعل الآخرين يشعرون بالحاجة إليه. أنا أشعرُ بأنَّ من خصوصيات لبنان أنه يجمّد الأشخاص والأحزاب لكنّه لا يلغيهم.

هناك مسألة أُغفِلتْ هي أن جماعة الشيخ الطفيلي كانت تطرح اسمي كدعاية إعلامية بالنسبة إلى موضوع المرجعية. كان ذلك يضايقتني لأنني لم أكن أريدُ لاسمي أن يتحرّك في مثل هذه الأجواء... ومن خلال مكتبنا الإعلامي، كنا نصدرُ نفيّاً لكلّ ذلك ونعتبر هذه الأمور داخلة في حركة المخابرات.

❖ من يحمي الشيخ الطفيلي؟ ولماذا لا يُلْقَى القبض عليه؟

- في تصوّري، إنّ الظروف اللبنانية والإقليمية لا مصلحة لها في ذلك. إذ إنّ إلقاء القبض على الشيخ صبحي الذي هو شخصية محترمة وتاريخية، انفتح الإعلام العالمي عليها ولا يزال في طريقة أو أخرى، سوف يخلق الكثير من الحالات الشعبية المؤيدة له والمثيرة لأكثر من مشكلة في الداخل، لا سيما في منطقة كالبقاع. ولهذا لا أتصوّر أن هناك أي مصلحة لأي جهة بما فيها «حزب الله» في اعتقاله. وربما يؤدي اعتقاله إلى تعاطف كبير معه قد يربك الكثيرين ممن لا يريدون أن يواجهوا هذا الإرباك.

❖ متى بدأت علاقتك بإيران؟ هل كان لك علاقة برجال الثورة قبل اندلاعها؟

- في السنة الأولى للثورة... لم تكن لي معها علاقات مباشرة أو غير مباشرة.

❖ كيف بدأت هذه العلاقة إذاً؟

- بدأت العلاقة مع إيران عندما بدأنا نطلقُ الأحاديث في تأييد الثورة الإسلامية فيها، وخصوصاً أن المنبر الوحيد الذي كان في لبنان هو مسجد الإمام الرضا في بئر العبد. من هنا، انفتح الإيرانيون عليّ من خلال هذا الموقف الذي كان مجانياً، وقربةً إلى الله تعالى لأنه لم تكن هناك أية علاقات عضوية. وعندما جاء السفير الإيراني الأوّل بعد الثورة إلى لبنان، كان يزورني وأزوره، وكنتُ أذهبُ إلى السفارة الإيرانية وألقي بعض المحاضرات في الاجتماعات التي كانت تُعقدُ هناك. وكان يأتي إيرانيون ومنهم السفير إلى مسجد بئر العبد ليصلوا صلاة

❖ في تلك الفترة، ألم تكن لك لقاءات بارزة مع شخصيات في الثورة؟

- كان أول لقاء مع الشيخ رفسنجاني عندما قَدِمَ إلى لبنان وزارني في بيتي في الغبيري، إلى جانب الحرش. بدأت العلاقة منذ ذلك الوقت، وأبدى إخلاصه واحترامه الكبير. ثم بدأ المسؤولون الإيرانيون يزورونني عندما كانوا يأتون إلى لبنان. كانت السفارة الإيرانية - الثورية، إن صحَّ التعبير، تهتم اهتماماً كبيراً بالعلاقة معي خصوصاً أنَّه لم تكن هناك حالة انقسام في ذلك الوقت، وكان بثر العبد هو منبر الثورة، إن صحَّ التعبير.

❖ ماذا كان رأيك في الثورة الإيرانية عندما اندلعت وانتصرت؟

- كنت معها، لأنني كنتُ، منذُ البداية وفي أيام الشاه، معارضاً للخط الغربي في السياسة في المنطقة، ومعارضاً لنوري السعيد والحكم الملكي في العراق. كما كنتُ معارضاً للسياسة اللبانية السائرة في هذا الخط ومنها سياسة كميل شمعون. وكُنَّا معارضين للسياسة المصرية في أيام النحاس باشا وهكذا... كانت هناك معارضة فوق العادة لسياسة الشاه. لذلك، عندما انطلقت الثورة الإسلامية بشعاراتها الإسلامية، وكنا إسلاميين قبل ذلك بكثير، كان تفاعلنا معها طبيعياً نتيجة الموقف...

❖ أول زيارة لإيران، مولانا، كيف تمت؟ وفي أي سنة؟

- في احتفالات السنة الأولى للثورة، دُعيت إلى إيران لحضورها. فذهبت إلى طهران والتقيت مسؤولين إيرانيين. لكن، في السفارة الأولى، لم يُنَح لي اللقاء مع الإمام الخميني لمرضه في ذلك الوقت، فالتقيت الشخصيات القيادية، ومنها السيّد بهشتي الذي كان يحترمني احتراماً كبيراً. وهذا ما نقله لي بعض أصدقائه. في ذلك الوقت، كنتُ محلَّ الاحترام الكبير في إيران، لأنَّه لم تكن هناك أية أوضاع تفرضُ التعقيد.

❖ هل يعني ذلك أن الثورة الإيرانية، في تلك الفترة، لم يكن لها اهتمام عملي بلبنان؟

- يعني أن الثورة لم تكن بدأت تنظيم الواقع السياسي في لبنان، لكنَّها كانت تتحرك فيه من خلال الجوّ الجماهيري الذي حصل بعد الثورة، والذي ساهمت فيه الحركة الإسلامية الشيعية آنذاك وهي «حزب الدعوة» التي كانت موجودة هنا،

كما ساهم فيه التيار الشعبي الذي كان ضدّ الشاه آنذاك .

❖ هل فاتحك الإيرانيون بخطّة ما لهم بالنسبة إلى لبنان واللبنانيين ، وإلى الشيعة في لبنان؟ وهل حاولوا استطلاع رأيك؟

- لم يتحدّثوا في شكل يُمثّل قضية ميدانية للتحرك الخاضع لتخطيط سياسي في لبنان ، لأنّ الجوّ كان جو الثورة ، وكان المناخ مناخ اجتياح المنطقة بالثورة لأنّها كانت تعيش في الفضاء لا في الأرض . كنتُ أقول إنّ لكلّ ثورة مرحلة من الجنون التي تتجاوز فيها كلّ الخطوط على الأرض حتى تستطيع الاستيلاء على الوجدان الشعبي الذي يعكّر في المطلق دائماً فتنزع من عمقه الخوف من القوى الكبرى أو الإقليمية أو غيرها . هذا ما نتذكّره عن الرئيس الصيني الذي كان يتحدث عن أن أميركا نمرٌ من ورق ، لكنّه كان يعرف أنّها نمر من أنياب ذرّة . وكان هدفه إفراغ وجدان الشعب الصيني من الخوف من أميركا . أما هدف الإمام الخميني فكان تفرّغ وجدان الشعب الإيراني والمسلمين من أي سقوط نفسي تحت تأثير القوى الكبرى كالاتحاد السوفياتي والغرب . ولهذا أطلق شعار لا شرقية لا غربية بل جمهورية إسلامية ... أو شعار الموت لأميركا وإسرائيل . كان يتحدّث في طريقة فيها من الجوانب الروحية والغيبية ما يجعل الناس يفكّرون في نصر الله بالغيب . فالمرحلة هي للحديث عن الغيب والجوانب الروحية ، والإنسان الذي يتحدّث عن الظروف الموضوعية وعن الحواجز السياسية الموجودة كان يُنهم بالمادية السياسية .

أما أنا فكنت ، في ذلك الوقت ، أتحدّث في أبحاثي التي كنت أنشرها في مجلّة «المنطلق» عن الواقعية السياسية وعن ضرورة الانفتاح . وكنتُ أتحدّث عن الحركة الإسلامية بين الانفتاح والانغلاق والحركة الإسلامية بين الرفق والعنف ، والحركة الإسلامية والوطنية ... وعن بطل الخط أو خط البطل ، إلى غير هذا مما كان يُنتقد باعتباره غير ثوري . كنتُ أتهم باللائورية لأنني كنتُ أتحدّث في المسألة السياسية في طريقة واقعية ... وكنتُ أتحدّث عن إيماننا بالغيب لكن الله لم يُخضع الحياة للغيب ، بل الغيب قد يأتي في شكل مكمل للظروف الموضوعية ...

لهذا كانت المرحلة مرحلة تعميم الثورة على كلّ مكان في العالم واستقطاب العالمين العربي والإسلامي . وقد استطاعت إسقاط عرش الطاغوت والطاؤوس الذي كان يخشاه حتّى الاتحاد السوفياتي باعتبار أنّه قاعدة متقدمة للغرب . لم تكن تشعر إيران بأنّها في حاجة إلى تركيز حزب هنا وحزب هناك ، حتّى إنّ

مسألة الأحزاب كانت غير واضحة عندها. فعندما أسست في البداية «الحزب الجمهوري»، ألغاه الإمام الخميني بعد ذلك لأنه كان يدعو إلى «حزب الله» لا على الطريقة التنظيمية بل على طريقة حزب الجماهير التي كانت تخرج إلى الشارع بطريقة مليونية من خلال العناوين السياسية الإسلامية العامة. لذلك، فإن مسألة الحديث عن تنظيم سياسي في لبنان كانت مبكرة في تلك الفترة.

❖ هل كان العالمان العربي والإسلامي ينظران إلى الثورة كما تنظر إليها إيران؟

- كان العالمان العربي والإسلامي ينظران إليها في البداية كثورة إسلامية. لكن بعد حرب الخليج مع العراق، انطلقت الدعاية المتحدثة أنها ثورة شيعية وأن الشيعة ليسوا مسلمين، إلى ما هناك مما أثاره السلفيون والوهابيون بإشراف المخابرات المركزية الأميركية. أثر ذلك تأثيراً كبيراً في عملية فصل العالم السنّي في صورة عامة عن الثورة الإسلامية.

المخابرات المركزية كانت تنظّم الإعلام، وهي تمتلك المادة الجاهزة، كما حصل في مسألة القومية بعنوان أن هذه فارسية وهذه عربية...

❖ مولانا، طبعاً الحرب العراقية - الإيرانية يتحمّل مسؤوليتها العراق، لأنّه بادر إلى شن الهجوم على إيران. لكن هل تعتقد أن هناك مسؤولية إيرانية عن خلق الظروف التي دفعت الرئيس العراقي صدام حسين إلى اتخاذ قرار الحرب مثل بعض المتفجرات أو غيرها؟

- من الطبيعي جداً أن الخطاب الإيراني ساهم في ذلك. فالإذاعة الإيرانية كانت تعيش حالة الفوضى بحيث إن الذين كانوا يديرون القسم العربي فيها من العرب المستعربين أو الإيرانيين المستعربين، كانت لهم أفكارهم الخاصة. ولم يكن هناك خط سياسي، بالمعنى الدقيق للخط السياسي، يُراعي القضايا الدبلوماسية أو يُراعي أموراً أخرى... حتى إننا، في ذلك الوقت، التقينا شخصيات قيادية إيرانية وشكونا لها الإذاعة الإيرانية العربية، فقالت: «إننا نشكو أيضاً مما تشكون منه». وذلك، كدليل على أن نوعاً من أنواع الإدارة لم يكن موجوداً للمسألة الإعلامية على نحو منظم. كان الخطاب الموجود في إيران يفكر في مسألة الانقلاب العراقي على صدام، وخصوصاً أن الأحزاب والجهات العراقية التي كانت موجودة في إيران كانت تتحرك في هذا الاتجاه، إضافة إلى التنظيمات الإيرانية المتحركة بفعل

الحماسة في ذلك .

فلا إشكال أن المناخ الذي سادَ إيران جعلَ صدامَ يخاف ، خصوصاً أن الإمام الخميني كان يمتلك تفكيراً معيّناً في إسقاط صدام... .

✽ حين بدأت الحرب ، أين كنتَ ، سماحة السيد ، قلباً وفكراً؟

- من الطبيعي كنت مع إيران ضد العراق ، حتى إنني تعرّضتُ لكثير من الانتقاد من بعض الصحف العربية الخليجية في بعض الحوارات حول هذا الموضوع . فنحن منذ البداية ، كنا معارضين للنظام العراقي . وكنا مستهدفين منه بعمليات اغتيال . ولهذا كانت نظرتنا ولا تزال أنه نظام دموي وديكتاتوري ، وأنه المسؤول عن قتل العلماء وتهجيرهم ، وعن إسقاط الحوزة الدينية في النجف الأشرف ، وأن إيران لم تبدأ الحرب ولا سيما بعد انكشاف اللعبة الدولية في دعم العراق المطلق ضد إيران... . وحتى مع بعض الأخطاء كنا نشعر بأنه ينبغي الوقوف مع إيران .

✽ أخبرتنا سابقاً أنك رأيت الإمام الخميني؟

- في البداية من بعيد ، ثم حصلت عدة لقاءات . بداية ، كانت هناك جهات معقدة ما كانت تُهيئ لقاء مع الإمام الخميني ، لجهة بعض التعقيدات التي ربما بعضها لبناني ، وبعضها مرجعي ، لأنني كنتُ حتى ذلك الوقت أرى مرجعية السيد الخوئي من ناحية فتوائية وأوיד الإمام الخميني من ناحية سياسية .

بعد ، ذلك حصل انفتاح . أذكرُ أنني سألتُه في المَرَّة الأولى عن العمليات الاستشهادية ، فكان جوابُهُ : «إن هذه المسائل لا أُجيبُ عنها» . وكان تعليقي : «أنا أعرفُ لماذا لا تجيبُ عنها . فمثل هذه المسائل لا تُعطى في الهواء الطلق . وعندما تَصُدَّرُ بها فتوى لا بد من أن تُدرس كل ظروفها وكل معطياتها . إذ لا تجوز إلا بشروط معينة في هذا المعنى» . كنتُ أتردّدُ عليه ، وكان في مرات عدة يستقبلني استقبالاً مميزاً ، علماً أن السيد الخميني كان معروفًا بالرزانة ، وبما يقربُ من الجوّ الرسمي في استقبالاته للناس . وفي بعض الحالات ، كنتُ أذهبُ إليه على أساس موعد حيث يكون جالساً في مكان والناسُ حوله ، وحين وصولي يُشيرُ لي بدخول غرفته . وحين يدخلُها هو يفتح ذراعيه ويُعانقني... .

وفي بعض الزيارات التي كنتُ أصطحب فيها بعض الأشخاص مثل الشيخ سعيد شعبان ، كان يُصرُّ على أن أجلس إلى جانبه والآخرين تحت منبره (كُنتُهُ) .

كنتُ أشعرُ في تقديره لي بشيءٍ مميّز. وبعد وفاته قال لي ابنُه السيّد أحمد رحمه الله أن الإمام كان يذكّرني دائماً أمامه ويقول أن السيّد شخصٌ فاضلٌ وعالي الفكر. كان يذكّرني بكلّ خير.

والحديث مع الإمام الخميني لم يكن بإسهاب، بل كنتُ أعطيه بعض الأفكار حول لبنان، وكنتُ أسألُ عن بعض القضايا الفكرية بحسب رأيه فيها.

❖ هل حصل حديث بينكما حول تصدير الثورة؟

- لا، لم يحصل حديث كهذا، ومن الأساس كنتُ أتحمّضُ على هذا التعبير لسبب بسيط هو أن تعبير تصدير الثورة ليس دقيقاً. فالثورة إذا لم تكن لها عناصر ميدانية وطبيعية، لا يستطيع أحد إلقاءها من فوق. لكن من الممكن جداً تصدير الثورة، إذا كانت هناك أرضية صالحة لها نتيجة التعقيدات السياسية، سواء من خلال قضايا داخلية في هذا النظام أو ذاك النظام أو من خلال القضية الإسرائيلية، أو بما يتصل بالعالم الإسلامي أو بأميركا أو ببعض البلدان أو بالاتحاد السوفياتي. ذلك أن المرحلة كانت وقتها مرحلة التوتر في المنطقة كلّها من خلال حركة القومية العربية وعبد الناصر، والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين والانقلابات العسكرية والحرب الباردة بين الشرق والغرب.

وعندما جاءت الثورة، حرّكت كلّ هذه العناصر الموجودة في الأرض في شكل طبيعي. ولا أعتقدُ أن الإيرانيين، في ذلك الوقت، كانوا يمتلكون امتداداً في العالم العربي والإسلامي في المستوى الذي يستطيعون من هناك أن يصنعوا ثورة، أو أن يلقوا الثورة من بعيد. لكنّ الإمام الخميني كان مع الفارق الكبير كعبد الناصر. كان يخطب ويثير الجماهير، ويحدّثها عن الاستعمار والصهيونية والأوضاع بالنسبة إلى الفقر والظلم وما إلى ذلك. ومع فارق كبير آخر هو أن عبد الناصر كان يمتلك جهاز مخابرات يستطيع العبث بواسطته في كلّ الأوضاع الأمنية والسياسية في المنطقة. بينما إيران الثورة لم تكن تمتلك في حينه جهازاً مثله. الشاه كان يمتلك «السافاك»، لكن «السافاك» لم يكن له امتداد في المنطقة. وحين جاءت الثورة انحسر السافاك في هذا المقام... ولهذا كانت مسألة تصدير الثورة عنواناً أطلقه الغرب وحاول محاربة إيران به. علماً أن خطابات الإمام الخميني والمسؤولين بدرجات متفاوتة أثارت المنطقة ضدّ بعض حكامها أو ضد أميركا أو الاتحاد السوفياتي.

أتصوّر أن المسألة كانت إثارة الشعوب العربية والإسلامية في ما كانت

تعيّشه، ولكنّها كانت لا تجدُ الشخصية القيادية (البطل) الذي يمكنُ أن يخلق عناصر الإثارة في نفوس الناس.

✻ بالنسبة إلى لبنان، هل كان الإمام الخميني يمتلك فكرة عنه؟

- كان الإمام الخميني يُقدّرُ الشباب اللبناني. أما التفاصيل فلم يكن يدخل فيها.

✻ كيف كانت علاقاتك مع شخصيات النظام في إيران؟

- كانت لي سابقاً مع السيّد بهشتي علاقة غير واسعة. وكانت زياراتي لإيران في فترة وجوده غير متكررة. وقد سمعتُ من إحدى الشخصيات العراقية السيّد محمد بحر العلوم، وهو من الشخصيات المعارضة، أنّه اجتمع بالسيّد بهشتي الذي تحدّث عني كشخصية يمكن أن يُتعاونَ معها في الثورة الإسلاميّة والقضايا السياسيّة. لم يُهيأ لي اللقاء كثيراً به، كان لقاءً واحداً.

أما الشخصيات الأخرى كالشيخ هاشمي رفسنجاني والسيّد الخامني وغيرهما فكانت لقاءاتي معهم دائمة ومتنوعة واسعة. كنّا نتحدّث عن القضايا اللبنانيّة والعربيّة بتفاصيلها، وكانوا يسألوننا رأينا، ونحنُ نسألهم آراءهم. والملاحظ أن المسألة لم تكن كما يُخيّلُ إلى بعض الناس، أي إن الأشخاص المؤيدين للثورة الإسلاميّة كانوا يتلقون التعليمات. الواقع كانت هناك مناقشات واسعة في هذا المجال، حتّى إنني عندما حصلت «حركة 6 شباط» في لبنان، ذكرتُ أنّه لن يتحول جمهورية إسلامية إلا بعد تحوّل المنطقة كلها بما فيها فلسطين...

شكّل هذا الكلام صدمة لهم، لكن لم يكن هناك تعليق سلبي عليه، ربما لأن الجماعة كانوا يتقنون بفهمي السياسي في هذا المجال...

حتّى إنني اصطدمت مرّة مع الشيخ المنتظري، عندما بدأتُ أتحدّث عن لبنان، وقلتُ إنّنا لا نطلق مشروع الجمهورية الإسلاميّة فيه. بل إنّنا نُقدّمها كتصوّر ثقافي للإسلام لإخراجه من الذهنية الطائفية إلى الجانب الفكري، ولأنّه يُمثّلُ حكماً ومشروع دولة وليس حالة طائفية كالحالات الطائفية الأخرى. كنتُ أتحدّثُ على هذا النحو في الصحافة. الشيخ منتظري ذكر هذا الأمر أمامي فرددْتُ عليه بقسوة نوعاً ما وقتّها. إنّنا، عندما نتحدّث في هذا الموضوع، لا نتحدّث عن الجمهورية الإسلاميّة في لبنان، لأنني أوْمُنُ بأسلمة العالم... ولكن في ظروفه الطبيعيّة. هناك شروط للجمهورية الإسلاميّة في لبنان في هذا المقام... الشاهد أنّني كنتُ

أناقش كثيراً من القضايا، ومنها ما تحدثتُ مع الشيخ رفسنجاني وهو أنه لا بُدَّ من لبننة «حزب الله» بمعنى الانسجام مع المناخ اللبناني ومع الثورة... فخطابُه يجب أن يكون منسجماً مع هذا الواقع، وكان الشيخ رفسنجاني يؤيِّد هذه الفكرة.

❖ هل كان الشيخ المنتظري خليفة معيناً للإمام في تلك الفترة؟

- كان خليفة معيناً، وكنتُ أشعرُ بأنَّه يحترمني كثيراً ويُقدِّرني. حتى إنني كنتُ أدخُلُ عليه في مكتبته الخاصة وأجلِسُ معه، فتحدث في القضايا العلمية الفقهية.

❖ ما هي نقاط التقاطع والتغارب بينك وبين الشيخ المنتظري؟

- الشيخ منتظري رجلٌ نائرٌ قضى في السجن مُدَّة طويلاً، وهو تلميذُ الإمام الخميني وأوَّل من نظر لولاية الفقيه بعد الإمام الخميني. لكننا، على الأقل في تلك الفترة، كنَّا نعتبره شخصية تميَّزُ بالعفوية والبساطة أكثر مما تميَّزُ بالعمق... حتى عبَّرتُ مرة أنه ساذج. كان الرجل يحملُ الشعارات السياسية ولم يكن سياسياً. بل كان يتحمَّسُ للجمهورية الإسلامية ويُلقِي خطابات نارية. لم يكن سياسياً في العمق، وكان غير متقنٍ للعبة السياسية، ولهذا استطاع خصومه إبعاده عن الساحة.

❖ إبعاده عن الساحة تمَّ عبر الكواليس، مولانا.

- لا شك في ذلك، فهو لم يعرف كيف يدير الأمور مع الإمام الخميني، بالدخول على خط الذين دخلوا ضده. فقد كان، مثلاً، يرادُّ له إبعاد بعض أصحابه عن مكتب، فلم يقبل، وكانت الفكرة عند الإمام أنهم ممَّن يُخشى منهم بالنسبة إلى الثورة. وكان السيّد أحمد، رحمه الله، ممَّن لا يرتاحون إلى خلافة الشيخ منتظري، وربما لجهة المواصفات التي لم تكن في مستوى الولاية والخلافة، بحسب رأيهم.

❖ لماذا غيّر الشيخ منتظري موقفه بالنسبة إلى ولاية الفقيه؟

- لم يُغيِّر موقفه من ولاية الفقيه بل تغيَّرت نظرتُه إلى مركز الولي. فهو يرى أن الولي الفقيه لا بُدَّ أن يكون الأعلَم، ويرى أن السيّد الخامنّي ليس كذلك وربما عنده تشكيك في فقاھتِه أو غير ذلك... ولهذا كان لا يوافق على الصلاحيات المطلقة التي أعطيت في الدستور للولي الفقيه. فالولي الفقيه ليس معصوماً حتى تكون عصمته مانعاً من الخطأ. هو يخطئ ويصيب ومن صفته ذلك، ولذا لا يمكن

جعل الدستور والأمور والدولة في يده... حتى لو لم يمارس هو الدور بالمعنى الذاتي. لكن الدستور عندما يعطي مثل هذه الصلاحيات لشخص غير الإمام المعصوم فهذا ممّا يشكّل خطراً على النظام، والإسلام لا يوافق.

كان منتظري يناقش مسألة الضغوط على الحريات التي تمارسها المخابرات ويقول إنّ ذلك يُشبه ما كان يحصل أيام الشاه... ولهذا فرضت عليه الإقامة الجبرية وتعرض إلى ممارسات عنيفة جداً، وهو الآن في الإقامة الجبرية. فهم يخشون امتداده وشعبيته التي أصبحت واسعة. فهو من العلماء الكبار وفي مستوى التقليد، وهو في موقع الأستاذيّة لهذا الجيل كلّه...

❖ بالنسبة إلى رأيه، مولانا، هل هو خطأ؟

- هناك شيء وفرق بين أنّه يصلح أن يكون ضمير الدولة، ولكن من الصعب أن يكون حاكم الدولة.

❖ لكنّه كان يريد من خلال موقفه جعل الولي الفقيه ضمير الدولة.

- أنا أقول إنه يصلح أن يكون ضمير الدولة، ومنظراً للحريات على الطريق الفقهي والأساس الفقهي. في وقتها كانت كلّ الإدارات بما فيها «الإطلاعات» تقدّم إليه الأسئلة حول طريقة التحقيق، فيجيب عنها ويعملون بأرائه. الإمام الخميني لم تكن عنده هذه التفاصيل. فهي كانت تؤخذ منه باعتبار أن الإمام الخميني كان يرجع إليه.

❖ هذا الموقف السلبي منه الذي اتخذته خصوم منتظري، هل كان سببه حرصهم على الثورة أم طموحات شخصية؟

- في الصادر عنهم ومنه يفهم أن ما قاموا به هو حماية للثورة، لأن الرجل في مواقفه الانفعالية كما يعتبرونها، وفي عدم عمقه في المسألة السياسية في ما يُحيط بإيران من الأخطار الداخلية والخارجية، كان يدفعهم إلى الاعتقاد أن إعطاءه الصلاحيات الكبرى ربما يدفع الكثيرين من الناس إلى الاصطياد في الماء العكر، وذلك يهدّد الثورة. لكن من الطبيعي أن مثل هذه الأمور قابلة للجدل. فحين يتخذ الحكم موقفاً ضد شخص له امتداد في الواقع الشعبي تحت تأثير نظرة معينة تتصل بسلامة الدولة، يفسر فريق وجهات من الطرف الآخر الموقف بغير هذه الطريقة. وعلى كلّ، فأنا أعتبر، ورغم نظرتي، أنّه ليس الشخصية الصالحة

لأن تقود الحكم، رغم أن الطريقة التي عومل بها تبتعد عن الموازين الإسلامية. وحصل ذلك بعد الإمام الخميني.

❖ لكن لو كانت آراؤه بهذه الخطورة فقد كان من الممكن أن يسجنوه أو يعدموه؟

- لا، الرجل كان أكبر من أن يُسجن أو أن يُعدم. فهو، بحسب الموقع الديني، في مستوى المراجع الكبار وجعل خليفة للإمام الخميني لأنه في هذا المستوى. والأمور التي أخذت عليه لم تتضمن ما يشير إلى أن الرجل لا يمتلك المؤهلات العلمية والدينية لهذا المنصب. بل تضمنت بعض القضايا التفصيلية المتعلقة بالجانب الإداري في شخصيته. ولذلك كانت السلطة في مأزق، خصوصاً أن رجالاً من السلطة داخلها وخارجها كانوا مقلدين له وتابعين له. حتى إن نظرة السيد خاتمي وفريقه إليه كانت إيجابية جداً، وقد طالب كما طالب الكثيرون برفع الإقامة الجبرية عنه، وبإعطائه الحرية. فالرجل يمتلك امتداداً حتى في جانب الثورة والحكم وهو امتداد تقييمي.

❖ هل يمكن اعتبار تيار الشيخ منتظري حامياً للرئيس خاتمي؟

- في تصوّري، إن السيد خاتمي يمتلك استقلالاً نتيجة ما يمثّله من أمل للجيل الشاب ولمختلف التيارات من خلال شعاراته في الحريات بقطع النظر عن التقائها بفكره التفصيلي. يعني نستطيع القول إن كل هذا الجيل الشاب بما فيه الجيل العلماني (جيل الجامعات) كان يلتقي عند السيد خاتمي مع أنه قد لا يؤمن بالخط الإسلامي الذي يؤمن به السيد خاتمي، وذلك باعتبار أنه واجهة المعارضة، حتى وهو في الحكم وقادر على التغيير. فالكثير من التيارات غير الإسلامية التي أيدت السيد خاتمي كانت تفكر أن تستعين به لإضعاف الجانب المحافظ حتى يخلو لها الجو معه فتضعفه بعد ذلك. لكن السيد خاتمي رجل يمتلك حنكةً سياسية والتزاماً بالخط الإسلامي. فهو من رجال الثورة الذين تربوا على فكر الإمام الخميني، ولذلك انفتح على هذه الفئات وترك لها تأييد موقعه، لكنه لم يخضع لها، بل حاول أن يتوازن معها تماماً كما كان الإمام الخميني يتصرف عندما انطلق كمرجعية إسلامية فقهية ليس عنده شيء غير الإسلام، فالتفت كل التيارات حوله في أثناء الثورة ولم يعارضها. فقد تركها تؤيد الثورة ولم يفتح أي معركة معها حتى إذا نجحت الثورة وجهها في الخط الإسلامي، وانحسر الآخرون بفعل القوى الشعبية

والامتداد الشعبي الكبير الذي كان يمتلكه.

إنني أقول إن شعبية خاتمي لم تكن ناشئة من شعبية الشيخ منتظري. نعم، ويمكن أن تكون شعبية الشيخ منتظري التزمت السيد خاتمي لأن شعاراته تلتقي مع شعارات شيخها كما إنه يُمثل، كما قلنا، رمز المعارضة للمحافظين الذين هم ضده.

❖ هل تعتبر أن الشيخ منتظري انتهى كمرجعية؟ وهل من تمييز له داخل إيران وفي العالم الشيعي؟

- إن كلمة انتهى قد تبقى قلقة لأننا لا نعرف ماذا يخبئ المستقبل. لكن من الصعب جداً أن نجد في إيران شخصية في مستوى تستطيع أن تقوم مقامه من خلال الموصفات التي تهيئها كمرجعية. من الممكن أن هناك مراجع يمتلكون نوعاً من الانفتاح على العصر والثقافة، وربما أكثر من الشيخ منتظري من الجانب الفني للانفتاح على العصر، لكنهم لا يمتلكون عناصر شخصيته.

إن قضية حجم الشخصية لا تخضع للموصفات الذاتية، بل للظروف التي تعطي الشخصية ضخامة من خلال حركية تاريخه في كل حركته.

❖ بدا في مرحلة من المراحل أن هناك رهاناً عربياً، على آية الله شريعتمداري بسبب اعتداله. فهل عرفت هذه الشخصية؟ وما هي قصتها إذا كانت لها قصة؟

- شريعتمداري شخصية من الشخصيات المفتحة بين رفاقه من المراجع. كان يعمل على تحديث الحوزة من الآفاق الموجودة آنذاك، وكان يطلّ على الجانب السياسي. لكن الأفق الذي كان يعيش فيه كان محدوداً، فلم يكن يمتلك شجاعة الإمام الخميني وصلابته، وتحديه للأخطار، خصوصاً تحديه للشاه، وتحريكه الشعب ودفعه للمواجهة حتى مع سقوط الضحايا. بينما كان السيد شريعتمداري معارضاً متحفظاً للشاه، وكان يحاول إيجاد علاقات من أجل قضاء حوائج الناس أو من أجل إيجاد نوع من التوازن في المسألة. وعندما انتصرت الثورة وانفتح الإمام عليه وعلى الشخصية الثانية وهي السيد الكلبكاني نسب إلى السيد شريعتمداري أنه كان يريد أن تكون أمور الإيرانيين الأتراك الأذربيجانيين في عهده، وأن يقاسم الإمام الخميني غيرهم. طبعاً لم يوافق الإمام الخميني على ذلك. ومن هنا، كان هناك أشخاص يحيطون بشريعتمداري، ابنه وغيره، ويعارضون الإمام الخميني. ولهذا تطوّرت الأمور إلى أن أصبح شريعتمداري

واقِعاً تحت الإقامة الجبرية أو ما يشابهها. ومن الطبيعي أن الجوّ الثوري الذي استطاع الإمام الخميني أن يُحرّكه في إيران لم يشجّع شريعتمداري على أن يأخذ موقعه كمرجع ومؤثّر وكعنصر فبدا كأنّه معرقل لحركة الثورة.

❁ هل أثر عدم كون شريعتمداري فارسياً في هذه القضية؟

- لا، لم تكن المسألة على هذا النحو، إذ كان هو مرجعاً لدى الفرس والأتراك. لكنّها لم تكن في مستوى حاجة الإيرانيين آنذاك إلى الثورة على الشّاه. كانت مسألة الثورة على الشّاه حاجة إيرانية عامة يتقاسمها المتديّنون والعلمانيون. شريعتمداري كان إصلاحياً في الجانب الثقافي، وكان تسوياً، بينما الإمام الخميني كان ثائراً.

❁ يعني سماحة السيّد، شريعتمداري كان يمكن أن يعيش في نظام الشّاه، وفي نظام الإمام الخميني... ومن الممكن أنّه كان يفضّل أن يعيش في غير نظام الإمام الخميني.

- ممكن، نعم، وربما كان لا يوافق على أسلوب الإمام الخميني، أو أنّه ربما كان لا يحمل الثقة بالإمام كما يحملها الناس الآخرون.

❁ مولانا، ماذا عن شخصية السيّد كلبكاني التي ذكرتها؟

- السيّد الكلبكاني كان شخصية روحانية، يمتلك الثقة الروحية بالإضافة إلى فقاوته باعتباره أسنّاداً للحوزة ومرجعاً من مراجعها. وهو لم يُحاول أن يتدخّل في السياسة ممّا لا يؤمّن به. ولهذا كانت العلاقة بينه وبين الإمام الخميني متوازنة.

❁ في تلك الفترة من كانت المرجعيّات المهمة عند الشيعة؟

- المرجعية الواسعة كانت مرجعية السيّد أبي القاسم الخوئي وهو في النّجف. وقد كان رافضاً لسياسة الشّاه وممارساته ضدّ الإمام الخميني. حتّى أنّه عندما أعلن خبر أن الإمام الخميني يُمكن أن يُعدم بعد اعتقاله، ذهب السيّد الخوئي والسيّد محمود الشهرودي إلى السيّد محسن الحكيم. وكانت له علاقة بأحد كبار العلماء في طهران هو السيّد محمد البهبهاني، الذي كان موضع احترام الشّاه والذي كان ينقل رغبات الناس إليه وخصوصاً عندما يوسّطونه في القضايا العامة وغيرها. طالب السيّد الخوئي السيّد الحكيم بالتدخل في قضية السيّد الخميني، فطمأنهما أنّ الإمام الخميني لم ولن يُعدم.

في الوقت نفسه، كان السيّد الحكيم لا يجدُ أملاً في نجاح ثورة الإمام الخميني في إيران. وفي تلك الفترة، أثار السيّد الخوئي النجف ضدّ الشاه تأييداً للإمام الخميني. وقد تطوّرت الأمور لاحقاً في اتجاه سلبي عند جماعة الإمام الخميني، إن صحّ التعبير، أو عند تياره حيال السيّد الخوئي كونه يُمثّل المرجعية الراكدة التي لا تفتتح على السياسة. وزاد السلبية استقباله الإمبراطورة فرح عندما جاءت من إيران عند اهتزاز العرش آنذاك لتستعين بالمراجع في النجف. استقبلها السيّد الخوئي وتحدّث معها في شكل قاس لم تسمعه من غيره. لكنّ تيار الإمام الخميني كان يأخذ على السيّد الخوئي استقباله، كيف يستقبلها؟ وكان السيّد الخوئي يُعلّق على استقبالها بأنّه لم تكن هناك أي ظروف تُؤشّر إلى نجاح الثورة، و«كنتُ أحاولُ أن أوجدَ حالة لتوازن الوضع في إيران باعتبار أن الظروف كانت تدل على بقاء الشاه. وهكذا بدأ تيار الإمام الخميني يحاسب مرجعية السيّد الخوئي لعدم إيمانه بمواقفه ونقده لها من جهة، ولأنه يريد أن يفسح المجال في الساحة لمرجعية السيّد الخميني. ذلك أنها تمتلك قداسة عند جمهور الشيعة أكثر من مسألة الولاية التي كانت جديدة عليه أو على الذهنية الشيعية. ولهذا انطلقت الحملة ضدّ السيّد الخوئي باعتباره المرجع الأعلى حتى بعد ثورة الإمام الخميني وجراء قدرته على الاستقطاب الواسع داخل إيران. بدأت الحملة على السيّد الخوئي في شكل قاس، لكن ذلك لم يزلزل مرجعيته. لأن مسألة المرجعية أعمق من أن تزلزلها بعض التحديات والأوضاع السياسية. وفي نهاية المطاف، بدأ الإمام الخميني ينهي عن التعرض للسيّد الخوئي في طريقة أو في أخرى، وتحديدًا عندما استقر الأمر له.

❖ هل كان في كونك وكيلًا للسيّد الخوئي فيه سلبية ما عليك؟

- من الطبيعي جدّاً أن كوني الوكيل العام للسيّد الخوئي من جهة وعدم رجوعي إلى الإمام الخميني بالتقليد من جهة ثانية مثلاً سلبية كبيرة لا يشفعُ لي فيها تأييدي للثورة. لعلّ هذا الذي كان يُفسّر عدم إفساح البعض المجال لي لزيارة الإمام الخميني في السنين الأولى للثورة. حاول البعض من رجال الثورة الكبار أن يتحدّثوا معي في هذا الموضوع، لكنني قلتُ لهم إنّ القضية هي قضية تقييم ثقافي فقهي، وليست مسألة سياسية أو مرجعية بالمعنى الذاتي للمرجعية. فأنا إنسان إسلامي حركي قلبي مع الإمام الخميني، لكن عندما يكون للمرجعية على الأقل

في تلك الفترة شروط معيّنة فأنا أرى أن هذه الشروط ، وهي ثقافية ، متوفرة في الإمام الخوئي أكثر من الإمام الخميني .
ومن الطبيعي أن ذلك ترك تأثيراً كبيراً ، سواء على مستوى القاعدة أو على مستوى القيادة .

❖ كيف نقيم شخصية الشيخ رفسنجاني الذي كان رئيساً للجمهورية الإسلامية في إيران على مدى ولايتين لدورتين والذي لا يزال له دوره فاعلاً؟
- لعل الشيخ رفسنجاني كان أكثر الشخصيات تقديراً واحتراماً لدى الإمام الخميني وكان من أكثر الشخصيات تأثيراً فيه . فالإمام كان يطمئن إلى عقله وإلى بُعد نظره في الأمور وإلى إخلاصه للثورة .

كان الشيخ رفسنجاني يجمع في شخصيته بين الثورية في كل ما يتعلق بحركة الثورة الإسلامية وبين الواقعية . فإذا جلست إليه ، رأيته يتكلم معك بواقعية الأمور . حتى عندما كان يناقش الشخصيات الإسلامية اللبنانية التي كانت تذهب إليه ، كان يسألها عن تفاصيل الواقع في لبنان وعن تأثيراته من الناحية السياسية . كان يريد أن لا تمنع الذهنية الثورية في هذا البلد أو ذاك مراقبة الأوضاع السياسية الواقعية ومراعاتها . ولعل واقعيته هي التي حفظت الكثير من توازن الثورة في حياة الإمام الخميني وبعدها .

❖ لعل واقعيته هي التي جعلت الغرب ، خصوصاً الأميركيين ، يراهنون على ترتيب ما للعلاقة مع إيران في أيامه؟

- كان الرجل عقلانياً ، وموضوعياً في ذهنيته السياسية وفي نظريته إلى الواقع . حتى أنني أذكر ، عندما ذهبت إلى الجزائر لحضور مؤتمر إسلامي ، أنني التقيت الشاذلي بن جديد رئيسها وأحمد طالب الإبراهيمي وبعض الشخصيات الكبرى ، فقلت لهم راقبوا الشيخ رفسنجاني في إيران .

❖ هل جرت معه ، في رأيك ، محاولات لترتيب الأوضاع مع الغرب؟ وإذا جرت فلماذا فشلت؟

- في تصوّري أن الظروف في إيران لم تكن ملائمة لأي تطوّر سياسي بما يتصل بالعلاقات مع أميركا . وربما كان ذلك من خلال أن رجال الثورة الإسلامية كانوا يريدون استكمال تجربة إنشاء دولة بعيداً من أميركا ليثبتوا أنهم قادرون على

إنشاء دولة. هذا ما سمعته من بعض رجال الثورة الكبار. وربما كانت المسألة هي أن أميركا لا تريد استعادة العلاقات مع إيران إلا بطريقتها الخاصة التي تضغط فيها على الواقع الإيراني. لذلك أعتقد أن مسألة العلاقة مع أميركا هي مسألة لا تزال في جانبها السلبي خطأً استراتيجياً للجمهورية الإسلامية، بالرغم من المصاعب والمشاكل التي تُثيرها هذه الاستراتيجية. كان هناك إصرار كبير على أن تكون عودة العلاقات مع إيران منطلقاً من قبول أميركا للشروط الإيرانية.

❖ في تلك الفترة، مولانا، هل يمكن القول إن داخل النظام خطين؟ وهل يمكن اعتبار «إيران - غيت» التي حصلت مؤشراً على ذلك؟

- هناك فرق. فإيران - غيت ربما أعطيت حجماً أكبر من واقعها لأن المرحلة كانت مرحلة الحرب وكانت إيران فيها في حاجة إلى السلاح من أي مكان كان. ذلك أن النظام العراقي فرض ومعه القوى الدولية الحرب على إيران في وقت لم تكن الثورة فيها مستعدة لأي حرب لأن الجيش كان قد تبعثر، ولأن الأسلحة لم تكن موجودة على النحو المطلوب، ولأن رجال الثورة لم يكونوا مدربين أي جمهور الثورة.. لهذا كانت إيران تشتري السلاح من السوق السوداء بأسعار باهظة. ومن هنا، كانت قضية إيران - غيت التي لا يعتبرها رجال الثورة، الذين دخلوا فيها ولا سيما الشيخ رفسنجاني لأنه كان واجهة المسألة آنذاك، تغييراً في السياسة الإيرانية. بل كانت استفادة من هذا الإقبال الأميركي لتسهيل بعض أمور السلاح أكثر مما كانت المسألة سياسية. ولهذا نجد أن إيران - غيت تأثرت بها أميركا أكثر من إيران، ولم تنعكس على الواقع الإيراني الداخلي.

❖ لماذا لم تتجح وقتها، مولانا؟

- لأن الوضع والمرحلة في ذلك الوقت لم يكونا جاهزين لأي علاقة مع أميركا وفق الشروط الأميركية.

ومن الطبيعي أن وجود الإمام الخميني يُمثّل مسألة حاسمة في أي قرار بما يتصل بأميركا، وقراره كان واضحاً في هذه المسألة. فهو كان يحمل وعياً لموقع أميركا في السياسة ضدّ الشعوب.. ولذلك فالمسألة، بالنسبة إليه، كانت استراتيجية.

❖ يعني واقعية الضرورات تبيح المحظورات لم تتجح في هذا الموضوع؟

- لا، لأن الضرورات بحسب مرحلة الضرورة، ولا تمتد إلى أبعد من ذلك.

✽ قيل سنة 1980 بعد سنة من اندلاع الثورة الإسلامية وبعد نشوب الحرب بين العراق وإيران أن الأخيرة اشترت أسلحة إسرائيلية؟

- ليست لدي إطلاعات تفصيلية دقيقة. لكنني أتصور أن إيران كانت تشتري من السوق السوداء. وربما كان بعض تجار السلاح اليهود يبيعُ إيران، أو التجار الإيرانيين السلاح. فالمسألة أن إيران كانت تشعر باختناق عسكري من ناحية السلاح.

✽ ماذا عن الاتهام الأميركي - العربي لإيران في تلك الفترة بأنها وراء الإرهاب وخطف الرهائن؟ وهل تم ذلك بوحى من النظام أو من المصالح الأميركية؟

- إيران في ذلك الوقت كانت لا تعترفُ بأنها المسؤولة عن ذلك كله. ومن الممكن أنها كانت تستفيدُ منه، ولكن ليس من الضروري أن تكون وراءه. فهذه المسائل كانت تماماً كالمسائل التي تحدثُ بين اللبنانيين. كان الخطف هو الأسلوب المتبع في لبنان لعملية تبادلية أو لعملية ابتزازية أو لعملية سياسية. ولهذا، لم تكن مفردات الخطف خاضعة لخطّة مرسومة يتلقى فيها الخاطفون التعليمات بأن اخطفوا فلاناً أو فلاناً. بل كانت المسألة منطلقة من طبيعة المناخات السياسية والأمنية الموجودة في لبنان التي كانت تدفعُ لخطف هذا أو ذاك. حتى إننا رأينا أن بعض الأشخاص خطفوا مَن لا علاقة لهم بالموضوع كالكوري. ممّا يدل على أن المسألة كانت لا تخلو من العشوائية أو من طبيعة الأمور التي تستمد عناصرها من بعض الخصوصيات اللبنانية أو من بعض المناخات النفسية المتصلة بالجوّ السياسي العام في المنطقة.

✽ مولانا، في تلك الفترة، لا سيما في فترة الحرب العراقية - الإيرانية، هل كنت تشعر من خلال التواصل مع الشخصيات الإيرانية الدينية أن الثورة الإسلامية ولكن، في الوقت نفسه فيها شيء فارسي، وخصوصاً أن الموقف العربي شبه الإجمالي كان داعماً للعراق ضد إيران؟

- عندما كان الإمام الخميني لم يكن هناك أي شيء فارسي في الثورة. ولكن من الطبيعي، عندما تحرك ثورة إسلامية في منطقة ومع جماهير، أن تستفيد من الخصوصيات الموجودة لدى الشعب لتأجيج بعض المواقف. يعني أنني أتصورُ أن بعض الشعارات الوطنية التي أطلقت بعد قبول الإمام الخميني بالقرار 598 كانت

شعارات وطنية للدفاع عن إيران . ومن الطبيعي أَنَّهُ من الصعب جداً أن تعزل العنصر الوطني أو القومي عزلاً كلياً عندما تلتزم خطأً إيديولوجياً أو عقائدياً أو غير ذلك .

❖ لقد كان الإمام الخميني كُلَّ الثورة باعتبار أَنَّهُ كان الشخصية التي فرضت نفسها على الجميع . فإلى أي مدى لعبت شخصيته دوراً في عدم الانفتاح على الغرب؟

- لكن ، كان هناك أشخاص يثقُ بهم الإمام الخميني وفي مقدّمهم الشيخ رفسنجاني . وهو كان يتعاون مع الجميع ، ولكن في القضايا الاستراتيجية لم يكن يُقدّم تنازلات ...

❖ هل كان لتحالف سوريا مع إيران في مرحلة الحرب مع العراق دور معين في جعل الصراع الذي كان حاصلاً بين دولتين أو بين نظامين؟
- في ذلك الوقت ، كانت الشعارات كلها هي صراع الإسلام ضدّ الكفر ، لأنهم كانوا يعتبرون أن البعث هو نظام كفر . فالجوّ الجماهيري كان متحرّكاً في هذا الاتجاه . وكانت المسألة في الواقع العربي مسألة فرس وعرب على الأقل لدى القوميين . أما في إيران فلم تكن كذلك .

❖ بالنسبة إلى العرب الإيرانيين ، كيف كانت هذه الفكرة؟
- علينا أن نعرف أن العرب الإيرانيين كانوا معقّدين من صدام ، لأنه اجتاحت الشخصيات الإسلامية الشيعية الكبرى ، فخلق بذلك جرحاً في نفوس كلّ الشيعية بمن فيهم الشيعة العرب الإيرانيين ...

❖ لماذا يثق النظام الإسلامي في إيران أكثر برجال الدين؟ ولماذا تقلّ ثقته بالعلمانيين الإسلاميين؟

- ربما بدأت الصورة تتبدل . إذ نجد ثقة بالسيد حسين الموسوي رئيس الوزراء الأسبق ، وبالدكتور ولايتي وعطا الله المهاجراني ... كانت الفكرة عند الإمام الخميني عزل كُلّ رجال الدين عن السياسة والتدخل في الدولة . لكنّ التجربة التي عاشها مع بني صدر جعلته يتيقّن أن أولئك يمتلكون خلفيات غير إسلامية ، ويمكن أن يُعرّضوا النظام إلى الخطر . هناك شخصية محترمة دينياً هي مهدي بازرگان حاول أن يعتبر الثورة الإسلامية باكستان ، لذا بدأ يفتتح على

أميركا وغيرها. لكنّه لم يكن يعيش الذهنية الثورية للإمام الخميني، ولذا أبعدَ عن الحكم. كانت خطوة الاستعانة ببارزكان جديّة، وأعتقَدُ أن الظروف التي مرّت على الإمام هي التي جعلته يُغيّرُ هذا الأسلوب في اختيار المسؤولين...

الجلسة السابعة

❖ حرب المخيمات بين «أمل» والفلسطينيين كيف بدأت؟ لماذا؟ من المسؤول؟ وما كان دورك وقتها؟

- في تصوّري أنّ حرب المخيمات كانت جزءاً من الحرب اللبنانية التي تنطلق من بعض الخلفيات العربية، باعتبار أن حركة الفلسطينيين في لبنان كانت متعدّدة الخطوط، متنوعة الأبعاد، جرّاء دخولها حركة الصراع العربي - العربي، ومسألة الصراع الغربي - السوفياتي. ودفع ذلك أكثر من جهة إلى محاولة خلق المناخ الملائم لإدخال المخيمات الحرب اللبنانية من خلال التعقيدات والتجاوزات التي كان يقوم بها الفلسطينيون، ومن خلال ما كان يُثار من المسألة الفلسطينية - الشيعية بسبب العناوين التي كانت تُطلق من مسألة التوطين والخطّة الفلسطينية للتمدّد جنوباً. كل ذلك كان يُحرّك الكثير من السيناريوهات في هذا المجال، بالإضافة إلى بعض التجاوزات في منطقة المخيمات التي يحيطُ بها أكثر من وسطٍ شيعي.

أعتقدُ أن كلّ هذه العناصر تجمّعت، والقسّة التي قصمت ظهر البعير كانت التجاوزات الحاصلة بين الشيعة الممثّلين آنذاك سياسياً بحركة «أمل» والمخيمات بتنوعاتها السياسية. طبعاً لم تكن هذه المسألة هي التي أطلقت حرب المخيمات، لكنّها كانت في نهاية حركة الاحتقان السياسي العربي والدولي بالإضافة إلى بعض الخطوط اللبنانية التي تُطلّ على الفريق اللبناني الآخر، كان عنوانه الكبير مواجهة الفلسطينيين تحت أكثر من شعار.

أعتقد أن أكثر من جهة دخلت على الخط، وكانت الواجهة «أمل». وربما شارك بعض عناصر الجيش اللبناني في هذه الحرب، لأننا نعرِفُ أنّه كان قد

قُسم، وكان مشحوناً ضدّ الفلسطينيين بحسب السياسة المرسومة لقيادته آنذاك .

لقد كان يُراد للمسألة اللبنانية أن تصنّع للعالم العربي حساسية جديدة في المسألة السنية - الشيعية، باعتبار أن الفلسطينيين من السنة، وأن السنة كانوا مُستفترين في كلّ العالم العربي مع الفلسطينيين في الدائرة اللبنانية بقطع النظر عن المسألة السياسية العربية أو الدولية. وساعد في ذلك الإعلام الفلسطيني الذي كان يمتلك امتداداً في العالم العربي بسبب توزّع منظماته على كلّ الدول العربية أو أكثرها. كما ساعد فيه الإعلام العربي وغياب الإعلام اللبناني، هذا إذا كان هناك شيء موضوعي فيه، وعدم وجود أيّ إعلام شيعي.

لهذا كانت المسألة السنية - الشيعية أساسية في حرب المخيمات لدى الذين خطّطوا لها لتتقيف العالم العربي والإسلامي، ولإنتاج الحساسيات المذهبية. ذلك أن من بين أهداف الحرب اللبنانية كان إيجاد حالة دينية في العالم العربي تُعقّد المسيحيين من المسلمين، وهذا ما لاحظنا انعكاسه في الأخبار، وتعمّد السنة من الشيعة، وتوقع الفلسطينيين في الخطر الكبير والفريق الشيعي في هذا الخطأ. لهذا أعتقد أن «أمل» كانت ضحية، ولم تكن الجهة الفاعلة الأصلية في هذا المجال، بل كانت تفصيلاً من الصراع العربي - العربي على الموضوع الفلسطيني.

وقد نحتاج إلى وقتٍ طويل كي نتحدّث عن بعض الأسماء في ذلك.

وفي تصوّري أن الصورة الشيعية لم تكن بارزة عدا حركة السيّد موسى الصدر، وبعض عمليات المقاومة المحدودة آنذاك.

ولهذا رأينا أن الحرب اللبنانية جيّشت المشاعر الشيعية ضدّ الفلسطينيين كجزء من عزل الفلسطينيين عن المحيط الطبيعي الذي كانوا يوجدون فيه وهو الجنوب. لذلك كانت القضية تنفيساً لهذه المسألة.

✽ حركة «أمل» محسوبة على السوريين، الذين كانت علاقتهم مع الفلسطينيين كراً وفرّاً... فمن جهة هناك قصة العلاقة السورية - الفلسطينية، ومن جهة أخرى هناك قصة إنتاج الحساسية المذهبية السنية - الشيعية.

- ربما كان السوريون آنذاك يشعرون بخطورة التحرك الفلسطيني في لبنان الذي خطّط أصحابه مع «الحركة الوطنية» لمواجهة السوريين. ولهذا ربما شعرت سوريا بالخطر من التمدّد الفلسطيني الذي ربما يلتقي مع كل الجهات العربية العاملة

على تحجيم دور سورياً العربي وعلى عزلها عن المسألة اللبنانية. ودفع ذلك المناخ السياسي إلى الانفتاح على الحساسيات التي أنتجت حرب المخيمات.

❖ مولانا، هذه الحرب لم يكن فيها غالب ولا مغلوب.

- لا أعتقد أن هناك أي خطة في الحرب اللبنانية أن يكون هناك غالب ومغلوب. كانت المسألة أن يبقى الجو اللبناني يتبادل الهزائم والمجازر والحساسيات. وكان المطلوب تغذية الحساسيات. فلو تغلب المسلمون على المسيحيين، وهذا هو المصطلح الذي استعمل في الحرب اللبنانية، وكنا لا نعتقد بواقعيته بالنسبة إلى كل المسلمين وكل المسيحيين، لقل إن المسلمين يريدون أساساً إخراجهم من لبنان. كان المطلوب أن يعيش المسيحيون الإحساس بأن المسلمين يريدون إخراجهم منه، وتحويله جمهورية إسلامية أو عربية وغير ذلك. وكان المسلمون يشعرون بأن المسيحيين ينسّقون مع إسرائيل والغرب لإسقاط الحركة الوطنية والقومية وما إلى ذلك. وكان المطلوب أيضاً إثارة هذه الحساسية الدينية، كأن يقتل خوري مثلاً أو يساء إلى كنيسة لتجيش المشاعر الطائفية في هذا المجال، ولدفع المسيحيين إلى الهجرة كما المسلمين. وهذا ما حصل في النبعة وبرج حمود وبعض المناطق. كان المطلوب أن يشعر السنة بأن الشيعة يريدون قتلهم كجزء من التاريخ الشيعي التأثير على خلفاء السنة، وكان يُراد للشيعة أن يتحسّسوا من السنة الذين كان الفلسطينيون يمثلون واجهتهم العسكرية، وأن يعتقدوا أنهم يريدون طرد الشيعة من الجنوب ولبنان والتمدد على حسابهم والسيطرة عليهم. لهذا السبب كانت قضية السنة والشيعة تُثار في الصحف العربية، وربما بعض صحف دول إسلامية أخرى، وتُثار مسألة تكفير الشيعة وما إلى ذلك من قبل السلفيين هنا وهناك... من الطبيعي أن هذه المسائل استطاعت أن تشحن الشيعة شحناً فوق العادة ضد السنة والفلسطينيين لولا بعض الأصوات النقية الصافية التي كانت تستشعر الخطر في ذلك، وهكذا بالنسبة إلى السنة.

❖ ما كان موقف الإسلام الحركي الذي أطلقته سماحتك من هذه الحرب؟

- رفض الحرب كان الموقف وبكل قوة لأننا كنا نشعر ببعض أجزاء الخطة التي كنا نعتبرها ضد القضية الفلسطينية والمسلمين عموماً. ولهذا وقفنا موقفاً قوياً ضدها. وقد عانيت الكثير من هذا الموقف لأنني كنتُ الصوت شبه الوحيد، الذي كان يتحدث على نحو حاسم في هذا المجال. حتّى إنه بعدما ذُكر أمامي أن أبناء

مخيم الرشيدية كانوا يأكلون القطط في أثناء حصاره وما شابه ذلك ، سُئِلْتُ: «هل يجوز ذلك»؟ فقلت: «إنه مع الاضطرار الشديد يجوز»... وقد حاول البعض السخرية من ذلك ، وأذكرُ أن مجلة «الشراع» تاجرت به ، وتحدّثت في شكل سلبي عنه .

أستطيع أن أقول أن موقعي في الحرب اللبنانية لم يكن موقف شخص يحتاط لنفسه في أي موقف من المواقف... إذ ربما يخطئ الإنسان في بعض المواقف. وفي تصوّر بعض الأوضاع نتيجة الأجواء السياسية المعقّدة والمتشابكة بين المحلي والإقليمي والدولي. لكنني أستطيعُ التأكيد أنني لم أجامل أحداً في أي من مواقفي وتحملتُ الكثير في هذا المجال... لقد ذكرت سابقاً أنه لا علاقة لي بعرفات ولا بنسبة واحد في المئة... ولم تحدث أية علاقة معه لأنّه كانت عندي آنذاك عقدة من مثل هذه العلاقة... ربما التقيت عادياً ببعض الفلسطينيين من منظمات أخرى. وأخيراً، كانت لي لقاءات ببعض المسؤولين في «السلطة» وكانوا ينقلون إليّ تحيات عرفات وبعض تفسيراته للقضايا، لكن لم يحدث أنني التقيت عرفات لقاءً ولو عادياً...

❖ هل كان «حزب الله» بارزاً كما هو؟

- لم يكن «حزب الله بارزاً بالعنوان الكبير، بل كان يُمثّل تجمّعاً إسلامياً لا عنوان له.

❖ ولكن هذا التجمّع كان من رأيك بالنسبة إلى حرب المخيمات؟
- نعم ، هذا صحيح.

❖ هل من دور مباشر أو غير مباشر للفلسطينيين في نشأة «حزب الله»؟

- ليس هناك أي دور في ذلك ولو بنسبة واحد في المئة. مثّل «حزب الله» في بداياته هذه المساحة من الشباب الإسلامي الشيعي الذي عاش بعضه في أحضان حركة «أمل» تحت مظلة موسى الصدر، وعاش الروح الإسلامية في الشكل العام، وعاش في دائرة تنظيم «حزب الدعوة» مع بعض التطلعات الشيعية التي كانت تنفتح على إيران باعتبارها الدولة الشيعية الوحيدة، مع ما أخذه الإمام الخميني من هذا المدّ الشعوري الذي جعل المسلمين ولا سيما الشيعة منهم يشعرون بالفخر والاعتزاز بالانتماء إليه وإلى حركته. حتّى كادت تلك المرحلة أن تذهب

بكل المنظمات الموجودة داخل الشيعة سواء «حركة أمل» أو «حزب الدعوة» أو ما إلى ذلك. إذ استطاع الإمام الخميني تحويل الساحة إلى تيّار بعد أن كانت من السواقي المتجمّعة هنا وهناك. ولولا إن حركة «أمل» وقفت ضدّ شعارات الثورة الإسلامية بقدر ما يتعلّق الأمر بلبنان أو العالم العربي، لاستطاعت الثورة اجتياح «حركة أمل» تماماً. لكنّ هذا التحفظ لبعض مفردات الثورة الإسلامية هو الذي أبقي «حركة أمل» في دائرة التماسك. لهذا نستطيع أن نقول: إن «حزب الله» عاش في هذا المناخ الذي كان يتطلع بقلق ويتحرّك ويبحث عن حركة تلقى مع خطوط الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني. ولذلك استفادت خطوط الثورة الإسلامية في إيران من هذا المناخ، واستطاعت أن تُشرف عليه، ولم تكن لأيّ جهة عربية أو فلسطينية بالذات علاقة بولادة «حزب الله».

❖ الشيعة كانوا وقود الأحزاب في «الحركة الوطنية»... حين كان الفلسطينيون يقودون العمليات العسكرية. كانت هناك كادرات مع الثورة الفلسطينية فصارت مع «حزب الله»... ما أريد أن أسأله هو: هل إن «حزب الله» ألغى إمكانية أي استعمال فلسطيني للشيعة، وهل بقيت الروح الرفاقية القديمة معهم؟

- من الطبيعي أن العلاقات بقيت لدى بعض العناصر التي تربّت في أحضان «حركة فتح» بالذات. ولا أظنّ أن هناك أيّ جهة من الشباب كانت تنتمي إلى حركة أخرى، باعتبار الجوانب الإيديولوجية المنافسة للإسلام التي كانت تطبع أغلب الحركات والأحزاب التي كانت قومية. كان هناك عداً بين القومية العربية والحركات الإسلامية. كان هؤلاء العناصر يستفيدون من «حركة فتح» ببعض الأسلحة، لأنها كانت تحاول أن تبقى على علاقة جيدة بالتيّار الإسلامي الشيعي المرتبط بالثورة الإسلامية الإيرانية وتيارها الداعم للثورة الفلسطينية ولها بالذات، وخصوصاً عندما استقبل الإمام الخميني ياسر عرفات بكل محبة وإعزاز وتقدير. كانت الحركة الفلسطينية تحاول الإفادة من ذلك، وتحاول تقوية هذه الجهة، باعتبار أن تطلعاتها لم تكن ضد الفلسطينيين. لكنّها لم تستطع دخول «حزب الله» لتؤثر فيه، أي في الخطوط السياسية التي يختلف فيها «حزب الله» والثورة الإسلامية الإيرانية مع الفلسطينيين أو مع «حركة فتح». فالعنوان العام كان موضع وفاق، لكنّ الخطوط التفصيلية لم تكن كذلك، ولا سيما بعد أن تعقّدت

إيران بالفلسطينيين أو بياسر عرفات...

لهذا لا نستطيع أن نقول إن «حركة فتح» استطاعت أن تؤثر في شكل عميق في «حزب الله» ولو من خلال العناصر التي تدرّبت وكانت جزءاً منها.

❖ عن أي حرب تحدثت سماحتك حين قلت إنك صمتت وبقيت في الضاحية في الوقت الذي أريد تفريغ الضاحية من سكانها؟

- كنتُ أتحدّث عن بداية حرب «أمل» و«حزب الله» في الضاحية. إن التعقيدات التي عاشت في الجوّ الشيعي مع بعض الخلفيات العربية واللبنانية حاولت إضعاف الساحة الشيعية لأن هناك فريقاً ثلاثياً على المستوى العربي أو المحلي كان يعتبر أن حركة «حزب الله» في الصراع الشيعي ومشكلته في آن، هي محاولته التمدّد في الساحة الشيعية، وذلك كنتيجة الخط الإيراني، الأمر الذي يعني تمدّد إيران في لبنان. في تلك المرحلة، كانت خطوط الثورة الإسلامية متنوعة ومتعددة حيث كنت تشعرُ بأن إيران التي تتحرّك في لبنان ليست واحدة. إذ كانت هناك خطوط موجودة من وزارة الخارجية ووزارة الإرشاد وغيرها... فإيران في تلك المرحلة لم تستقر في سياق واحد أمنياً أو سياسياً... وهذا ما لاحظناه في ما حدث في تلك المرحلة من تصفيات داخل الثورة الإسلامية. لذلك أعتقد أن المسألة كانت تنطلق من مناخ يُرادُ به إضعاف الحركة الإسلامية الإيرانية، ولهذا ولدت حرب الضاحية التي انطلقت من مفردات خُيّل إلى الجميع أنها محلية، لكنّها لم تكن كذلك... وقد بقيت في تلك الساحة في الضاحية، وطبيعي أن الجوّ الذي كان يحيط بي كان جوّ «حزب الله»... علماً أنني لم أكن على تباعد مع «أمل». فقد كان الكثيرون منها يأتون إليّ، وحين كانت الحرب مُستعرة كنتُ أتصل ببنيه بري مباشرة لأحادثه حول الافتراقات وغيرها. وقد قَصَفَ اللواء السادس في الجيش اللبناني بيتي، لمحاولة اغتيال وأسر. وحين انتهت الحرب، كنتُ أدعو الناس إلى العودة والرجوع إلى الضاحية. لكن كان هناك أصوات شيعية وغيرها كثيرة دينية وغير دينية تحاول أن تحشر الضاحية في زاوية، أو أن تحشر فريق «حزب الله»، وهو الفريق الإيراني حسب المصطلح آنذاك، في زاوية. لهذا منعوا الناس من الرجوع إلى الضاحية. وكانت تلك الأجواء والظروف تهَيّئ لدخول السوريين إليها. وهكذا كان...

لقد حاول البعض، ومنهم شخصيات دينية، تسجيل نقطة عليّ بالتساؤل عن

سبب بقائي في الضاحية، وبالجواب أن بقائي كان لدعم «حزب الله». والواقع أنني صمدت في كلِّ مواعي. فالنيعة كنتُ آخر مَنْ خرج منها، وبداع صحي، وكان خروجي قبل سقوط النبعة بأيام. وسبب بقائي كان ولا يزال أنني أحبُّ الناس ولا أحبُّ أن أخذلهم.

لقد كنت أشعر بأن تركي الناس في حالات الشدة جريمة. هكذا كانت المسألة في الضاحية. فقد بقيت في أثناء الاجتياح الإسرائيلي، وكان القصف ينهال بشدة وكنا نحتمي بما يُشبه الملاجئ غير المحصنة... لقد عشتُ مع الناس، وكنتُ أذهب إلى المسجد وفيه عشرة أشخاص مثلاً. عشنا وضعاً صعباً. وكذلك في 6 شباط، لم أخرج من الضاحية أو غيرها انطلاقاً من شعوري بأنني أريدُ أن أكونَ مع الناس...

❖ هل دخل الإسرائيلي الضاحية كلها؟

- لا، مرُّ مرور الطريق في الضاحية ولم يستقرّ. ويوم كنتُ فيها، كانت خالية من الوجود الإسرائيلي. فإسرائيل كانت في خلدة وداخل بيروت، ومرّ جيشها على الطرقات الرئيسة.

❖ دخل السوريون الضاحية معقل «حزب الله» وإيران. هل التفاهم بين سوريا وإيران بعد الدخول أو قبله؟

- في تصوّرِي أن التفاهم حصل بعده. وأذكر وقتها ما قاله غازي كنعان ممّا ذكرته سابقاً.

❖ ماذا عن حرب «أمل - حزب الله» في الجنوب أيضاً؟

- وقفتُ ضدها، وكنتُ أسعى مع الإيرانيين وغيرهم لإيجاد قاعدة لإيقافها، سواء حرب إقليم التفاح الأولى أو الثانية التي دخل فيها أكثر من موقع عربي، حتى بدا كأن هناك حرباً بين إيران وأكثر من موقع عربي.

في «حركة 6 شباط»، كنتُ في إيران. أذكر وقتها أن العناوين التي أطلقت في الجوِّ الحماسي الإسلامي الإيراني، أنهم كانوا يتفاءلون بأن «حركة 6 شباط»، سوف تحوّل لبنان إلى جمهورية إسلامية. وكان ذلك مدار حديث في إيران. أذكر أنني كنتُ جالساً في بعض المجالس التي ضمت شخصيات كبيرة، وحين سُئلت رأبي أجبت: «أحبُّ أن أقول لكم إن لبنان لن يكون جمهورية إسلامية إلا بعد تحوّل

المنطقة كُلُّها جمهورية إسلامية، وفلسطين أيضاً، وبعد ذلك يمكن أن يصير لبنان جمهورية إسلامية ويمكن أن لا يصير. فهو يُمثِّلُ معادلة دولية حديدية لا تسمحُ بهذا النوع من التغيير والانقلاب. والمسألة ليست فقط وجود المسيحيين في لبنان الذي وُضِعَ ليكون له دورٌ معيّن، وهذا الدور خاضع للعبة الدولية في هذا المجال». هذا ما قلته لهم آنذاك... وأذكرُ أنني كنتُ أتحدّث في ذلك الوقت بأنني لو سُئِلْتُ: هل تفضّل أن يكون لبنان جمهورية إسلامية أو أن يبقى على صورته الحالية؟ لأجبت ببقائه لأن مصلحة الإسلام في بقاء لبنان بل هذه الصورة هي أكثر من تحوُّله جمهورية إسلامية.

❖ هل كان لديكم اطلاع على أن شيئاً ما سيحصل مثل «حركة 6 شباط»؟
- في تلك المرحلة لم نكن نشعر بأن التطور سيصل إلى هذا المجال، بل كان مفاجئاً...

❖ هل كنت ترى أن الاحتقان من أمين الجميل ومن سياسته، وخصوصاً في ما سُمي هدم المخالفات في الضاحية، مبرراً للتحركات التي حصلت؟
- لا، كنتُ أعتقدُ أن سبب الاحتقان الموجود عند المسلمين والشيعية بالذات هو شعورهم بأن «الكُتائب» بدأت تُصَفِّي حساباتها وتنفّذ مشروعاتها، وكانت فكرة الناس عنه أنّه يريدُ تحويل لبنان دولةً مسيحيةً بالكامل، وأن يكون المسلمون مواطنين من الدرجة الثانية. ولهذا كانت محاولة تهديم مسجد الرسول الأعظم، وكانت محاولة الوقوف ضدّ التجمّع الذي حدث في مسجدنا في مسجد الإمام الرضا (ع) ضدّ اتفاق 17 أيار، وحتى القصف المدمر للضاحية بعد ذلك. كان الناس ينظرون إلى ذلك كله على أساس ما كان يُثار من العنصرية أو الانعزالية الكُتائبية. ومن الطبيعي أن هذا الواقع النفسي الذي أكّده الواقع الخارجي، كان يجعل من «حركة 6 شباط» بإمكاناتها واقعية، ولا سيما بعد انقسام الجيش وتحوُّله فرقاً طائفية. إذ أصبح لكل طائفة جيشها، وخصوصاً عندما قام الجيش من خلال سياسة أمين الجميل بقصف الضاحية وتدميرها.

❖ هل كان الإيرانيون يقصدون بحديثهم عن جمهورية إسلامية في لبنان، جمهورية إسلامية عامة أم إسلامية شيعية؟
- لا، كانوا يقصدون جمهورية إسلامية في شكل عام. لم تُطرح المسألة

الشيعة في المداخلات، لأن التيار السياسي الذي كان في إيران هو تيار الجمهورية الإسلامية في العالم، حيث كان الشعار «لا شرقية ولا غربية جمهورية إسلامية». لم تُلحظ المسألة الشيعية خصوصاً أن الشيعة في تلك المرحلة لم يكونوا يمثلون قوة قادرة على السيطرة على لبنان...

❖ مولانا، في حرب «أمل - حزب الله» كنت صادقاً جداً في مسعاك لوقفها، لكن داخلياً أين كان قلبك؟

- كنتُ أشعرُ في ذلك الوقت، خطأً أو صواباً، بأن «حزب الله» كان المستهدف. لكنني كنتُ أجدُ أن الحرب ليست في مصلحة أحد، لا سيما أنها أوقفت المقاومة ضد إسرائيل سنتين، وهذا ما أزعجني كثيراً...

❖ نشأة «حزب الله» هل هي إيرانية؟

- هي نشأة لبنانية استطاعت إيران أن تحركها في تيارها...

❖ كيف كانت النظرة السورية إليكم في تلك الفترة؟

- كنتُ أشعر بأن هناك احتراماً سورياً لي بعيداً من هذه التفاصيل. ولهذا كانت لقاءاتي (لقاءان) مع الرئيس الأسد حميمة وكنْتُ محل احترام وتقدير كبيرين جداً، شعرت بهما بمناسبة وبغير مناسبة. كان اللقاءان بدعوة من الرئيس الأسد، ولم أطلب لقاءه يومها...

الجلسة الثامنة

✽ حدثني، مولانا، عن العلاقة مع سوريا قبل الحرب وبعدها.

- لم تكن لدي أي علاقة عضوية بسورية كدولة قبل الحرب والأحداث اللبنانية. بل كانت لي علاقات منذ 1975 مع بعض المؤمنين الشيعة في الشام، وكنْتُ أذهبُ بين وقت وآخر لإلقاء المحاضرات، ولقاء الشباب من الذكور والإناث، ولم يكن لهذه المحاضرات طابع سياسي، بل طابع فكري ديني. من خلال ذلك، استطعتُ أن أثّرَ بعض الانفتاح الفكري والإسلامي بقدر ما كانت تتسع تجربتي الإسلامية والثقافية والاجتماعية...

في تلك الفترة، واجهتُ موقفاً عنيفاً مضاداً من بعض علماء الشيعة اللبنانيين الكبار الذين كانوا يقيمون في سوريا. وبدأ، في تلك الفترة، إطلاق الاتهامات لي بالانتماء إلى «حزب الدعوة». ووجهتُ حركتي وطروحاتي في شكل عنيف جداً، وخصوصاً بعدما تعاطف معي ومعها بعض المشايخ من الشيعة الذين كانوا يمتلكون تأثيراً تربوياً واجتماعياً في مجال الخطابة الحسينية، ومنهم الشخصيتان المرموقتان الشيخ محمد علي صندوق، والشيخ علي الجمال الذي كان أحد خطباء المنبر الحسيني المميزين، والذي كان يلقي بعض محاضراته وما روي من الأدعية عن الأئمة (ع) في الإذاعة السورية...

كان هناك نوع من الحساسية بين العالم الكبير الذي واجهني وبينهما. وهكذا امتدت هذه الجلسات وصارت تستقطب المثقفين، وصار يأتي إليها بعض السنة المثقفين أيضاً. وكانت تعقد في بيت رجل الأعمال صديقنا صائب النحاس، كما كانت تمتد إلى بيوت الكثيرين من وجهاء الشيعة هناك...

هذا هو النشاط الذي كنْتُ أقومُ به بداية هناك، ولم يحدث أن اتصلت بأي

شخصية سياسية في سوريا... وحديثي الآن هو عن الشيعة السوريين، ولم تكن لي وقتها صلة مباشرة بالعلويين السوريين إلا من خلال بعض علمائهم الذين أذكرُ منهم أحداً انتقل إلى رحمة الله تعالى هو الشيخ عبد الرحمن دُخَيْل. وكان يُمثَلُ في كتاباته ودعوته الخط الذي يتحدث أن العلويين هم من المسلمين الشيعة بكلِّ عقائدهم... كان العالم الكبير الذي ذكرتهُ بدايةً يتحدَّث عن العلويين في شكل سلبي، حتَّى إنه كان يذكرُ الشيخ عبد الرحمن بالسلبية نفسها.

كنتُ أتحدَّث، حين يُثارُ موضوع العلويين، أن علينا أن نتقبَّل من العلويين ما يقولونه ويثبتونه من أنهم شيعة جعفرِيُّون ونشجعهم على ذلك، ونحاولهم في ما هم فيه. ذلك أن مشكلتهم أنهم عاشوا تحت الضغط العثماني مئات السنين، واضطروا إلى العيش في مناطق منعزلة. ولهذا سيطر الكثير من الجهل والتخلف عليهم ممَّا أدى إلى إرباك العقيدة الشيعية في نفوسهم...

وكنْتُ أفكرُ أن علينا الانطلاق إلى الجيل الجديد من العلويين المنفتحين على الفكر الآخر وعلى هويتهم الإسلامية كي نصحَّح ما وقع الخطأ فيه، ونقوم ما تعرَّض للانحراف، لنتحمل مسؤوليتنا في ذلك، حيث لا يجوز لنا اللجوء إلى التكفير...

وأعتقدُ أنني، منذُ ذلك الوقت، بدأتُ أتصل بالعلويين وأذهب إلى بعض مناطقهم، وألقي بعض المحاضرات، وأرسلُ بعض تلاميذي للتبليغ الديني، واستطعتُ النجاح في ذلك. ونحن نرى أن العلويين الآن يبنون المساجد ويسمَّون هذه المساجد بأسماء أئمة أهل البيت (ع)، ويقيمون صلاة الجماعة. ولقد شاهدتُ مسجد ناعسة والدة الرئيس حافظ الأسد الذي بني في القرداحة وعليه أسماء النبي (ص) والأئمة الاثني عشر (ع)... وبعد وفاة العالم الكبير الذي واجهني، وكنْتُ حينها وكيلًا عاماً للمرجع الكبير السيّد الأستاذ أبي القاسم الخوئي الذي أرسل بعض وكلائه إلى الشام وأسَّس مركزاً هناك، كنْتُ أذهبُ إلى هذا المركز بين وقت وآخر، وألقي بعض المحاضرات. في تلك المرحلة، بدأ العراقيون يقدِّمون تحت طائلة الوضع السياسي في العراق إليّ مركز السيِّدة زينب (ع)، وكنْتُ أنقيهم محاضراً، ملقياً بعض الندوات، ومصلياً الجماعة معهم...

كان أول لقاء رسمي لي بالرئيس الأسد بدعوة منه سنة 1985. أذكرُ أن وسائل الهجوم ضديّ كانت كلامية، ولم تترك تأثيراً إلا لدى التقليديين حين واجهني العالم الذي ذكرتهُ سابقاً... فالجيل الشاب، الذي كان مُحاطاً بكبار السن الذين كانوا يتخذون موقفاً سلبياً من هذا العالم الكبير، كان يتحرك في نطاق

الشيخين صندوق وجمال اللذين كانا من تلامذة المرحوم السيد محسن الأمين. وقد ربّيا هذا الجيل كبير السن والشباب على أيديهما، ولم تستطع حملة العالم الكلامية الاتهامية أن تضعف حركتنا هناك التي كانت مفتوحة. ذلك أنني لم أكن أطرح أي خط حزبي في هذا المجال، بل كنتُ أحرّ الشّباب الذين بدأوا يميلون إلى الانتماء الحزبي وإلى «حزب الدعوة» بالذات من الواقع السياسي الموجود في سوريا الذي لا يتحمّل من خلال الأجهزة الأمنية خصوصاً أي حزب إسلامي، ولا سيما بعد تجربة «الإخوان المسلمين» في سوريا.

❖ كيف كانت نظرة السوريين إلى حركتك بعد تجربة «الإخوان المسلمين»؟
- لم ألاحظ أي ضغط مباشر بما يتصل بهذه الندوات. لكنني كنتُ أسمع أن رجال المخابرات يحضرون الندوات ويسجلون بعض ما فيها، وكان بعض الشّباب يتخوّف من ذلك. لكن لم يحدث شيء مهم، ربما لأنهم لم يشعروا بوجود حالة توحى بالخطورة، ولا سيما أن الندوات كانت في إطار الوضع الشيعي المحدود جداً، الذي ربما كانوا يفكّرون أنه لا يمثّل امتداداً للواقع الإسلامي الرّحب في سوريا... كانت المسألة ثقافية فكرية وكنتُ حذراً من طرح المسألة السياسية، في الوقت الذي كنتُ ومنذُ قدومي من العراق مُسيّساً بالمعنى الفكري للسياسة على أساس الحركة الإسلامية... وكنتُ أحمّلُ من العراق التعقيدات الفكرية الإسلامية ضدّ كلّ الأحزاب القومية ولا سيما التي اعتمدت الاشتراكية...

❖ متى تمّ التفاهم الفعلي بين سوريا وإيران، لا سيما بعدما شعرت سوريا بالخوف حين انطلق «حزب الله» للعمل بعيداً من السياسة السورية...؟
- الواقع أنه، عندما انطلقت الثورة الإسلامية في إيران، كانت هناك حساسية سورية منها، لكن لم يكن هناك موقف حاسم ضدها. ولعل الأساس في ذلك هو أن الإيرانيين، وبعد انطلاقة الثورة لم يقوموا بعمل سياسي كبير يُثير القلق بالنسبة إلى السياسة السورية. وربما كانت المسألة الشيعية بقدر ما تتعلق بإيران تُمثّل نوعاً من الضمانة لعدم الخطورة، لا سيما الخطورة على الوضع السوري، وخصوصاً أن الطروحات الإيرانية لم تكن تصطدم آنذاك بالعناوين الكبيرة في سوريا. فالإيرانيون حين اصطدموا بالنظام العراقي مبكراً، كانوا يتحدثون عن «البعث العراقي» وليس عن «البعث» عموماً، وسوريا كانت وقتها في بدايات الصراع مع النظام العراقي. وجعل ذلك الموقف الإيراني المضاد للبعث العراقي

منسجماً إلى حد ما مع المناخ السياسي السوري بقدر ما يتعلّق بالعراق . وقد حاول الإيرانيون ، منذ البداية ، توثيق العلاقة مع سوريا ، الأمر الذي جعل السوريين يأمنون جانبهم ، ويرون أنهم بدأوا يلتقون مع خطّهم السياسي ولا سيما بعد أن فتحوا في طهران سفارة فلسطين بديلاً للسفارة الإسرائيلية . كما أن إسقاط الثورة الشاه قاعة أميركا والغرب في إيران وانفتاح السوريين على التحالف مع الاتحاد السوفياتي الذي لم يكن يرفض الثورة الإسلامية من الناحية السياسية وإن رفضها إيديولوجياً وفكرياً ، كما أن كل ذلك سهّل التقاء الخطين السوري والإيراني .

أعتقدُ أن بداية الثورة لم تكن في أفق يمكن أن يرتب خطراً على السياسة السورية . بل لاحظنا أن الإيرانيين القادمين إلى سوريا كانوا يقومون بأعمالهم ونشاطاتهم الدينية ولا يتدخلون في السياسة السورية ...

فلم يشعر السوريون بالقلق من أي تحرّك إسلامي يُحسبُ على إيران خصوصاً أنّه يعيش في الجوّ الشيعي ...

❖ لكن حصلت صدامات بين السوريين و«حزب الله»؟

- عندما بدأ «حزب الله» ، لم يبدأ بداية سياسية كقوة تُثيرُ القلق ، بل كان جزءاً من الفوضى اللبنانية ، الأمر الذي جعل حركته محدودة في مواقعه ، مُطلّقة الشعارات ضدّ أميركا والانعزاليين والنظام العراقي مما انسجم مع السياسة السورية . لم يكن الحزب في الخط السياسي ضد الاتحاد السوفياتي ، وربما كان في المجال الفكري ضد الشيوعية . لم تكن هناك هوية واضحة لنظام «حزب الله» عند نشوئه ، ولم تكن له قيادة واضحة ، بل كان يُمثّل حركة سياسية شبه عسكرية ، وربما اصطدم في بعض الحوادث بالسوريين ممّا أدى إلى مجزرة فتح الله . لكن الأمور لُفّلت ولم تجذّ إيران و«حزب الله» والسوريون أي مصلحة في تأزيم الخلاف . بل كان السوريون يقدمون للأمور تفسيرات معيّنة تفيد أنهم لم يشعروا بخطورة «حزب الله» على سياستهم في لبنان .

لكن عندما بدأ «حزب الله» يكبرُ ويأخذ من «أمل» التي تُمثّل القاعدة السياسية لسوريا في لبنان ، وعندما بدأ يتعاطف مع الفلسطينيين لا سيما في حرب المخيمات ، عند ذاك تحرّكت السياسة السورية إلى جانب السياسات العربية القلقة من تمدّد النفوذ السياسي الإيراني إلى لبنان ، ومن تدخل إيران في قضية الشرق الأوسط من خلال لبنان ، وما إلى ذلك من طروحات . أدى هذا الأمر إلى حربَي

«حزب الله - أمل» الأولى والثانية وكانتا تهدفان إلى تحجيم «حزب الله»، ومنعه من الامتداد في الساحة الشيعية بالمستوى الذي يجتاح فيه حركة «أمل»، لا سيما أن الخيمة الإيرانية تعطيه نوعاً من الشرعية الشيعية. لهذا استطاعت الحرب بين «أمل» و«حزب الله» أن تصنع الكثير من التعقيدات في الواقع الشيعي الذي تحوّل إلى حاجز أمام الامتداد السياسي لـ «حزب الله»، وأمام استقطاب الساحة الشيعية، ولا سيما بعد سقوط العديد من الضحايا الشيعة هنا وهناك، وانهام «حزب الله» باغتيال قادة «أمل»... كل ذلك أدّى إلى منع «حزب الله» من الامتداد وتشويه صورته في الساحة الشيعية...

✻ متى حصل التفاهم الإيراني - السوري الفعلي، وحول ماذا؟

- أعتقد أن الأمور وصلت إلى الطريق المسدود، ولا سيما بعد حرب إقليم التفاح الثانية. كانت سوريا لا تعترف بأنها تقف في مواجهة «حزب الله»، بل كان الجو يتحرك على ردم الهوة بين هذين التنظيمين ومحاولة التوفيق بينهما. لهذا، كانت المصالحة فوقية بين «أمل» و«حزب الله» تحت الغطاء السوري. وقد دُعيت آنذاك وبإلحاح شديد من الإيرانيين والسوريين لأحضر إلى جانب المجلس الشيعي و«أمل» و«حزب الله»، فرفضت ذلك قائلاً إنني لست طرفاً في هذا الموضوع، ولم أشارك في أي نشاط لا في هذا الجانب ولا ذاك. ولهذا، فإنّ حضورى ليس وارداً. ولو حضرت لكان ذلك تأكيداً على علاقتي بهذا المناخ كلّهُ. ترك ذلك تأثيراً سلبياً عند الإيرانيين والسوريين. وأذكر أن بعض الصحف علّق على هذا الموضوع بالقول: «إن فلاناً الذي يُقال إنه المرشد الروحي لـ «حزب الله» لم يحضر، ولو كان كذلك لكان مفروضاً أن يحضر». كان إصرارى كبيراً على عدم حضور هذه المصالحة الفوقية لا التحتية...

✻ لقاءك الأوّل بالرئيس حافظ الأسد كيف حصل؟ وماذا دار فيه؟

- بناءً على إرسال بعض الرسل، ذهبت للقاء الرئيس الأسد وقد تملّكني شعورٌ بالحرَج الشديد. ذلك أنني شعرتُ بأن هذا الأمر لا ينسجم مع حركتى وعلاقتي مع الناس. لكنني، حين التقيته شعرتُ بالطمأنينة لأن اللقاء كان صريحاً، والرئيس الأسد من الشخصيات القليلة التي تمتلك ثقافة واسعة، ولا سيما حول القضية الفلسطينية واليهود في العالم، حتى إنه حدّثني عن تحركات اليهود في باكستان... وقد عبّرتُ له عن احترامي آنذاك، ولا سيما عندما حضر مؤتمر القمة الإسلامي في الكويت

حيث ألقى خطاباً مميزاً، وقلتُ له: «تصوّرتك أستاذاً جامعياً يلقي محاضراته على تلامذة عنده». . . وأذكر أنه حدّثني عن قوله لعبد الحليم خدام تعليقاً على اعتصام بئر العبد ضدّ اتفاق 17 أيار: «تعال، نستقيل وننضم إلى هؤلاء». . . وكان الموقف المشهود له ضدّ الاحتلال الإسرائيلي وما حاول فرضه على لبنان. . .

ومِمّا قلّته في اللقاء: «لماذا تلتقون مع أمين الجميل وهو من الكنائس الممثلة للسياسة الانعزالية ضدّ العرب والعروبة». فأجاب: «إنه وفيّ لنا، ونحن نفيّ لمن يفي لنا». وأذكر أيضاً قولِي له: «أرى أن المسافة بينك وبين أقرب الناس إليك ثمانون في المئة، وأنا أتساءل ماذا بعد حافظ الأسد؟ وهل تركت أحداً عندك يحمل هذا العقل الاستراتيجي؟» لم يُجب عن ذلك، وشعرتُ بكآبة ظلّت وجهه آنذاك. كان اللقاء جيداً ومميّزاً واستمر ما يقارب الأربع ساعات، وحين عُدت منه كان الناس يهمسون: «هل بعثتُ موقفِي واشتريتُ؟» فوقفتُ آنذاك في مسجد الغبيري، وقلتُ للناس: «أنا معكم، ولا أزال متمسكاً بكل ما طرحته. وإذا رأيتُ نفسي خاضعاً لأي ضغط لا أملك فيه موقفِي فلن تروني معكم لأنني أحترمكم وأحترم نفسي». لم أتحدّث في صراحة، لكنّ الناس فهموا منّي أنني النقيض وتحدّثتُ قناعاتي ولستُ من علماء السُلطان. . .

❖ ماذا حدّثكم عن لبنان ودور سوريا فيه؟

- أذكرُ أنّه تحدّث حول ما كان يُثار بالنسبة إلى الجيش السوري، وأنه أرسل جيشه إلى لبنان لإنقاذه ومنع الحرب بين اللبنانيين. وقال: «أشعرُ بأنني عندما أرسلُ جيشي إلى شوارع بيروت وزواربها، قد أفقدُ مناقبية هذا الجيش وأخلاقه. ولهذا فالمسألة ليست ممّا أتحمّسُ له حرصاً على الجيش وحفظاً له، لكن المسؤولية العربية والسياسية فرضت علينا ذلك». لقد كان يتألم ممّا يُثار حول هذا الموضوع من بعض الإعلام العربي. . .

❖ وعن إيران؟

- ربما كان الحديث عن إيران إيجابياً بالنسبة إلى موقف إيران، ونصيحتُهُ للعرب كانت أن لا يعادوها.

ومِمّا أذكره في اللقاء الأوّل أو الثاني أنه تحدّث كثيراً عن نشأته، وعن العلويين، وقال لي: «مشايخنا كانوا يتألّمون جداً من الاتهام بأنهم يؤلّهون الإمام علي (ع)، وكنتُ أستمعُ إليهم وأنا في بداية الشباب وهم يجتمعون وينكرون ذلك، ولا سيما عندما برز هناك بعض الأشخاص الذين يدعون الألوهية وهم المرشدية».

وأضاف: «نحن نعتقد بالإمام علي (ع). عقيدة الشيعة أنه دون الخالق ولكنه فوق المخلوق. وهذا ما يعتقد الشيعة في كل أئمتهم». كان يحدثني عن التظاهرات التي كانوا يشاركون فيها أيام الشباب، وتجربته الانفتاحية على المسألة السياسية منذ بداية حياته. أذكر أنه كان إذا ذكر «الإخوان المسلمين» يصبح متوتراً جداً، ويتحدث عنهم في شكل سلبي فوق العادة... واللافت أنني حين ذكرت أمامه بدوي الجبل الشاعر لم يرتح، ربما لأنه كان من المعارضين وفي شكل سيئ... ومما أذكره أيضاً أنه حدثني عن لقاءاته ببعض علماء المسلمين، وأن بعضهم حدثه عن فرض (السلطة) اللاحجاب على الطالبات، فقال إنه أجابهم: «إنهم يضعون القبعة التي تغطي الشعر»، فقالوا: «هذه لا تغطي الشعر كله». فرد: «كيف يكون هناك فرق بين هذا وذاك فعلى الأقل إن هذا يحجب». وكان يسجل ملاحظة عليهم في هذا المجال... أذكر أنني قلت له آنذاك وبشيء من الجراءة: «إنك تمنع الكثير من الطالبات المسلمات من الدراسة! فسأل: «كيف؟ أجبت: «المدارس تفرض على الطالبات منع الحجاب مع كون الأساتذة من الذكور أو ما أشبه ذلك، وهذا الأمر يُحرج الكثير من المتدربين الذين لا يبيع لهم التزامهم الديني، كما يجدون، أن يرسلوا بناتهم إلى مدارس تمنع الحجاب». فاستغرب ذلك لكنني قلت له: «أيها الرئيس، أرجو أن لا ترسل مخابراتك ليعطوك تقارير، ولكن أرسل الناس الآخرين ليعطوك الحقيقة، وأنت تعرف أن العائلات المحافظة لا يمكنها أن تتساهل في موضوع الحجاب دينياً وتقليدياً. لذلك لا نستطيع أن نفرض على الناس عدم الحجاب». ولم يعلق على ذلك... أذكر أنه قال لي في نهاية المطاف «إنه أبلغ مدير مكتبه أنه في أي وقت تحب أن تتصل بي، فأنا مستعد لذلك». بقي معي وشيئني إلى الباب حتى نزلت الدرج... وفي ذلك الوقت، أذكر أن عبد الحليم خدام اتصل فقالوا لي: «يريد مقابلتك». أجبتهم: «عندي موعد في بيروت»...

ومما فانتني أن الرئيس الأسد قال لي «إنه ذكر البعض أمامه أن السيد (فضل الله) يريد أن يكون له موقع مميز في الواقع الشيعي في لبنان، فقلت له: «أنا أحب أن أعيش مع الناس وأبقى معهم. أنت قلت، يا سيادة الرئيس حافظ الأسد، إنك رئيس سوريا ولكنك تعمل في العالم العربي. وأنا في حجمي المتواضع أحب أن أعمل في العالم الإسلامي. ومن يحب ويفكر في أن يعمل في العالم الإسلامي لا يفكر في أن يكون رئيساً للطائفة الشيعية، أو رئيساً للمجلس الشيعي»... ومما أذكره أيضاً قولي: «إنكم متهمون في إسلامكم، ولذلك لا بد لكم أن تقدموا أنفسكم

إلى العالم الإسلامي من خلال الخطوط الإسلامية العقيدية، لا بد أن تهيئوا الأجواء للحديث عن العقيدة العلوية». وقلتُ له: «نحن عمقكم في لبنان ونريد أن تكونوا عمقنا في سوريا».

❖ هل شعرت بأنك أمام إنسان عادي أم إنسان مُحترَم وبيادلك الاحترام...؟ وهل شعرت بأن الرئيس الذي يتحدث معك علوي أم إنّه تجاوز هذه القصة؟

- لم يُثر أمامي هذه المسألة. لكنني كنتُ أشعرُ، ولا سيما في الجلسة الثانية، بحميمية فوق العادة. كنتُ أشعرُ بأن الرجل مَنْحَنِي الثقة، وكان يتحدث معي بما لا يُحدّثُ به مع عالم تقليدي، وقال لي «أنا أتابعك دائماً». وقد نقل لي الوزير الدكتور كرم أن الرئيس الأسد طلب من ابنه الدكتور بشار أن يستفيد من شخصيتين، قسطنطين زريق، ومحمد حسين فضل الله... وفي حياة الرئيس الأسد تعمّدتُ أن لا ألتقي أحداً آخر، مع أنني كنتُ أقبل دعوات الغداء أو العشاء من محمد ناصيف المعروف بـ «أبو وائل» بين وقت وآخر. وكان الاحترام يسود اللقاءات ولم يُفرض عليّ شيء في هذا المجال، بل كان يُحدّثُ إليّ في الشؤون اللبنانية، وحتى في بعض الشؤون السورية وإن في شكل غير رسمي. التقيتُ الدكتور بشار في حياة والده بطلب منه في إحدى الاستراحات، ودام اللقاء مقدار ساعة تحدّثنا فيه عن شؤون المنطقة وشجونها. حدّثني عن لقائه مع بعض الشخصيات الخارجية، ورأيتُ أن الرجل يمتلك متابعة دقيقة للأحداث السياسية، ويمتلك فضيلة الإصغاء والاستماع والتحليل. كان يسأل عن أدقّ الأشياء بالنسبة إلى الوضع اللبناني. وهناك أشياء ربما لا أكونُ في حلٍّ من ذكرها...

❖ كان يقال إن دور محمد ناصيف هو متابعة الشيعة في النظام السوري. هل كنتُ تشعرُ بذلك، مولاتا، حين كنتُ تلبّي دعواته إلى الغداء أو العشاء؟

- لم أكن أشعرُ بهذا العنوان الكبير، لكن كنتُ أرى ذلك، باعتبار أنه كان يلتقي في الغالب بالشخصيات الشيعية، وكان يتحدث عن الوضع الشيعي، ورأيتُ أنّه قريبٌ جداً من الرئيس حسين الحسيني حتى إنه كان يتبنّاه...

❖ هل كان يستفيد من ملاحظاتك المتعلقة بالوضع اللبناني؟

- من الطبيعي أنني كنتُ ألاحظ ذلك وأتابعه، لكن لا أدري إن كان يتابع من

الناحية العملية. فقد كان يُشعّرني بأنه يتقبّل ذلك ويقدره، وكان يُشعّرني بالاحترام والتقدير... وهناك أصدقاء ممن لهم علاقات بسوريا كانوا ينقلون عن البعض من مسؤوليها: «إنهم يحترمونك ولا يُحيونك»... أذكرُ في إحدى المرات أن عدنان بلّول جاء إلى بيتي بعد أن اتصل بي تليفونياً وقال لي: «إن الوزير فاروق الشرع يحب أن يلتقيك في دمشق، لأن الوزير الإيراني الدكتور ولايتي سوف يأتي إلى سوريا، ويحب أن يتحدّث معك في هذا الموضوع». فقلتُ له: «أحب أن أقول لك أن بروتوكولي لا يسمح لي بلقاء وزير الخارجية، وهذا البروتوكول الديني لا يسمح لي إلا بلقاء رئيس الجمهورية الأسد». سألتني: «هل هناك غير البروتوكول؟» أجبت: «لا». وقد قلتُ لنفسِي يومها أن هذه المسألة سيكون لي حسابٌ عليها. ولكن بعد ذلك، ذهبتُ إلى الشام عبر الخط العسكري ولم أجد إلا التقدير الذي أقابلُ به دائماً على الحدود... وأذكرُ وقتها أن الدكتور ولايتي جاء إلى دمشق، ولا أعرف إذا كان سمعَ بذلك أو لم يسمع، فبدأ بزيارتي وكنتُ أنزلُ في منزل وبستان صديقنا رجل الأعمال صائب النحاس في الغوطة. حضر ولايتي مع كلِّ الوفد الإيراني وجلس معي مقدار نصف ساعة وتحدّثنا في شتى القضايا، وأظنُّ أنني ذكرتُ له ما حدّث في ذلك اللقاء... وحين ذهب لمقابلة الوزير الشرع، بدأ حديثه قائلاً إنني كنت في زيارة السيّد فضل الله، فسأله الشرع: «هل إن السيّد فضل الله آية الله؟» أجاب ولايتي: «نعم إنه آية الله». وطلب وقتها من السفير الإيراني الشيخ أختري أن يشرح له موقع آية الله...

❖ بعد وفاة الرئيس حافظ الأسد، هل حصلت محاولة من السوريين لجمعك مع الدكتور بشار الأسد بعدما صار رئيساً؟

- بعد وفاة الرئيس الأسد، ذهبتُ لتعزية الرئيس بشار الأسد. وعندما وصلتُ إلى السراشق المعدّ لاستقبال المعزّين بعد الظهر، التقاني آصف شوكت واستقبلني استقبالاً حاراً مع العقيد ماهر الأسد. فجلس قليلاً وذهب بعد أن قال لي آصف شوكت إن الدكتور بشار مجتمع مع أمير البحرين عند قبر الرئيس الأسد، وليس من اللباقة أن تبقى هنا. نحن سنهيئ استراحة لك وهو أي الرئيس يأتي إليك... هيئتُ لنا الاستراحة المستقلة مع الوفد المرافق. وبعد عشر دقائق، حضر الرئيس بشار الأسد. وبعد السلام فاجأني بقوله لماذا جئتُ؟ وضعك الصحي لا يتحمّل العناء. تحدّثنا، فقلتُ له: «كنتُ أخاف عليك من هذه الصدمة، لكن حين رأيتك تتماسك وتحبّي الجماهير شعرتُ بأنك استطعت أن تستوعبها، تماماً كما فعل أبوك

الذي التقيته وكنت حاضراً في أربعين شقيقك باسل. قلتُ له آنذاك (أي للرئيس حافظ) كنت أخشى عليك، ولكن عندما رأيتُكَ تُلَوِّحُ للجماهير بيدك من الطائرة شعرتُ بأنك استطعت أن تستوعبَ الصدمة... فأنت في موقفك كأبيك»...

ثم أضفت: «عليك أن تعتمدَ على الله، لأن الظروف التي تواجهك صعبة جداً والتركة ثقيلة». فقال لي: «أنا أَعْتَمِدُ على الله في ذلك». وذكر أنه تجاوز الصدمة، وأن الذين كانوا يحاولون استغلال بعض السلبيات ولا سيما من الشخصيات الكبيرة لم يوفّقوا في ذلك، لأن هذه الشخصيات المسؤولة وقّعت ما أريد لها توقيعه. وقال: «تحدّثت مع أولبرايت وزيرة خارجية أميركا وقلتُ لها: أنا سأسيرُ على الخط نفسه الذي سار عليه أبي بالشروط نفسها والروحية نفسها والمبدأ... ثم وجّه حديثه إليّ قائلاً: «الرئيس الأسد ركّز الأساس ومسؤوليتي أن أعلّي البنیان». حين أردتُ الاستئذان بالمغادرة، استوقفني حتى حضر التلفزيون ليُصوّر فودّعني حتى باب السيارة... شعرتُ بأن هناك احتراماً كبيراً وإعزازاً. وقد كنتُ، بين وقت وآخر، أسعى إلى معالجة بعض القضايا المتصلة بطلاب العلم الموجودين في سوريا، والذين يُعانون من بعض المشاكل مع فريق اللواء بهجت سليمان، فذكر لي اللواء «أن الرئيس بشار قال لهم: ما يطلبُهُ السيّد لا يمكن أن يَرَدَّ».

كانت هناك تمنّيات من بعض المسؤولين أن ألتقي الرئيس بشار، فقلتُ «لا مانعٌ عندي شرط عدم وجود الإعلام». وهذا يتعلّق بمقترحاتي حول الوضع اللبناني والعربي. وشرط عدم الإعلام وضعته لأن اللقاءات وراء الكواليس قد تكون أكثر عمقاً، ولأن الذين يطلبون الإعلام قد يجدون ذلك امتيازاً لهم وأنا لا أطلب ذلك.

✻ في أربعين باسل الأسد، ألقيت «كلمة»، مولانا...

- عندما دُعيت من لجنة الاحتفال، ومن أكثر من جهة في شكل طبيعي ورسمي، وكانت الدعوة مباشرة وكان إلحاح من «أبي وائل» رغم أنه ترك لي حرية الاختيار حسب ظروفه، لأننا كنّا في شهر رمضان. كنت في كلمتي أتحدّث وأخاطبُ الرئيس الأسد الذي كان موجوداً بقولي: «نحنُ معك لأنك في مواجهة الاستكبار العالمي، وإسرائيل». كانت الكلمة ارتجالية ومميّزة، ولاحظتُ أن الرئيس الأسد تابعها بكلّ إصغاء. وقد التقيت معه في الصلاة في القرداحة وجرى حديث بيني وبينه. كان دمناً، ثم تناولنا طعام العشاء على مائدته، حيث التقيتُ عبد

الحليم خدام . أذكرُ أنني قلتُ له : «عليكم أن تكونوا حذرين في سياستكم في لبنان لأن اللبنانيين باطنيون ، يمكن أن يتغيروا في أي لحظة» . فردَ : أنا أؤيدُ ذلك» .

❖ هل كان لك علاقة مع غازي كنعان المسؤول الأمني السوري الأرفع في لبنان؟

- أيام الحرب في الضاحية ، زارني اللواء غازي كنعان . ودار حديث حول وضع «حزب الله» وبقائه في المساجد دون المكاتب ... تعرّض موكبه لإطلاق نار ... أثار ذلك علامات استفهام . تابعوا القضية واعتقلوا المرتكبين .. فلا علاقة مع غازي كنعان ... وقد يكون هناك بعض الاتصالات الهاتفية .

❖ عندما خطف السوفيّات في بيروت ، هل صار حديث معك للعمل على إطلاقهم وكان فيه شيء من الإنذار؟

- لا ، لم يوجّه إنذار . أذكرُ أنّ أحد المسؤولين في المخابرات السوفيّاتية جاءني ، وكان كلامه أن «حزب الله» يمتلك إمكانات جيّدة ونحنُ مُستعدّون للتعاون معه . أما الإنذار فليس واقعياً ، وقد سعيْتُ سعيّاً فوق العادة في هذا الاتجاه .

❖ ما عدد الشيعة في سوريا؟

- لا أملك إحصائية دقيقة ، لكن في تصوّري أنهم في هذه الظروف قد يصلون إلى ربع مليون .

❖ ماذا عن العلاقة بين العلويين والشيعة؟

- قال لي بعض المسؤولين لا تُحدّثوا العلويين بالقول لستم علويين . قولوا لهم أنتم شيعة جعفريون . فالهوية العلوية صارت تشبه الهوية القومية . ومسألة تأليه العلويين الإمام علي (ع) يتبرأ منها المسؤولون والشباب المثقف ، ولذلك يعلنون أنهم شيعة جعفريون ، ويدّلون على ذلك بإقامة الصلاة في المساجد ، والذهاب إلى الحج ، وصيام شهر رمضان . من الطبيعي أن كثيراً منهم كما غيرهم من السنة والشيعة ليسوا مُتديّنين وملتزمين . وهم يتقبلون ذهاب الكثير من علماء الشيعة إليهم والتحدّث عن التشيع والصلاة معهم وخلفهم من دون مشكلة . ولنا علاقات مع علماء العلويين الذين يُعلنون انتماءهم للتشيع ، ولكن ليس على أساس أنهم لم يكونوا شيعة سابقاً . وقد استقبلنا في لبنان وفي حوزتنا في السيّدة زينب (ع) بعض الطلاب لدراسة العلوم الدينية كما يدرس طلاب العلم الديني على المذهب الشيعي .

والعلويون عندهم الآن مثقفون على مستوى عالٍ جداً يكتبون في الإسلام أفضل مما يكتبه الآخرون.

❖ كيف العلاقة مع المسلمين السنة في سوريا؟

- هناك امتداد كبير لدى المسلمين السنة بالنسبة إليّ، حتى إن هناك علاقة فوق العادة مع مفتي الجمهورية السورية (الراحل) الشيخ أحمد كفارو. كان يدعوني إلى مسجده الغاصّ بالناس. وقد دعاني إلى إلقاء محاضرة في جامع أبي النور، ورحب بي ترحيباً كبيراً جداً. كان يزورني في لبنان وكنت أزوره في سوريا. كما كان هناك تبادل لقاءات وزيارات مع العديد من علماء السنة الكبار كالدكتور قصبه الزحيلي والشيخ البوطي وغيرهما... وهم يعتبرونني من دعاة الوحدة الإسلامية. ولهذا، فعلاقتي جيدة على المستوى الديني والشبابي والمتقف الجامعي، وعلى مستوى الناس البسطاء فوق العادة، وهم يحضرون كل المحاضرات التي أَدْعَى إلى إلقائها والندوات التي أشارك فيها. حين أَدْعَى إليها. وأنا حين أطرّح الوحدة الإسلامية لا أطرّحها أو نطرّحها كمسلمين على أساس أن نحول الشيعة إلى سنة أو السنة إلى شيعة، وإنما نطرّحها على أساس ما اتفقنا عليه في القضايا الفكرية، ولتأكيد أن ما اتفقنا عليه يبلغ 80 في المئة، وللافتتاح على القضايا السياسية التي تواجه المسلمين من السنة والشيعة كالقضية الفلسطينية وغيرها. وقد لاحظت أن هناك فئات من السنة كما من الشيعة منفتحة على الآخر، وأنه يوجد متعصبون هنا وهناك... وقد نلاحظ أن الوهابيين يعملون على توسيع الخلاف بين السنة والشيعة ويخلطون بين الجانبين السياسي والديني. لكنني أشعر بأن السوريين مُنْفَتِحُونَ وربما أكثر من بعض اللبنانيين، فلا يخلطون بين الموقف من النظام والموقف من الشيعة.

لقد أقمْتُ مسجداً في درعا يُشْرِفُ عليه وكيلى هناك، وأغلبُ المُصلِّين وراء هذا العالم الشيعي من السنة.

❖ هل النظام السوري علماني، في رأيك؟

- طبعاً، النظام يقول ذلك، والسوريون رفضوا أن يُكْتَبَ في الدستور أن دين الدولة الإسلام. كل ما حصل أنه لا بُدَّ أن يكون رئيس الدولة مسلماً، وهو ما تميّز به سوريا عن غالبية الدول العربية. والإسلاميون العاملون لتحويل النظام إلى نظام إسلامي كمشروع سياسي من الطبيعي أن يصطدموا بالنظام...

الجلسة التاسعة

✽ بدأت العلاقة مع السيد خامنئي رئيس الدولة ثم مرشداً لها، كيف تطوّرت هذه العلاقة؟

- تحدّثتُ عن المرحلة الأولى ملياً.

المرحلة الثانية، أصبح في مرحلة الولاية، والمرشدية، والذي أهله لذلك هو أنّ الإمام الخميني ربط في آخر حياته بين الولاية والمرجعية. فالولي يجب أن يكون مرجعاً، ومن الطبيعي أن شروط الولي تختلف عن شروط المرجع. فالمرجع، وبحسب رأي الإمام الخميني، لا بدّ من أن يكون الأعم في الفقه، بينما الولي يكفي له أن يكون مجتهداً عدلاً عارفاً بأمور زمانه. بعد ذلك، حين أزيح الشيخ منتظري عن الخلافة، فرّقوا بين الأمرين لأنهم يمكن أن لا يجدوا شخصاً يجمع الصفتين. وكان الخميني، حسب ما نقل ابنه، يشيدُ بالسيد خامنئي، خصوصاً عندما ذهب إلى الولايات المتحدة والصين. كان يتابع نشاطه في التلفزيون، وقال إنه صالح للقيادة، ونقل لي ابنه أيضاً أنّه يشهدُ باجتهاده. وعندما توفي الإمام الخميني لم يترك وصية لأحد. المفروض كان أن يجتمع مجلس الخبراء حتّى ينتخب الولي الفقيه، وفي مجلس الخبراء هناك الكثير من الفقهاء يعتبرون أنفسهم أكثر علماً من السيد خامنئي. ولكن يبدو أنّهم درسوا، أو درست الأكثرية، أن إيران لا تحتاج إلى شخصٍ متمرّس بالفقه ومتقدّم فيه بل تحتاج إلى شخصٍ متقدّم في إدارة شؤون الدولة وفي المعرفة السياسية والإطالة على العالم المعاصر. ولم يمكن هناك من يساوي السيد خامنئي الذي يجمع الجانب الفقهي مع هذه الخبرة المتقدّمة، خصوصاً أنه قضى ثماني سنوات في رئاسة الجمهورية، وكان من رجال الثورة، وكان أيضاً ممّن أسسوا الحزب الجمهوري، وعلى هذا

الأساس نجح السيد خامنئي بالأكثرية وبحدود 67 صوتاً من خلال 80 صوتاً أو أكثر. ويبدو أنه لم يجد معارضة، باعتبار أن الناس كانت تبحث عن شخص يمتلك الخبرة والدراية في هذا المجال. بعدما أُنتخب للولاية كانت أول جلسة ليّ معه بحدود ساعة ونصف الساعة. ولعلّ أول حديث معه كان حول حوزة قم وأنها تمثل الوجه الديني للإسلام ولخطّ مذهب أهل البيت. ولهذا طلبت منه أن يوجّه نظره إليها وهو في موقع يختلف عن موقعه السابق. فموقع الولاية موقع ديني بالإضافة إلى أنه موقع سياسي. وكان حديثي أنّه من الضروري «أن تهتمّ بالحوزة ومحاولة تحديثها وجعلها تنفتح على الواقع وعلى العصر حتى تستطيع أن تقدّم إسلاماً حضارياً منفتحاً بعيداً من الخرافة وعناصر التخلف». في الوقت نفسه، تحدثت معه عن الصعوبات التي قد تواجهه. ذلك أن في الحوزات مراكز قوى قد ترى أن أي نوع من التغيير لمصلحة المعاصرة قد يخرّب الحوزة، وقد يدخل التيارات المضادة إلى داخلها. ولذلك أعطيته نموذجاً متقدماً في التنظيم الدراسي، كنتُ أشجّعه.

ثمّ حصلت لقاءات ليّ معه خلال كلّ سفراتي إلى إيران، وكان حديثنا يدور حول القضايا السياسية في لبنان، وحتى القضايا السياسية في إيران والعالم الإسلامي. وكنتُ أقدمُ بعض الاقتراحات بين وقت وآخر، مثلاً قدّمتُ اقتراحاً «أنك حين أصبحت في مركز الولاية (ولاية الفقيه)، التي هي بحسب العنوان الرسمي ولاية شؤون المسلمين، لا يجوز أن تستخدم القوات الإيرانية للتحرك في مواقع الولاية في العالم. بل لا بدّ من أن يكون لديك مجلس يجمع العلماء والخبراء في سائر أنحاء العالم الشيعي على الأقل، حيث يُقدّمون لك الاقتراحات التي تناسب الدراسات. ذلك أن الاعتماد على وزارة الخارجية أو وزارة الإطلاعات يجعل الولاية تحرك العالم الشيعي الإسلامي في نطاق الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فيصبح ملحوظاً أن التفكير هو في مصلحة إيران التي قد تصطدم بمصلحة العراقيين أو اللبنانيين أو غيرهم. لذلك يجب دراسة المسألة قبل وبعد الاصطدام بها». كان إيجابياً أمام هذا الاقتراح. ومما قدّمته أيضاً من الاقتراحات في الواقع الإسلامي الشيعي، ضرورة أن يكون هناك مجلس للعلماء والفاعليات الشيعية في العالم من أجل تدارس شؤون الشيعة في كلّ علاقاتهم بالآخرين مثل السنّة، وكيف يمكن أن نُحرّك هذه العلاقة في شكل إيجابي، وكذلك علاقاتهم بالأديان الأخرى وبالأوضاع السياسية المتحركة بين يسار

ويمين، وضرورة أن يكون هذا التجمع سرّياً بمعنى أن لا يكون إعلامياً ولا مجلساً علنياً. وقد تقبل هذا الشيء. لكنّه أسس بعد ذلك المجمع العالمي لأهل البيت (ع) في شكل علني، وقال «هذا اقتراحك». فقلتُ «اقتراحي كان أن لا تكون للمجلس صفة إعلامية أو إعلانية».

حدثته كذلك عن الشباب الإيراني، فقلتُ إنه ليس معكم لأن بين المتشددين مَنْ لا يقبلون الحلول الوسطية والمنحرفين عن الخط الإسلامي وما أكثرهم. كنتُ أقولُ له: «من الضروري جداً أن ترسلوا علماء ومفكرين لمحاورة الشباب الجامعي. فلدى هؤلاء علامات استفهام كثيرة، ولا بد أن نجيبهم عنها خصوصاً من خلال دراساتهم في الجانب الفكري الذي قد يتحفظ عن بعض طروحات إسلامية وعن بعض اجتهادات وما إلى ذلك». وكان تعليقه آنذاك هو «قلّة الكوادر التي يمكن أن تمتلك الفكر المنفتح المعاصر الذي يقوم بهذه المهمة». وأضاف إنه «كان سابقاً يأتي إلى الجامعة قبل رئاسة الجمهورية ويحاورُ الشباب»، وقال: «لقد فقدنا شخصيات منفتحة»، وذكر اسم الشهيد مُطهرِي والسيد بهشتي والدكتور مفتّح. ذكر هذه الأسماء وقال: «نحن لا نمتلك مثل هؤلاء الأشخاص».

ومن المسائل التي تحدّث عنها في ذلك اللقاء وجود مواقع علمانية كبرى في إيران، قال: «نحن نعرفها لكننا لا نجدُ مصلحة في ضربها»، وكأنّه يوحي أننا نحاولُ معالجتها بالطرق السلمية. وكنا نتحدّث معه عندما حصلت الفتنة في لبنان في قصة «إقليم التفاح». كنتُ أتحدّث معه حول كيفية أو طريقة السيطرة عليها وحلّها. وأشهدُ أنّ الرجل كان ضدّ النقاتل، وكان لا يقبلُ به، وكان يفضلُ حتى تقديم تنازلات من أجل إنهاء القتال بين حركة «أمل» و«حزب الله». لكن يمكن الظروف اللبنانية وتعقيدات الخطوط المختلفة الموجودة في إيران كانت تحول دون ذلك. فهناك خطّ يُشجّع وآخر يرفض الأمر. وكنتُ، بين وقتٍ وآخر، أثيرُ معه الكثير من القضايا حتى على مستوى العلاقة مع أميركا. وكان يرى أنّه لا بدّ من أن تخوضَ إيران التجربة، لأن أميركا تريدُ تطويقها وإرجاعها لأن تكون مجرد تابع لها بطريقة مُحسّنة. كان يفكر كامتدادٍ لتفكير الإمام الخميني «أننا نريدُ أن تثبت أننا نستطيع صناعة دولة مع المزيد من الجهد والتعب، ومن دون الاعتماد على أميركا ومع بقاء العلاقات معها متشنّجة أو مقطوعة». وكان يقول: «إذا استطعنا في مدّة عشر سنوات، أن نبني دولتنا في شكل راقٍ، تنطلق العلاقات حينها من موقع قوّة». كان يفكرُ في هذه الطريقة، ولذلك أتصوّرُ أن فكره ومسألته في

قضية المواجهة مع أميركا ليسا ولم يكونا خضوعاً للمحافظين . فهذه مسألة تُمثّل استراتيجية في فكره .

كنتُ أتحدّثُ معه عن أنّ الدول المحيطة بكم كباكستان هي تابعة لأميركا فكيف يمكن أن تنشئ إيران علاقات معها مثلاً؟ مثل هذه العلاقات هي علاقات مع أميركا! وكان جوابُهُ «أن هؤلاء تابعون حقيقة لأميركا، لكن هناك هامشاً من الحرية حتّى عند الدول الصغيرة التي تتحرّك في علاقاتها مع خصوصياتها. وأن تكون الدولة تابعة لأميركا لا يعني أن تنفّذ كلّ سياستها. فتحى أميركا تترك للدول التابعة لها هامشاً من الحرية لمعالجة ظروفها وأوضاعها، كما أنّه ليس هناك دولة في العالم تُعطى مئة في المئة لأميركا. فنحنُ عندما ننشئ هذه العلاقات مع الدول المحيطة بنا أو الدول الأخرى، فنحنُ ننشئ العلاقات من خلال هذا الهامش. فهم يحتاجون إلينا في جانبٍ ونحنُ نحتاج إليهم في جانب». وكانت هذه وجهة نظره في هذا المجال.

كنتُ أشعرُ بأنّ الرجل (آية الله خامنئي) يتابع حركة العالم، ويمتلك الفكر المتحرّك والخبرة، وأنّه ليس ساذجاً بل عميقاً ودقيقاً. حتّى إنّهُ حين يُتحدّثُ عن المقارنة بينهُ وبين خاتمي من خلال فهمه للأحداث وفهم خاتمي لها، فإنّ هذا الحديث ليس دقيقاً. فالرجل ليس ظلامياً وليس محافظاً. لكنّه يمتلك رؤية هي أنّ الجمهورية الإسلامية قائمة على أساس الإسلام، وهو دين له قاعدة فكرية وله امتدادات وشريعة، وأنّ الحركة العلمانية تحاول إسقاطه كقاعدة تحت شعارات متنوّعة ومن خلال أكثر من تجربة. ولذلك، من الطبيعيّ التحرك حين تنطلق لتسقط التزاماً معيّناً في هذه الدولة أو تلك. فالرجل يتحرّك مثلاً في خطوة وقف الصحف لأنها أخذت حرية أكثر من اللازم، في الوقت الذي لم تستطع إيران أن تمتلك بعد الاستقرار الثقافي الإسلامي والمناعة الثقافية. وهذا أمرٌ أشبه بحالة الطوارئ، وهو يتعلّق بأمن البلد ونحوه للحفاظ عليه. فهو يقولُ مثلاً: «إننا لا نزال محاصرين إعلامياً وسياسياً واقتصادياً. والبلد يتعرّض للكثير من العمليات الإرهابية في الداخل من خلال «جماعة خلق»، وجهات رجعية كثيرة، أو ملكية. والمسألة هي حماية الثورة والجمهورية مع إعطاء حريّات لم تُقمع أساساً لكنّها حريّات ملتزمة». علماً أن تقييد هذه الحريات طبعاً قد يكون خضوعاً لضغوط معيّنة. فهو يحاول دائماً أن يمسك العصا من الوسط، وأن يبقى دوره دور الحكم. ولعلّ قمة موافقه كانت التي تدلّ على أنه يؤمن بأنّه لا بدّ أن تعطى للشعب حريّته في الانتخابات. فمثلاً لا يستطيع الإنسان أن يقول إن تلاعباً لم يحصل في

بعض المواقع في كل انتخابات إيران، لكنّ الجوّ العام هو جوّ عدم التزوير الذي قد يحصلُ في أميركا وفي أيّ مكان. لكن حين نرى أن رئيس جمهورية كرفسنجاني يأخذُ في الدورة الأولى 80 وهو من رجال السلطة، ثمّ يأخذُ في الدورة الثانية 60، وحين نلاحظ كيف يفوز على مرشح الدولة وهو ناطق نوري يُفسّح المجال لخاتمي كي نعرف أن خاتمي كان صادقاً في مواقفه الانتخابية. الأمر نفسه حصل في الانتخابات التشريعية حيث حصل الإصلاحيون على الأكثرية، وفي الانتخابات الثانية، ممّا يوحي بوجود استراتيجية أنه مهما كانت الظروف السياسية في الداخل لا بُدّ للشعب من أن يقول كلمته. لقد كانت لقاءاتي معه غالباً واضحة وصريحة. كنتُ صريحاً معه وكان صريحاً معي، ولم يحاول أن يتكلّم معي بلغة دبلوماسية.

هناك مرحلتان، مولانا، مرحلة السيّد خاتمي مع الشيخ رفسنجاني، ومرحلة علاقته مع السيّد خاتمي. هناك نظرة أن السيّد خاتمي إصلاحي وليس محافظاً بالمعنى المعروف، فهل من الممكن أن يكون هناك توزيع أدوار؟ فالصدام الحاصل بين السيّد خاتمي والسيّد خاتمي تقرأه الناس حماية من خاتمي لخاتمي في المفاصل الصعبة. وكذلك السيّد خاتمي يتجنب الذهاب إلى النهاية في الصدام تجنباً لإيداء الثورة الإسلامية والنظام الإسلامي.

- قد تكون كلمة توزيع الأدوار غير دقيقة إذا كانت توحي بوجود خطة بين الطرفين بحيث يقول كلّ واحد منهما للآخر إنّ عليك أن تقف في هذا الموقع أو ذاك الموقع. لا أظنّ أن القضية في هذا الشكل. لكن هناك نقطة مهمة جداً، وهي أن كلا من الرجلين يؤمن بالقاعدة الإسلامية للثورة، وقد عاشا مع الإمام الخميني ثورته وحركته ويثقان به. لكن من الطبيعي أن يكون هناك نوع من الاختلاف في الأساليب والوسائل.

ومن الممكن أن لا يكون السيّد خاتمي متفقاً في كلّ شيء مع السيّد خاتمي، وقد يكون السيّد خاتمي أكثر انفتاحاً على الواقع السياسي من حيث موقعه كرئيس للجمهورية، ورغبته في إلغاء التوتّرات السياسية، سواء كانت في المنطقة الإقليمية المحيطة بإيران، أو التوتّرات العالمية، حتى يُخيّل للإنسان أنّه يقترب من أميركا. أما السيّد خاتمي فقد قلنا إنّهُ يمتلك استراتيجية تضعّ حاجزاً عالمياً بين إيران وأميركا. لكن المسألة مع اختلاف الوسائل التي ربّما يضغط السيّد خاتمي

لتحجيمها أو للضغط على بعضها، هي أن السيد خاتمي قد يوحى أنه ليس مرتاحاً لذلك، كما في قضايا الحريات من حيث السعة والضيقة. لكن إذا وصلت المسألة إلى نقطة وموقع يهددان الدولة إما من جهة تحريك الفتنة وإنتاجها، وإما من جهة إضعاف الموقف الإسلامي في الجمهورية، وإما من جهة تهيئة المناخ للجهات الخارجية من أجل أن تعبت بالواقع. إذا وصلت المسألة إلى هذه النقطة فإنهما يتحركان كل في موقعه وبأسلوبه الخاص، وينضمان أحدهما إلى الآخر. فالمسألة ليست توزيع أدوار، لكنها التقاء على القضايا المشتركة في ما هي حماية الكيان في هذا المجال.

ومن الطبيعي أن الشعبية التي يملكها السيد خاتمي يمكن أن تضبط هذا التيار الصارخ الهادر، بالشكل الذي قد يوحى، أو ربما يستوحى من سلوكه أن هناك ضغوطاً تمارس عليه. لكن، في الوقت نفسه، نجد أن السيد خاتمي يمتلك الضغط أيضاً على التيار المحافظ حيث يمنعه من التحرك كي يطغى على الساحة، أو كي يصنع الفتنة أو ما إلى ذلك. ولهذا، فإنني أتصور أن المسألة بين الرجلين هي إبقاء التوازن لحماية الدولة.

❖ السيد خاتمي يعرف جيداً رفسنجاني وعنده تجربته مع السيد خاتمي. أي التجريبتين في رأيك وجد السيد خاتمي نفسه منسجماً معها أكثر؟

- ربما كان يجد نفسه مع الشيخ رفسنجاني أكثر، لأنهما عاشا معاً في أجواء الإمام الخميني في حركة المسؤولية الحادة والحيوية. كانا معاً في الوقت الذي لم يكن السيد خاتمي في هذا الموقع. أذكر أن السيد خاتمي كان يحدثني عن الشيخ هاشمي رفسنجاني كما يتحدث العاشق عن معشوقه. كان يتحدث أن الرجل يمتلك فكراً عميقاً قوياً وإخلاصاً نقياً وأيضاً إخلاصاً للسيد خاتمي. كان السيد خاتمي لا يحتاج إلى أن يطلب منه شيئاً بل كان يعرف الشيخ ما يريد السيد، ولهذا كان منسجماً معه، كما كنت استوحى من كلامه. وأنا هنا لا أنقل كلامه بدقة أو مئة في المئة. ومن الطبيعي أن مثل هذه العلاقة القوية العميقة، لم تكن موجودة بين السيد خاتمي والسيد خاتمي. إذ هناك مميزات بين عناصر الشخصية عند كل من السيد خاتمي والسيد خاتمي. ومن الممكن جداً أن يستوحى الإنسان أن عناصر الشخصية عند الشيخ هاشمي والسيد خاتمي أكثر قرباً من عناصر الشخصية عند السيد خاتمي والسيد خاتمي. لكن طبيعة الشعبية التي أخذها السيد خاتمي، وطبيعة إطلالته على

الجيل الشاب أعطاه زخماً. هذا الجيل كان يؤمنُ به السيد خامنئي ويؤمنُ بالحوار معه، ولذلك نجد أنه عند اشتداد الأزمات، كان يذهب إلى الشباب أو يأتي الشباب إليه، وكان يحاورهم، حتى إنه تلقى سؤالاً: «هل إن ولاية الفقيه تحت القانون أو فوق القانون؟» فأجاب: «إنها تحت القانون». هذه الشعبية استطاعت أن تُعطي السيد خامنئي إحساساً بوجود ضمانة شعبية للدولة من خلال موقع السيد خاتمي الذي يتكامل مع موقع السيد خامنئي الذي يمتلك أيضاً شعبية كبيرة في هذا الجانب في شكل معين، وفي الجانب الآخر. وجعل ذلك الشعبيتين تتوازنان في علاقتهما إحداها مع الأخرى.

هل السيد خامنئي الولي الفقيه يمسك السلطة كما يجب أم إن هناك مراكز قوى فيها رجال دين وأمن وعسكر تضطره في النهاية - كما ذكرت - إلى إمساك العصا من الوسط، فيستند أحياناً إلى شعبية الرئيس خاتمي حتى يخفف من غلواء المحافظين؟ الإمام الخميني كان الكل بالكل، فهو مؤسس الثورة ومفجرها... لا سيما أنكم ذكرت أنه سعى إلى وقف حرب إقليم التفاح وأن هناك تقاطع خطوط في إيران.

- الفرق بين السيد خامنئي والسيد الخميني، أن السيد الخميني كان أب الثورة، وكان الشخص الذي يمتلك الثقة شبه المطلقة مما يجعل موقعه لا مجال فيه للجدل. لكن هناك نقطة مهمة عند السيد الخميني هي أنه لم يكن ديكتاتوراً ولم يكن استبدادياً. كان يستمع إلى آراء معاونيه ومساعديه. وكانت ثقته بالشيخ رفسنجاني كبيرة. يثق بفكره وبقدرته على التفكير. وكان السيد الخميني أيضاً يؤمنُ بالشعب. فقد اجتمعت إليه مرة في ذكرى الثورة وكان رجال الثورة موجودين والجهات الدبلوماسية، والسفير البابوي كان واقفاً يستمعُ إليه، أذكر أنه كان يقول: «إن كل ما عندنا هو من الله ومن ثم من الشعب». ولذلك كان يُصارعُ الشعب بكل شيء. كان يؤكدُ هذه الثقة حتى إنه في بعض المواقع كان ينتقدُ المسؤولين أمام الشعب، كما انتقد السيد خامنئي عندما كان رئيساً للجمهورية في الجانب الفقهي لبعض آرائه وأمام الناس.

كان الإمام الخميني يتميزُ بقداسة، وجاء من المرجعية، وولايته انطلقت من موقع المرجعية، ومن موقع الثورة التي استولدها وحركها، ولا سيما أنه جمع في حركتها كل التيارات، بما فيها العلمانية التي كان لا يُوافقُ عليها، إذ كان يطرح

الحكومة الإسلامية منذ البداية. كل الناس الملتقين معه في الطريق واكبوه ولم يسمح بأي معركة معهم، دينية أو سياسية... أما السيد خامنئي فقد كان ثوريا منذ البداية، وتربى في مدرسة الإمام الخميني، وعانى الكثير حتى إنه تعرض للاغتيال. لكنه انطلق كرئيس جمهورية مجرداً من هذه القداسة إذ لم يكن مرجعاً. كان رئيس جمهورية محترماً. كان إمام الجمعة في طهران وكان يلتقي الناس وكان محل تقديرهم واحترامهم. لكنه كان احترام صاحب الفكر والثوري وأحد تلاميذ الإمام الخميني الذي يمنحهم الثقة واحترام الإنسان الذي يستطيع الذهاب إلى أميركا وغيرها من البلدان ويعطي الصورة الحية المشرقة...

لهذا، فإن التفاف الناس حول خامنئي يختلف في روحيته عن التفافهم حول الإمام الخميني. وهو لم يواجه في بداية ولايته ومرشديته معارضة إلا ما يشبه المعارضة الخفية التي تحاول إثارة علامات الاستفهام حول اجتهاده ومرتبته العلمية وغير ذلك... يوماً كان السيد خاتمي في الظل وزيراً للإرشاد. لكنه، حين اصطدم ببعض الجهات الحكومية والرسمية، استقال وخرج وأصبح مجرد شخص مفكر ومحترم وأميناً للمكتبة العامة. كانت شعبية السيد خاتمي منطلقة من حركة الصراع التي بدأت في الساحة الإيرانية أمام التطورات التي حدثت في إيران، والتي كانت تأتي من الخارج والداخل، والتي برز فيها السيد خاتمي كمفكر يطرح الأفكار الجديدة التي تستهوي الشباب والجيل الجامعي، ولا سيما قضايا الحريات وغيرها. وحين جاء إلى لبنان ونجح في محاضراته بانفتاحه على الجو الثقافي اللبناني ونحوه، صار أملاً للتغيير. لهذا التفت حوله كل الجهات المعارضة للمحافظين أو للمناخ الذي يتحرك فيه النظام. لم تكن هذه الشعبية شعبيته بالذات لأن الناس الذين انتخبوه كانوا يمثلون تيارات متنوعة أرادت تقديمه كواجهة من أجل التغيير، ومن أجل جعله في موقع الصراع مع الجهة الأخرى. ولذلك فإن الفرق بين السيد خامنئي والسيد خاتمي جاء من الناحية السياسية والشعارات الثقافية التي تتقاطع مع الجانبين الثقافي والسياسي في القضايا المعاصرة، بينما كان السيد خامنئي أكثر عمقاً لأنه جاء من عدة مواقع، فيها الثقافي وفيها السياسي وفيها الديني وفيها الاجتماعي، مما جعل شخصيته أكثر غنى على الأقل في الموقع العام.

أتصور أن السيد خاتمي يتميز بعقل متحرك وواقعي، ولذلك فإنه لا يجد مصلحة في المغامرة في مجتمع كالمجتمع الإيراني وخصوصاً في الظروف

السياسية والدولية والإقليمية التي تُحيطُ بإيران. ولهذا أعتقد أن هذين العقلين اللذين قد يختلفان عندما تكون الساحة الإيرانية مقارنة بالساحة الدولية في حاجة إلى هذا الاختلاف، أو إذا كان هذا الاختلاف يحمي الساحة الإيرانية. فالسيد خاتمي عندما يُطلقُ بعض الأفكار أو بعض الخطوط السياسية التي تجتذب بعض المواقع الدولية، فإنه بذلك قد يحمي إيران من بعض الخطوات الدولية الحادة رعاية لأوضاع خاتمي مثلاً. لكنّ المسألة حين تصلُ إلى مستوى الخطورة، فلن يكون هناك إلا التكمال والتوازن في هذا المجال.

❖ هل يمكن أن نعصى أمر وتوجيه للسيد خامنئي، لأن في العالم الثالث كما نعرف، مولانا، يأتي الرئيس وحوله مجموعة أمنية وعسكرية تفرض كل ما تريد؟

- ليس هناك في أي بلد في العالم، كما أثار السؤال، قائد يمتلك الأمر كله. فمراكز القوى قد تلعبُ لعبتها وتلتفّ على قرار هنا وقرار هناك، وإيران ليست بدعاً من الدول، وإن كان هذا الحديث لا يُعجبُ الكثيرين.

❖ في إيران قد نجد أكثر من جهاز أمني، فهل هذا التنوع مخطّط له، أي كما في العالم الثالث، كل جهاز يراقب الأجهزة الأخرى وهكذا دواليك.

- لا أتصوّر أن هناك فريقاً يمتلك القوة الكبرى أكثر من «الحرس الثوري». فهو مركزُ القوة. وهناك قوى متنوعة لكنها لن تصلُ إلى هذا الموقع، على الأقل هذا ما ألاحظه في إيران.

إنه ابن الثورة وحاميها والمفتوح على السيدين معاً.

❖ لماذا كان لدى الأميركيين خلال الولايتين الرئاسيتين للشيخ رفسنجاني الأمل في إراحة العلاقة مع إيران؟

- لأن الشيخ رفسنجاني كان يمتلك المرونة السياسية التي تغري الآخرين بالانفتاح عليه. لكنّه كان عنيفاً في ثورته، فهو من رجالات الثورة وليس ممن جاؤوا على هامشها. كان يمتلك الأسلوب البراغماتي، لكنّه ينطلق من استراتيجية حاسمة في هذا المجال. وكان يمتلك أيضاً عمق التفكير ودقة المناورة، وكانت ميزته أنه في الوقت الذي يؤكدُ الاستراتيجية الثورية كان يؤكدُ الواقعية.

❁ ما هو الدافع الحقيقي لقبول الإمام الخميني القرار الدولي 598؟

- الدافع هو الهجمة العالمية على إيران، وهو التحالف الدولي الذي حرّك كلّ المواقع الإقليمية المحيطة بها، بما في ذلك الاتحاد السوفياتي ضد الحرب التي كان الإمام الخميني يخوضها لإسقاط النظام العراقي. وهذا ما جعل المساعدين للإمام وفي طليعتهم الشيخ هاشمي رفسنجاني، وهذا استنتاج لأنني لا أمتلك المعلومات، يشيرون على الإمام الخميني، ومن خلال تقديم الظروف الموضوعية التي جعلت هناك إنذاراً بالخطر، بقبول القرار. فالمرحلة، في ذلك الوقت، كانت مُعَدَّة لأن تُطلَق يد النظام العراقي لتدمير إيران، وهذا ما لاحظناه في قصفه لها. وقيل يومها إن النظام العراقي اتفق مع الاتحاد السوفياتي على أن يقصِف المناطق البعيدة مثل منطقة خراسان المجاورة له. كانت إيران مهتأة للتدمير في هذا المجال، بعدما دُمِّر الكثير من بُناها التحتية. لذلك كان تجرّع السم، على ما عبّر الإمام، يُمثِّل كلّ تلك المرحلة.

❁ مولانا، منذ متى لم تلتقي السيد خامنئي؟

- منذ سنة 1994، تاريخ آخر سفرة لي إلى إيران.

❁ إلى متى بقيت العلاقة جيّدة مع السيد خامنئي، وكيف بدأت تتطوّر سلباً؟

- لم تصبح العلاقة سلبية. ربما كانت العلاقة الإيجابية تتميز ببعض الضبابية. لقد تحدّث الرجل في شكل جيد أمام بعض الشباب الذين تحدّثوا عني في طريقة سلبية في مجلسه، إذ ردع بقسوة من أساء في حضرته إليّ. كان الإخوان في «حزب الله» يُحدّثونني أنه كان يوجّههم دائماً أن يستشيروني. وكان، عندما يُثار بعض القضايا، يقول إنّه لا بدّ من أن يُحفظ «السيد» ولا يجوزُ التكلم عنه. كما إنّه، عندما قمنا بصلاة الجمعة، كان أول من أيدّها في كتاب أرسله إلى قيادة «حزب الله» في ذلك الوقت. ولم تحدث هناك علاقات مباشرة، ولكن كانت هناك إشارات منه ومنّي تُحافظ على طبيعة العلاقة. وأتصوّر أن انطلاق مسألة مرجعيتي ربما كان السبب الذي دفع بعض الجهات المحيطة بالسيد والعاملين لمرجعيتي إلى أن يُثيروا الحربَ ضديّ، الأمر الذي قلّص العلاقات. لكنني لا اعتقدُ أن الرجل يحمل شعوراً سلبياً بالنسبة إليّ...

❁ تردد أنك دُعيت أكثر من مرة لزيارة إيران، لكنك رفضتها قائلاً: البني

الدعوة حين تكون موجهة إليّ من المرشد.

- نعم. وحين تحدثت معي سكرتيره في هذا المجال أفهمته الأسس التي أركز عليها والتي ليس فيها أساس شخصي. وهي الأسس المنطلقة من مصلحتهم ومصلحتنا.

❖ ماذا عن علاقتكم بالسيدتين خاتمي وخامنتي؟

- علاقتي بالسيد خاتمي توثقت عندما كان وزيراً للإرشاد، حيث تعرفت إليه في تلك الفترة. ولاحظت من خلال أحاديثي معه أنه كان ولا يزال يحمل فكراً مفتحاً. وكنت ألاحظ أنه يبدى اهتماماً بعلاقته بي، إذ اتخذ مبادرات جيدة، منها مساعدته مادياً بصفته وزيراً للإرشاد مجلة «أحمد»، وهي مجلة أطفال تصدر عن «جمعية المبرات». كانت المساعدة رمزية لكنها دلت على اهتمامه بهذا الموضوع. ثم طلب مني عندما عرف أنني أعمل الموسيقى وأن المحرم منها إنما هو المثير للغرائز والشهوات أو الذي يحطم الأعصاب مثل الموسيقى العنيفة التي تُضر الإنسان وتحوّله حالة هستيرية، وقد كان يخوض في ذلك الوقت معركة الموسيقى في الإذاعة والتلفزيون لأن الرأي العام الفقهي كان يحرم الموسيقى. أذكر أنه طلب مني أن أكتب في حينها بحثاً فقهياً علمياً، فيه تبرير للرأي الذي أذهب إليه. وبقيت العلاقة حميمة، إذ كنت ألتقيه بين وقت وآخر حين أזור إيران، لكنها لقاءات أقرب إلى العامة (العمومية). كان الشخص الذي يربط بيننا السيد محمد أبطحي الذي كان مسؤولاً عن التلفزيون الإيراني في لبنان مدة من الزمن. وهو شاب معاصر ومنفتح ومتحرر في فكره، ويحمل فكراً حديثاً إلى حدّ التطرف حسب مفهوم المحافظين. كان الرابط بيننا في كل ما يريده مني السيد خاتمي أو أريده منه.

وعندما جاء السيد خاتمي إلى لبنان زارني فجلسنا قرابة ساعة ونصف الساعة، وأكد لي أن بعض الخطوط المحافظة الموجودة في إيران اتخذت موقفاً سلبياً مني لسبب أساس، وهو أنها لا تدعم الشخص إلا إذا جاء عن طريقها. وقال لي: «أنت لم تأت عن طريقهم لأنك صنعت نفسك بنفسك. وهذا هو السر أي استقلالك ونموك في العالم. ورأيك هو الذي جعل هناك حالات معقدة وسلبية نحوك». كان الرجل يفكر في الجانب الثقافي في الحركة الإسلامية، ولذلك كان في لقاءاته مع «حزب الله» يؤكد عليهم على الانفتاح الثقافي على طريقة مجلة «المنطلق» التي كانت تمثل مستوى ثقافياً إسلامياً معاصراً. ومن المفارقات أن «حزب الله» ساهم في

إغلاقها، وكانت تصدُر في بيروت، وهي المجلة التي تُمثِّل الانفتاح الإسلامي الثقافي على العصر، في مقابل المجلات والجرائد الصادرة عنهم والتي تُمثِّل الخط المحافظ. هكذا حصل. ثم كان الاجتماع الثاني في دمشق عندما زار سوريا، وكان رئيساً، فاستقبلني استقبلاً مميّزاً. لم يُحدّد وقتاً معيناً لاستقبالي، وكانت هناك شخصيات لبنانية تنتظر مواعيدها، وأذكرُ أنني أطلتُ الجلوس، وما صدر منه أو من مساعديه أي إشارة إلى أن الوقت انتهى. يومها تحدّثتُ معه في نقطتين.

الأولى أن الجيل المعاصر، وهو جيل الشباب والجامعات، يمتلك علامات استفهام كثيرة حول كثير من القضايا الإسلامية والسياسية، وأنّ عليكم أن تجيبوا هذا الجيل عن علامات الاستفهام، وإلا فسوف تفقدونه. وعليّنا أن نعرف أن هذا الجيل هو إيران المستقبل، وكان يُؤيّد هذه المسألة. والثانية أن علاقتكم بالعالم العربي ولا سيّما بسوريا لها دورها الحيوي في امتدادكم في المنطقة ولذلك نشجّع هذه العلاقات، ونأمل منكم تقويتها أكثر. كما أثرتُ نقطة ثالثة غائبة عن ذهني الآن. في كلّ مناسبة، كنا نتبادل التحيات. كان يرغب في زيارتي لإيران، وكان مستعداً لدعوتي رسمياً أو في صورة رسمية. لكنني كنتُ ولا أزال أعيش ظروفاً تمنعني من الذهاب إلى إيران.

كان يُظهر لي أنّه ممن يُرحّبون بفكري كما آخرين في إيران. وعندما كانت الشخصيات التي من فريق السيّد خاتمي تأتي إليّ في لبنان، كنتُ أشعرُ بتقدير واحترام ومحاولة استماع دائمة إلى أفكارِي ونظريتي في كثيرٍ من القضايا المتعلقة بالحوار وبعض القضايا السياسية والثقافية. ومنها الوزير مهاجراني الذي بادر، حين جاء لبنان وحضّر صلاة الجمعة، إلى القول: «أنا ما صليت صلاة فيها روحانية مثل هذه الصلاة». علماً أنّه «طويل» بذلك وسئل «كيف تحضّر صلاة الجمعة»، وقد أتى ذلك من بعض المحافظين. أذكرُ أنّه ألغى بعض لقاءاته بالوزراء اللبنانيين حتّى يحضر صلاة الجمعة. ولا تزال علاقتي جيّدة بهذه الشخصيات.

❖ في الاجتماع الذي حصل بينكم وبين الرئيس السيّد خاتمي في الشام، وكان مطوّلاً كما فهمنا، هل وضعك في أجواء التحديات التي يخوضها داخل النظام؟

- لا، لم يتحدّث، لأن الاجتماع كان عامّاً. إذ حضره كل مرافقيه مع أعضاء السفارة الإيرانية في دمشق. لم يكن اللقاء خاصاً. ولكن كنتُ أعرفُ كلَّ

هذه الأمور من خلال السيد أبطحي في أثناء زيارته للبنان، إذ كان يضعني في كل المشاكل والتحديات وكل الخلفيات لتحرك السياسي المضاد للسيد خاتمي، سواء من بعض المحيطين بالسيد خامنئي أو من غيرهم.

❖ ما هي المشاكل التي كانت تعترض مسيرته في الداخل؟

- السيد خاتمي كان يفكر ولا يزال في إعطاء الحرية الثقافية والإعلامية والسياسية في إيران، على الطريقة الديمقراطية مع نكهة إسلامية، إن صح التعبير. وكان يعتقد ولا يزال أن الإسلام لا يفقد موقعه أو قضاياه في حرية الفكر الآخر، بل ربما ينمو في مناخ الحرية أكثر مما إذا اضطهدت الحرية. ولهذا، كان يرى أن القضايا كلها يجب أن تناقش، وربما يصل إلى مستوى أنه حتى ربما يناقش فكر الإمام الخميني، وتناقش أيضاً سياسة الولي الفقيه، وتطرح القضايا في شكل حر. فعندما يقدم فكر يختلف عن الفكر الإسلامي، من الممكن أن يناقش في فضاء الحريات. كانت قضية الحريات هي برنامج في إيران لأن هذا ما يمكن أن يردم الهوة بين الجيل الجديد والإسلام أو الجيل القديم. ذلك يحفظ للجمهورية الإسلامية قوتها لأنه يمنحها قاعدة واسعة، ولا يوطرها في فريق معين قد لا يمتلك أيضاً الوحدة في خطوطه الفكرية الثقافية في هذا المجال، مع العلم أن الخط الثاني أيضاً لا يمتلك وحدة في المجال نفسه.

هذا الجو المحافظ المحيط بالسيد خامنئي، وربما بعض الخطوط التي يلتزمها السيد خامنئي أيضاً، لا يرى مصلحة في هذه الحرية. وقد يرى أن الآخرين سيستغلون هذه الحرية استغلالاً سيئاً، لا سيما مع عدم نضوج الجانب الثقافي والسياسي وخصوصاً في الساحة الإسلامية السياسية والثقافية، ومع عدم امتلاك القوة في مواجهة هذا التيار الأقوى. وهو الأقوى لأنه أيضاً يستمد قوته من التيار الموجود في العالم والمضاد للإسلام ولإيران أيضاً. وربما يدخل الكثيرون على الخط من المعارضين لإسقاط النظام مثلاً أو الخائفين من الفوضى الفكرية أو السياسية وخصوصاً إذا أعطيت الحرية على الطريقة الغربية التي يمكن أن تتحرك في الانحراف الأخلاقي وما إلى ذلك.

كانوا يتصورون أن إعطاء الحرية في الشكل الذي يطرحه السيد خاتمي، قد يهدد الجمهورية الإسلامية في أمنها السياسي، وقد يهدد الإسلام في ثقافة الناس، إذ ليست هناك توازنات في مسألة الصراع الثقافي والفكري في هذا المجال.

ربما كان الإمام الخميني يفكر في أن طرحه شعار لقاء الجامعة بالحوزة، يُمكن أن يحقق نوعاً من التواصل والتكامل من الناحيتين الثقافية والفكرية. فتأخذ الحوزة الجانب العلمي والموضوعي والعقلاني من الجامعة ولو من جهة الأسلوب، وتأخذ الجامعة الفكر الإسلامي من مصادره الطبيعية وهي الحوزة الدينية حتى لا تبقى هذه الهوة بين القديم والحديث، وبين الجيل المعاصر والجيل القديم. لكن هذا لم يتحقق. أما من جهة أنه ليست هناك كوادِر وشخصيات يمكنها تنفيذ هذا المشروع، أو أن الحرب التي فرضت على إيران وجعلتها تعيش مرحلة الحفاظ على أمنها الداخلي، ودمرت الكثير من بنيتها التحتية على مدى ثماني سنوات، والحصار الأميركي والأوروبي الإعلامي والسياسي والأمني، أما من هذه الجهة فربما منع كل ذلك إيران من تنفيذ الكثير من المشاريع التي كانت مطروحة في هذا المجال. لذلك أنا لا أتصور أن السيد خامنئي ضد الحريات.

❖ هل يمكن أن يكون هناك أشخاص تعودوا على السلطة وأحبوها وصاروا عاجزين بالتالي عن التخلي عن مواقعهم داخلها؟

- هذا أمر قد يكون طبعياً وواقعياً جداً لأنه لا نستطيع أن نتحدث حتى عن الدولة الإسلامية كما نتحدث عن الملائكة. فهم بشر وإن كانوا من المشايخ، لأنهم قد يقعون في الخطأ حتى وهم داخل الحوزة، وقد يتعلقون بمراكز الدنيا. فكيف إذا استلم الإنسان سلطة تتفتح فيها المواقع من جميع الجهات. لهذا، فإن الأمر لا يخلو من هذه الفرضية.

❖ هل تعتبر السيد خاتمي، وهو رجل دين وعلم عصري، فقيهاً في أمور الدين؟

- مع كل الاحترام لثقافته، ولدراسته الدينية فهو لا يُصنّف في فئة الفقهاء.

❖ انطلاقاً من ذلك، هل يمكن اعتبار العلاقة التي ربطتكم بالسيد خاتمي، واستمرت عبر السيد أبطحي، «استثناساً» بأرائك الدينية الفقهية في المواضيع التي كان يعالجها داخل إيران...

- إن الموضوع الذي طلب مني الكتابة فيه هو موضوع الموسيقى. لكنني أتصور أن الرجل كان يقرأ كتبني وأبحاثي التي بدأت تأخذ سبيلها إلى الترجمة في إيران.

❖ هل نظرية السيد الخاتمي في الحرية الثقافية والإعلامية والسياسية كان يمكن أن تهدّد النظام الإسلامي فعلاً لو لم يواجهها المحافظون؟

- لا أتصوّر أن فيها تهديداً للنظام الإسلامي إلا من جهة استغلال القوى الخارجية التي لا يزال لها واقع نفوذ في إيران على المستوى الثقافي والسياسي، ومن خلال أن الوسط الديني لا يزال جديداً في المسألة السياسية التفصيلية، وإن كانت إيران الدينية، إن صح التعبير، تمتلك تاريخاً طويلاً في الماضي من دخول لعلماء الدين في السياسة حتّى قبل القرن الماضي. ففي أوائله، كان تدخل علماء الدين بالسياسة أمراً طبيعياً لدى الإنسان العادي، ولم تكن هناك مقولة ابتعاد رجال الدين عن السياسة في إيران كما هي في العالم العربي. ولهذا رأينا أن هناك رجال دين في مستوى المراجع دخلوا المسألة السياسية كما في مسألة المشروطة والمستبدّة وتحريم التتباك، مثل أبو القاسم الكاشاني المعروف في مصدّق وهكذا. حتى إن انطلاقة الإمام الخميني في المسألة السياسية لم تكن محلّ اعتراض في الوسط الديني. لكنّ المسألة هي أن التطورات السياسية التي عاشتها المنطقة وعاشها العالم كانت تحتاج إلى إيجاد المناعة في المواجهة السياسية، وإلى مزيد من التجارب ومن الثقافة السياسية ومن الارتباط بالواقع أكثر ممّا هو قائم، الأمر الذي قد يوجّد هناك نوعاً من التعقيد مع التزامه المسألة الديمقراطية مثلاً في شكل جيد. لكنّه أيضاً يحتاج إلى الكثير من النضج في المسألة السياسية في هذا المجال.

❖ هل كان الرئيس السيد خاتمي، في رأيك، على استعداد لتقبّل فكرة أن تؤدي هذه الحرية التي يعمل لها، إلى نظام آخر أو إلى وصول أشخاص غير إسلاميين إلى السلطة؟

- كان لا يمانع أن يكون هناك أشخاص غير إسلاميين في السلطة. وأنا لا أنقل هنا كلاماً صادراً عنه في شكل تفصيلي. لكنّ طبيعة طروحاته، وخصوصاً في تأكيده على المجتمع المدني وعلى أن الشعب هو صاحب القرار أو ما أشبه ذلك، تفرض مثل هذا التفكير.

❖ أحياناً يبدو أن الرئيس خاتمي والسيد خامنئي على طرفي نقيض، وأن هناك عداءً مستحكما بينهما. وأحياناً يبدو كأن هناك تكاملاً بينهما أو توزيع أدوار. إذ عندما يضعف السيد خاتمي لأسباب كثيرة ويحارب بشدّة يبادر إلى إنقاذه السيد خامنئي.

- لعل سياسة السيد الخامنئي هي أن يُمسك العصا من الوسط . ولعلّه يمتلك كثيراً من الانفتاح المتمثل في خطاب السيد خاتمي . لكنّ موقعه في ولاية الفقيه، فضلاً عن القوى المحيطة به، قد يجعل خطابه أقل انفتاحاً من خطاب السيد خاتمي . وربما يفرضُ عليه هذا الواقع، وقد يكون في موقع اقتناعه في بعض الخطوط التفصيلية، أن يتدخل كي يحمي الساحة، كما فعل في مسألة إيقاف الصحف عن الصدور مثلاً، أو كما تدخل في منع مجلس الشورى من مناقشة قانون الصحافة، لأن الظروف الموضوعية المحيطة بالساحة وقوة التيار المحافظ تفرضان ذلك، أو لأنه مقتنع بأن إعطاء الحرية الواسعة قد يضرّ بالكيان وبالجمهورية الإسلامية وبالصفة الإسلامية للجمهورية . وهو قد يرى أن الذين يمارسون هذه الحريات الصحافية ليسوا مخلصين للجمهورية الإسلامية، بل إنهم يأخذون الحرية سبيلاً لنقد القيم الإسلامية أو لإفساح المجال للقوى المضادة التي يمكن أن تأخذ موقعها القومي في الساحة السياسية .

❖ مولانا، حدثنا أكثر عن علاقتك مع السيد خامنئي؟

- بدأت علاقتي مع السيد خامنئي منذ 1963 . كان صديقاً شخصياً حميماً للمرحوم أخي السيد محمد جواد فضل الله الذي كان يتقن اللغة الفارسية ويتردّد على إيران . وكانت له صداقة قوية جداً معه . كانت معرفتي بالسيد خامنئي في إحدى سفراتي إلى إيران من خلال أخي . التقيته قبل الثورة في مدينة مشهد التي كان يسكنها وهو من أهلها، وبقيت معه سبعة أيام، وكنا نلتقي في بيته . كنت أذهب معه إلى درس أحد العلماء الكبار الذي كان يلقي دروسه الفقهيّة في أحد مساجد مشهد الكبرى وهو مسجد «جوهر شاد»، وكنا نتحدّث عن الثورة وحركة الإمام الخميني الذي كان أحد رجالاتها . وكنتُ أسأله «ماذا ربحتم في تلك الفترة؟» وكانت إحدى إجاباته «إننا استطعنا أن نأخذ موقعاً مميّزاً لدى الجيل المعاصر، ولا سيما الجيل الجامعي الذي كان يعتبر أن رجال الدين يُمثّلون الرجعية السوداء، فأصبح بعد الثورة يرى أنهم أصحاب الفكر العالي والرفيع . بذلك استطعنا النفاذ إلى هذا الجيل المعاصر» . وهذا كان قبل نجاح الثورة .

كنتُ ألاحظُ أن السيد خامنئي منفتحٌ على الفكر الإسلامي المعاصر . وكان يُترجم بعض كتب السيد قطب (إخوان مسلمون) إلى اللغة الفارسية . ولاحظتُ انفتاحه على القضايا السياسية المعاصرة منذُ ذلك الوقت، إذ كان يتعاطف مع الجوّ

السياسي العربي، ومع القضية الفلسطينية ومع مواجهة الاستعمار... ثم عندما نجحت الثورة، كنتُ أزوره بين وقت وآخر وهو رئيس للجمهورية، وكنتُ أتحدّث معه كثيراً حول القضايا المتصلة بالجمهورية والمتصلة بلبنان. وكان في تلك المرحلة معنيّاً بالمسألة اللبنانية ومتخصّصاً فيها، أو كان مسؤولاً في شكل رسمي في الجمهورية الإسلامية عنها. حتى إن اللبنانيين الذين يلتزمون خطّ الثورة ولهم ارتباطات بها وبالجمهورية الإسلامية كانوا يأتون إليه ليتداولوا معه في الشؤون اللبنانية في ذلك الوقت.

كان منفتحاً، ولم أجده معقداً. كان منفتحاً على الواقع اللبناني وكان واعياً لتعقيداته وتناقضاته. ومن دون أن يتعد عن خطّ الثورة، كان يؤكّد ضرورة العمل السياسي في شكل واقعي في لبنان. كان معنيّاً، إلى جانب ذلك أيضاً، بالقضية العراقية، وكنتُ أتحدّث معه عن مشاكل العراقيين وخطوط القضية العراقية. كانت جلساتنا وفي موقع رئاسة الجمهورية جلسات صديق مع صديق. لم يكن يتعامل معي في طريقة رسمية، حتّى إنني أخذتُ منه موعداً في الصباح قبل الدوام الرسمي، وذهبتُ إليه في مركز رئاسة الجمهورية وجلسنا على العشب وأفطرنّا معاً في صورة طبيعية. وهو كان ثالث رئيس لإيران بعد بني صدر ورجائي.

❖ في الموضوع اللبناني، ماذا كانت عناوين الموضوعات اللبنانية التي كان يهتم الرئيس خامنئي بها؟

- كان حين يتحدّث عن لبنان يتحدّث عن ضرورة الانفتاح على اللبنانيين الآخرين، لأنّه كان يفهم جيداً طبيعة التعقيدات الموجودة في الواقع السياسي اللبناني. فهو في الوقت الذي كان يؤكّد على عناوين الإمام الخميني، كان يتحدّث عن اللقاء مع المسيحيين والسنة، وعن خطّ الوحدة الإسلامية. كانت المسألة الفلسطينية، بالنسبة إليه، مهمة بالمقدار نفسه. حتّى إنّه كان يتجاوب كثيراً مع الانقسام الشيعي، ويحاول منع الاقتتال الشيعي - الشيعي. وقد تدخّل أيام حرب إقليم التفاح بأكثر من وسيلة من أجل وقف القتال.

❖ هل كان «حزب الله» من مسؤوليات السيّد خامنئي في تلك الفترة؟

- من الطبيعي ذلك لأن «حزب الله» أساساً يرجع إلى ولاية الفقيه، وكان هو المسؤول من قبل الولي الفقيه (الإمام الخميني) عن الشؤون اللبنانية.

❖ هل كان في آرائه اللبنانية، إلى جانب انفتاحه على الطوائف الأخرى، دعوة إلى إنصاف الشيعة وبالتالي إلى أن يكون لهم دور أكبر في التركيبة اللبنانية؟

- من الطبيعي أنه كان يفكر في هذه الطريقة. لكن لا أذكر إعطاء هذه المسألة صفة الشعار المطلوب لأنها كانت واقعية.

❖ في أثناء الحديث عن العراق، مولانا، هل شعرت مرة بأن هناك رغبة في إيران (النظام الإسلامي) في جعل الديمقراطية تسود في العراق بحيث تحكم الأغلبية الشيعية؟ أو برغبة في اقتطاع الجزء الشيعي من العراق؟

- لم يكن هناك أي تفكير منذ كانت الثورة الإسلامية حتى الآن في تقسيم العراق. كانت المسألة الملحة على تفكير الجمهورية الإسلامية ولا تزال هي أن تكون هناك ثورة إسلامية في العراق. ومن الطبيعي أن الفريق الإسلامي العراقي الأول هو «حزب الدعوة» الشيعي الذي كانت إيران ترسم علامات استفهام حوله انطلاقاً من بعض الشخصيات المعقدة داخله. ذلك أن بعض شخصياته آنذاك كالسيد مرتضى العسكري وقف موقفاً سلبياً مضاداً ومحارباً للدكتور علي شريعتي على أساس اتهامه بالانحراف الفكري عن الإسلام. كما كانت هناك علامات استفهام حول علاقة بعض الشخصيات في بدايات «حزب الدعوة» مثل الشهيد مهدي الحكيم، ابن المرحوم السيد محسن الحكيم الذي اغتالته المخابرات العراقية في السودان، بسبب علاقته في شكل أو في آخر بالشاه قبل الثورة. كان «حزب الدعوة» لا يحظى برضى بعض الشخصيات وفي مقدمها السيد مهدي الهاشمي الذي أعدهم، والشيخ محمد منتظري نجل الشيخ حسين منتظري. كان الموقف من «حزب الدعوة» سلبياً، وكانت الجمهورية الإسلامية تحاول أن تجد شخصية عراقية يمكن أن تكون الواجهة للعمل الإسلامي أو للثورة الإسلامية في العراق. وجاءت هذه الشخصية ممثلة بالسيد محمد باقر الحكيم الذي يتميز بعدة مواصفات تؤمن له إمكانيات العمق الشعبي. فهو ابن المرجع السيد محسن الحكيم الذي كان يعتمد في تمثيله في أكثر من مناسبة في العراق. وكان تلميذ السيد محمد باقر الصدر. وقد دخل سجون النظام العراقي، الأمر الذي جعل الجمهورية الإسلامية في عهد الإمام الخميني تستقبله وتضعه في الواجهة السياسية.

ثم بدأت الجمهورية الإسلامية تقترب من «حزب الدعوة» بعدما أبدى

استعداداته للتجاوب والتنسيق معها. حتى إنه أعلن التزامه ولاية الفقيه. فبدأ مشروع الجمهورية الإسلامية في ما سُمي «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق» الذي جَمَعَ شخصيات إسلامية إيرانية كانت في العراق، مثل السيد محمود الهاشمي والشيخ محمد مهدي الآصفي مع شخصيات وتجمعات إسلامية عراقية لم يكن فيها أحدٌ من السياسيين العلمانيين العراقيين. لهذا، سُمي «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق». لكنّ الرابط لهذا المجلس الأعلى وفي جميع العهود كان إيرانياً. كانت تختلف طبيعته حسب اختلاف طبيعة المسؤول الإيراني، في وقت كانت إيران مبتلاة بالخطوط المتنوعة التي لا ترجعُ إلى وحدة. وفي ضوء التعقيدات التي كانت تحصلُ، خَرَجَ مَنْ خَرَجَ من الشخصيات، فتحوّل «المجلس الأعلى» في نهاية المطاف إلى مجلس السيد الحكيم. ذلك أن الفئات التي قد تأخذ عنواناً تمثيلاً لا تمتلك إلا العنوان التمثيلي في هذا المجال...

وقد انفصلت أغلب المنظمات العراقية، ومنها «حزب الدعوة» عن «المجلس الأعلى»، ونشأت بعض التعقيدات في الساحة العراقية واستمرت حتى الآن. لذلك، كانت الجمهورية الإسلامية تفكرُ في الثورة الإسلامية في العراق، وفي أن يكون للإسلاميين دورٌ فاعل في المسألة العراقية. وهكذا لاحظنا كيف أن المجلس الأعلى كَوّن لنفسه فريقاً عسكرياً هو «قوات بدر» التي كانت تقوم ببعض العمليات العسكرية.

❖ ما هو سبب «الجفوة» التي يلاحظها الناس بينكم وبين السيد خامنئي؟ وما علاقة المرجعية بذلك؟

- الواقع ليست هناك، بالمعنى الدقيق للكلمة، أي جفوة بيني وبين السيد خامنئي. فأنا لم ألحظ منه كشخص أي موقف سلبي، بل كانت تنطلقُ مِنْهُ إشارات إلى بعض الناس الذين قد يتحدثون في طريقة سلبية قوّة عني.

حتّى إنّه، كما يخبرني بعض قيادات «حزب الله»، يطلب منهم استشارتي، وكان يؤكّد عليهم بقوة كي لا يصدر منهم أي موقف سلبيّ تجاهي. أما مسألة الاتصال المباشر، فالظاهر أن بروتوكوله يمنع أن يتّصل بالهاتف مع أي جهة داخلية أو خارجية. وليست المسألة خاصة لأنني جرّبتُ في بعض الحالات نتيجة إشارة أحد معاونيه أن اتصل به هاتفياً فلم يُفتح الهاتف. وأنا لا أعتبرُ أنّه يتحمّل مسؤولية ذلك، بل المعاونون يتحمّلونها إذا كانت هناك مسؤولية.

من الطبيعي أن الاتصالات انقطعت إلا من بعض الرسائل الخاصة ببعض

الجوانب المتعلقة بمسألة العراقيين حين كانت تحدثُ بين وقت وآخر، مثل التعقيدات للمهاجرين منهم المقيمين في إيران الذين شردتهم السياسة العراقية لمعارضتهم النظام العراقي. ولم ألقَ منه جواباً خطياً. من الممكن أنه في مثل هذه القضايا لا يجبُ خطياً، لكنه عن آخر رسالة أرسل لي جواباً شفهيّاً مع أحد معاونيه هو الشيخ محمد علي التسخيري. لم تكن هناك اتصالات لأنني لم أذهب إلى إيران منذ زمن غير قليل، ممّا جعل الاتصالات المباشرة غير متوفرة مع السيّد خامنئي شخصياً. وهناك رأي له في موضوع المرجعية يؤكد أنها لا بُدّ من أن تكون في إيران. فنظام الجمهورية الإسلاميّة في حاجة إلى أن تحميه وترعاه المرجعية وتدافع عنه. ومن الطبيعي أن أيّ مرجعية في العراق أو أيّ مكان آخر لا يؤمن لها، إمّا بسبب طبيعة عناصرها السياسيّة أو الثقافيّة أو بسبب الضغوط المحيطة بها، ولا يؤمنُ تأييدها ودعمها للنظام الإسلامي في إيران، الأمر الذي يجعل امتداد تقليدها إلى إيران مشكلة له، لا سيما إذا كانت لا تؤمنُ بولاية الفقيه. فهذا الموقف السلبي من ولاية الفقيه قد يشجّع مقلّديها على عدم الالتزام بالنظام الإسلامي، وبمّا يصدرُ عن ولاية الفقيه، الأمر الذي قد يُؤدّي إلى الفوضى. هذه كانت المشكلة السلبية وسبب الموقف الذي اتخذته الجمهورية الإسلاميّة من السيّد الخوئي الذي كان لا يرى الولاية العامّة للفقيه من الناحية الفقهية. ولذلك كان مقلّده في حلّ من النظام المرتكز على ولاية الفقيه. ولهذا، كان السيّد خامنئي يرى أنه لا بُدّ للمرجعية من أن تكونَ في إيران حتى تعيش في انسجام مع الجمهورية الإسلاميّة. فإذا لم تكن إيجابية مئة في المئة لا تكون سلبية ولا تضرّ نظام الجمهورية الإسلاميّة. لهذا السبب، وافقوا على مرجعية الشيخ محمد علي الأراكي الذي كان من المخلصين للإمام الخميني وكان ممّن يرى ولاية الفقيه. علماً أنهم أيّدوا أيضاً مرجعية السيّد الكلبكاني رغم أنه قد لا يرى ولاية الفقيه في هذا الحجم. لكنه كان منسجماً مع أجواء الجمهورية الإسلاميّة، وكانت العلاقات بين مركز الولاية ومركز المرجعية علاقات متوازنة، وكانت هناك اتصالات في المستوى الذي لا تتدخل فيه المرجعية بما يُضرّ بمصلحة الجمهورية الإسلاميّة.

أما في ما خصّ مرجعية السيّد الخامنئي فقد كان، حسب ما نقل لي بعضُ معاونيه المتقدّمين في مكتبه، لا يوافق على أن يُرشّخ نفسه للمرجعية لأكثر من اعتبار. لكن معاونيه وبعض القوى النافذة في إيران مارسوا عليه ضغوطاً حتّى قبل ذلك تحت مقولة أن المصلحة الإسلاميّة العامة، ولا سيما في ظل امتداد

المرجعية خارج إيران ، ستتأذى . وذلك يخلق مشاكل لإيران . فانسجام المرجعية مع خط الجمهورية الإسلامية يخدم مصلحة إيران التي تبحث عن الامتداد الثقافي والسياسي والأمني في العالم الشيعي .

ولذلك ، بادر إلى الإعلان أنه يتقبل المرجعية في الخارج باعتبار أن التقارير التي قدّمت إليه أفادت أن المرجعية قد سقطت في الخارج ولم يعد لها موقع للتوازن مما قد يترك تأثيراً على الواقع الإسلامي الشيعي . فأعلن في خطاب له أنه يتقبل المرجعية في الخارج فانطلق مراجع «قم» وهم كثيرون ، لكنه لم يعين شخصاً واحداً من بينهم في مرجعية الداخل . كان عازماً على التخلي عن المرجعية إذا استطاع هؤلاء أن يمتدوا بالمرجعية إلى الخارج بحيث يمتلكون القدرة على رعاية المرجعية الشيعية في الخارج . وهذا مضمون خطابه الأول .

من الطبيعي أن هذه المسألة أثارت جدلاً في العالم الشيعي ، لأن الشيعة في الخارج يعتبرون أن المرجعية في المعنى الفقهي ، وبقطع النظر عن المعنى السياسي الذي لا يُعتبر شرطاً في الرأي العام الشيعي التقليدي على الأقل ، ليست في موقع السقوط أو الضعف . إذ إن أسماء موجودة في الخارج كالسيد السيستاني تمتلك امتداداً في المرجعية وفي العالم الشيعي بشكل قد يجعلها في المرتبة الأولى نتيجة بعض الظروف التي أحاطت بها . ولذلك كان هناك استغراب للحديث عن أن المرجعية في الخارج قد سقطت . وهكذا بدأ معاونوه ، من خلال المصلحة وعنوان المصلحة الإسلامية العليا ، يؤكدون مرجعيته حتى داخل إيران ، ويقولون إن حديثه كان من باب التواضع وليس من باب الموقف السلبي من امتداد مرجعيته داخل إيران . وربما يُفسر بعضهم ، خطأ أو صواباً ، أنه كان لا يريد أن يخلق معركة مع المراجع في إيران ولا سيما في «قم» . وبدأ معاونوه ومساعدوه يعملون حتى على مواقع الدبلوماسية في العالم معتبرين الدعاية أو الدعوة لمرجعيته جزءاً من المسؤوليات التي ينبغي لإيران ممارستها بما تمتلك من مواقع حركية في الخارج . في هذه الدائرة بدأت الحملة على مرجعيتي التي لم أخترها ، انطلاقاً من اعتقاد الكثيرين أنها قد تقف حجر عثرة أمام مرجعيته باعتبار أن اسم صاحبها معروف عالمياً ، ويملك حضوراً ثقافياً وسياسياً واجتماعياً في العالم كله ، مما يعطي فرصة لامتداد مرجعيته بحيث تترك تأثيرها . ومن المفارقات أن هؤلاء الذين يحاربون هذه المرجعية لا يتصرفون في طريقة سلبية ضد المرجعيات الأخرى ، بل يتعايشون معها باحترام كلي .

❖ هل يمتلك السيد خامنئي المقومات الفقهية والعلمية كي يكون مرجعاً
مقلداً؟

- هناك جدل في الحوزات العلمية حول مستواه الفقهي بين فريق ينكرُ عليه حتى اجتهاده وآخر يُؤكِّدُ اجتهاده ولكن لا يُؤكِّدُ أعلَمِيَّتَهُ، وثالثٌ يتحدَّثُ عن مستوى الأعلَمِيَّةِ. المشكلة في مثل هذا النوع من الجدل التقويمي أن السيد خامنئي لم يعيش التقاليد التي عاشها المراجع في كثافة الحضور الفقهي والأصولي في الحوزات العلمية من خلال تاريخ التدريس على مستوى الخارج وما إلى ذلك، ممَّا يجعل المسألة عندما تُثارُ من خلال خصومه مسألة قد تظهر فيها أكثر من نقطة ضعف. ربما يقول البعض، كما في بعض الكلمات التي قُدِّمت لتأييد مرجعيته، أن المصلحة الإسلامية تفرضُ ذلك ولا يتحدثون عن المستوى العلمي، لأن الحديث عنه يُثير الجدل سواء، خطأ أم صواباً، لأننا لسنا في مقام التقويم. ومن المؤكد أن تقاليد المرجعيات في طبيعة امتداد تاريخها العلمي في الحوزات العلمية من حيث الدرس والتدريس والتأليف ليست متوفرة في شخصه. ويُحدِّثك بعض الناس عن أن العبقريَّة ربما تفرضُ نفسها في الوصول إلى درجات العلم بقطع النظر عن التاريخ العلمي الذي قد يمتدُّ سنين وسنين.

❖ هذا يعني في النهاية أن هناك نظاماً حتَّى الوليِّ الفقيه الذي يفترضُ أن يكون رأسه هو جزءاً منه تديرُهُ مجموعة معيَّنة؟

- نعم. يُحدِّثونك في نظرية ولاية الفقيه. إن الوليَّ الفقيه هو وليُّ أمور المسلمين كافة، وأن موقعه في الولاية، حتَّى لو لم ينتخبه المسلمون خارج إيران، يجعله تلقائياً في مركز الولاية. إذ إن الولاية لا تتحدَّدُ بالانتخاب بل بالكفاءة. فكلُّ مجتهد عدل عارف بزمانه هو مشروع وليِّ فقيه. والمسألة الفعلية تتحرك من خلال التفاف الناس حوله أو من خلال الظروف التي تعيَّنه من بين الفقهاء الآخرين. ولذلك فهم يتحدثون أن انتخاب مجلس الخبراء للوليِّ الفقيه لا يعني إعطاءه الشرعية في الولاية، ولكن يعني اختيار الأصلح للولاية. فهي انتخابٌ يُعيِّن الفرد الأصلح من بين الأطراف الأخرى المؤهلة، وليس هو مَنْ يعطيه شرعية. فالشرعية يأخذها من النصوص الدينية التي تقول: «العلماء ورثة الأنبياء» أو «العلماء أمناء الرسل» أو ما إلى ذلك.

❖ عن التمسك بمرجعية السيد خامنئي خارج إيران فقط، هناك نظرية دفاعية تؤكد أن تقليده ممكن داخل إيران؟

- هناك نقطة أخرى أكثر وضوحاً وارتباطاً بهذا الموضوع هي أن الشيعة في تاريخهم يرتبطون بما يُشبهُ القداسة العملية بالمرجع. ولا يرتبطون بالولاية لأنَّ الولاية كنظرية فقهية ربما كان بعض الفقهاء المتقدمين يتبنونها، لكنّها لم تعش في مسار التاريخ الشيعي، أو الوجدان الشيعي، كعنوان يجتذب الشيعة إليه بحيث يُسلمونه مقاليد أمورهم الدينية. فقضية الولاية هي قضية حادثة انطلقت في شكل فاعل من الإمام الخميني ولم تنطلق قبله في هذا المعنى الفاعل، وإن انطلقت فقهيّاً في نظر بعض الناس.

لهذا، فإن المسألة تفتّح على أكثر من المسألة الدفاعية. إنها تنطلق من قضية أن احتواء المسلمين الشيعة في الخارج لا يمكن أن يتم من خلال الولاية بل من خلال المرجعية. ولذلك، لا بُدَّ أن يكون الولي مرجعاً حتّى يستطيع اجتذاب الشيعة إليه من خلال مرجعيته كي يمارس ولايته عليهم على هذا الأساس.

✽ يعني هناك محاولة سياسية من النظام الإسلامي في إيران لتوظيف الشيعة ضمن هذه المرجعية من أجل تحقيق غايات سياسية إسلامية.

- هذه وجهة نظر في تفسير المسألة لأنها لم تطرح في هذا الشكّل كي تناقش في الهواء الطلق على أساس الجدل العلمي أو الثقافي. لكن بعض الذين يعيشون داخل مواقع الولاية مسرّحوا ببعض ذلك.

✽ هل ممكن أن تُمارس ولاية الفقيه خارج إطار رسمي، يعني إذا لم يكن هناك نظام إسلامي هل يمكن ممارسة هذه الولاية؟

- من الطبيعي أن ولاية الفقيه لا ترتبط بالنظام الإسلامي، بل ترتبط بموقع الولاية الذي يمتلكه الفقيه الذي يرتضيه الناس، لأنهم إذا لم يرتضوه لن يستطيع أن يفعل شيئاً. ولهذا من الممكن جداً أن يمارس ولايته في الحياة العامة، سواء في القضايا التي تمسّ نظام المجتمع في هيئته الاجتماعية أو في مواجهة الأحداث التي قد تتحرك في المجالات السياسية أو غير السياسية. غاية ما هناك أن هناك فرقاً بين إذا ما كان الولي الفقيه يمارس ولايته داخل نظام يمتلك السلطة حيث تفتّح عليه وله كلّ السلطات التي يمارس حركيتها من خلال ولايته، بينما إذا لم تكن ولايته داخل النظام فلا بُدَّ من أن تتجّمع مساحات تلك الولاية، أو تتجّمع حركيتها في الموارد التي يمكن للظروف السياسية أن تسمح بها.

❖ مولانا، أشرتُم إلى أن أحد أسباب الاعتراض على مرجعية السيد الخوئي كان موضوع ولاية الفقيه؟
- نعم، كان لا يرى ولاية الفقيه العامة.

❖ سماحة السيد فضل الله، لقد مثَّلت سابقاً مرجعية السيد الخوئي، فهل شاركته أو تشاركتَه نظرته إلى موضوع الولاية؟
- أنا لا أشاركُ نظرته من الناحية الفقهية في الدائرة المحدودة التي يَضَعُ فيها الولاية. كما لا أشارك الإمام الخميني في نظريته في الولاية في الشكل المطلق الذي يجعل الوليَ الفقيه ذا صلاحيات مطلقة، كما لو أنه يختصِرُ الدولة من وجهة نظري، هناك قاعدة شرعية فقهية إسلامية تقول إنَّ على الأمة حفظ نظامها. ولو توقَّف حفظ النظام على أن يحكمها شخص لا يتمتع بالصفات القيادية الإسلامية، ولولاه لتحوَّل الواقع فوضى، فإنَّ الإسلام لا يعطي هذا الشخص الشرعية لأنَّه يَفْقِدُ أصول الشرعية، لكنَّه لا يعارضُها. لذلك، أنا أنظر إلى ولاية الفقيه من ناحية حفظ النظام. وقلت إذا توقَّف حفظ النظام الإسلامي على ولاية الفقيه فيكون له ولاية بحجم علاقتها بحفظ هذا النظام على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والأمني. وإذا لم يتوقف على ذلك وأمكن أن تكون هناك قيادة إسلامية غير فقهية وقادرة على حفظ نظام المجتمع بكلِّ مصالحه وعلاقاته في الداخل والخارج، وترجع إلى الفقهاء في ما يُشكِّلُ عليها من أمور الشريعة في التقنين والتطبيق وما إلى ذلك، فإنَّه لا ضرورة لولاية الفقيه في هذا المجال. ولهذا فإنَّ النظرية التي أوْمِنُ بها تَقِفُ ربما في الخط الوسط بين النظريتين، وربما تقتربُ من خطِّ عدم الولاية من ناحية ذاتية الشرعية الإسلامية في طبيعتها لتكون أقرب إلى هذا الجوّ.

❖ مولانا، هل الوليَ الفقيه معصوم؟
- لا، الوليَ الفقيه رجلٌ مثقَّفٌ بالثقافة الفقهية في شكلٍ مميّز، وبالثقافة العامة. وهو يخطئُ ويصيب. ولا بدّ من أن يكون عادلاً، ومعنى العدالة الاستقامة على خطِّ الإسلام، بحيث لا يمارس الكبائر من المعاصي، ولا ينحرف عن الخط، ولا يتعسّف في حكمه، ولا يحكُمُ بغير ما يمتلك الخبرة فيه إلّا بعد الرجوع إلى الخبراء في هذا الموضوع. فإذا أخطأ وجبَ على الأمة أن تنفصل عنه.

❖ هل صحيح أن هناك فريقاً يمثل السيد خامنئي وقف ضد مرجعيتكم؟
- أنا لا أمتلك معلومات حسية. لكن هناك كلامٌ ينسبُ ذلك إلى بعض الأشخاص ولا أستطيع أن أعطي تقييماً حاسماً في هذا الموضوع.

❖ مولانا، قلت إن المرجعية هي التي اختارتك. كيف ذلك؟
- لم تكن المرجعية طموحاً شخصياً لي، لأن تقاليد المرجعية من الناحية العملية تقضي أن ينطلق المرجع من داخل الحوزة الواسعة، بمعنى أن يعيش داخلها وأن يبقى داخلها. لم أكن داخل الحوزة العلمية في النجف وإن كنت تخرجت منها، وأكثر المراجع الحاليين زملاء لي. لم أكن في الحوزة العلمية في «قُم»، لكنني في الوقت نفسه كنت أمارسُ تدريسَ الفقه والأصول الذي يمارسونه في الدراسات العالية في الحوزات العلمية لأكثر من ربع قرن. إذ منذ أن قدمتُ إلى لبنان، فتحتُ معهداً شرعياً إسلامياً يخرجُ العلماء. ولهذا كنت أفكر أن من الصعب جداً أن يترشح أو يتقدم شخصٌ للمرجعية في لبنان لأنه ليس مركزاً للمرجعية في الوجدان الشيعي. كما إنني كنتُ أعيشُ الحضور الثقافي والسياسي والاجتماعي في الوجدان الشيعي في شكل كبير جداً، وكنتُ أمتلك الكثير من التأييد والثقة والمحبة لأن الآخرين لا يجدون فيّ منافساً أو لاعتبارات أخرى. وأنا لا أريدُ أن أعطي لنفسِي تلك الضخامة لشخصيته. ولذلك كنتُ أشير إلى بعض المجتهدين في النجف أو في «قُم» في دورات متعاقبة على أساس أن من الممكن للناس أن يرجعوا إليهم من دون الشهادة بالألمعية التي قد يراها الكثيرون من المجتهدين شرطاً في المرجعية. بل كنتُ أقول أن تقليدهم مبررٌ للذمة، لأن نظرتي هي أنه يمكنُ للمجتهد الممارس (على طريقة الخبرة) ممارسة طويلة والعدل في دينه أن يُقلده الناس. لكن هناك الكثيرين من الناس في الداخل والخارج كانوا يرسلون إليّ ويقولون لي إننا مقتنعون بك وقلدناك، وكانوا يطلبون مني فتاوي، وفكرت.

❖ (مقاطعاً) متى كان ذلك، مولانا؟

- لعلّه في العام 1991. فكرت آنذاك أن من الممكن أن أقوم بخدمة إسلامية للجيل الطالع المعاصر من خلال هذه المرجعية، أولاً لجهة ما أمتلكه من الفكر المنفتح الذي يمكن أن يلتقي مع حالات الجيل المعاصر للانفتاح، إذ لم أكن تقليدياً في تفكيري مع احترامي للتقليديين. وثانياً إن التقاليد الغالبة للمرجعيات، سواء من خلال ظروفهم الخاصة أو من خلال بعض الأوضاع العامة المحيطة بهم، لا

تمكّن الناس من أن يتصلوا بالمرجع مباشرة، على الأقل من خلال الهاتف، ورغم أنهم يمتلكون الاتصال المباشر به بزياراتهم له. إلا أن التقاليد لا تعطي الحرية للزائرين في الكثير من المناقشات والأشياء. ربما كان ذلك نتيجة لضيق وقتهم أو لبعض الاعتبارات، ممّا يجعل هناك نوعاً من الحاجز بين المرجع والناس بحيث تبقى علاقتهم به من خلال وكلائه، أو من خلال الكتاب الفقهي الذي يصدره لهم، أو من خلال بعض الاعتبارات للحقوق الشرعية وما إلى ذلك كالخمس والزكاة والذي قد يحتاجون إلى رخصة من المرجع لصرفه. ففكرتُ أن من الممكن جداً أن تكون هناك مرجعية يستطيع الناس أن يتصلوا بها في الليل وفي النهار، سواء في مشاكلهم الشخصية وحتىّ العاطفية والنفسية منها، أو في استفتاءاتهم الفقهية أو في سؤالها عن القضايا السياسية والثقافية. بذلك يمكن لهذا الجيل المعاصر أن يشعر بما يملأ فراغه النفسي في العلاقة شبه العفوية بالمرجع بحيث يستطيع الحديث معه في الليل والنهار في قضاياها الخاصة والعامة.

هذا ما كنتُ أعيشه وقد تحرّكت التجربة في المرجعية في هذا الاتجاه، حتّى إنني أتلقّى من سائر أنحاء العالم اتصالات من نساء ورجال في قضايا عاطفية يُراد أخذ رأيي فيها، أو في حالات نفسية أو سياسية أو قضايا فقهية وما إلى ذلك. أشعر ذلك الناس بأنّه ليس هناك أي حاجز بينهم وبينني. طبعاً أنا لا أريدُ تسجيل موقف سلبي على الآخرين، لكن ربما كانت ظروفني من الناحية السياسية والعامة تسمحُ لي بذلك ولا تسمحُ للآخرين به. هذا بالإضافة إلى أنني كنتُ أفكرُ في أن الآخرين لا يمتلكون المستوى العلمي بما يرتفع عن المستوى الذي أمتلكه، لا سيما أن لي ذوقاً أدبياً يقولُ الناس إنّه رفيع في فهم اللغة العربية، كما مارست الأدب والشعر والنثر منذ خمسين سنة. وأنا، منذ انطلاقتي في الكتابة، لم أكتب إلا في الأسلوب المعاصر. لم أكتب في الأسلوب التقليدي رغم أن دراساتي كلّها كانت فيه. فضلاً عن أنني أمتلك أن أعطي الناس على مدى التحديات والأحداث الكبيرة ما اقتنعتُ به من الرأي السياسي أو العلمي أو الأمور الاجتماعية بحيث يرون من خلال مواجهة كلِّ حدث أن هناك ملاحقة له ودراسة إسلامية له في الشكل الذي يملأ فراغهم.

لهذا، فكرتُ في قبول المرجعية، وكنتُ أعرف من خلال رسالة، لم أحتفظ بها مع الأسف وردت إليّ من قبرص ولم تحمل أي توقيع، وتقول إن رشحتُ نفسك للمرجعية فسنهدّم وجودك، ونشوّه صورتك وسوف نفضحك، إلى مثل هذه الكلمات. كنتُ أعرف ما سأواجه. لم أكن في ذلك الوقت في وارد المرجعية،

ولذلك اعتبرت الرسالة خطاباً من سفيه، ولذلك لم أحتفظ بها. وعندما انطلقت المرجعية، بدأ الكثيرون يبحثون عن الكلمات التي يمكن أن تفسر بعكس معناها، أو عن الآراء التي تمتلك الجدة في مواجهة اجتهادات فقهية أو تاريخية أخرى، واندفعوا إلى العوام وأثاروا القضايا العاطفية ولا تزال المسألة تتحرك.

❖ مولانا، بالنسبة إلى هذا الموضوع، هل قلت إنك قبلت ترشيح نفسك؟

- لا، قبلت ترشيح الآخرين، ويعرف ذلك إخواني كلهم. لم أسع في أي خطوة بتنظيم هذا الوضع أو تدفع نحوه. حتى إنني، في رأيي، الفقهي كنت أقول عندما أسأل أن من الممكن جداً، بحسب رأيي الفقهي، أن ترجع الناس إلى رأيي الفقهي أو أن ترجع إلى المجتهدين الآخرين.

لهذا، لم أكن مصرّاً على إدارة المسألة في الطريقة التي تمثل طموحاً كأني طموح شخصي، إضافة إلى أنني رجعت إلى الله في ذلك من خلال الخيرة المستعملة من السنة والشريعة. والقضية فعل إيمان، فحين كنت في حيرة استخرت الله في ذلك وكانت الخيرة إيجابية.

❖ مولانا، عندما قبلت ترشيح الناس، كيف أخرجت هذا القبول إلى العلن؟

- بدأت أجب عن الاستفتاءات الفقهية التي يجيب عنها المراجع والمجتهدون. وبدأت أ تدخل في مسألة ترخيص المؤمنين في مسألة حقوقهم الشرعية في نسبة أو في أخرى. وأصدرت أول كتاب فقهي باسم «المسائل الفقهية» بجزئه قبل أن أصدر «الرسالة الفقهية المستقلة»، حيث علقت على رسالة السيد محمد باقر الصدر «الفتاوى الواضحة»، وأدخلت فيها الفتاوى التي اختلف معها ونشرت بعد ذلك. ثم ألقت كتابي «فقه الشريعة» بأجزائه ومجلداته الثلاثة التي تحمل آرائي الفقهية. وبدأت أمارس المرجعية من خلال علاقة الناس بي وعلاقتي بالناس. وقد حاولت أيضاً أن أحدث الوسيلة بفتح صفحة على الإنترنت تتقبل أسئلة الناس من كل أنحاء العالم، وتلبي حاجاتهم إلى الاطلاع على خطبي ومقابلاتي وآرائي وأفكاري. وحسب الإحصاءات التي تقدمها شركة الإنترنت، تبين أن هناك مليوني زيارة في الشهر لهذه الصفحة ولعلها أكبر الأعداد سواء للمرجعيات أو غيرها الشيعية والإسلامية.

كان طموحي هو كيف أؤدي رسالتي الإسلامية، ولم تكن المرجعية طموحاً لي، ويمكن أن أوديتها من الناحية الثقافية والسياسية والاجتماعية والتربوية والوعظية. كان هذا هو همّي الكبير ولم تكن المسألة منطلقة من ذاتية ما. فأنا لم أكن أجد

ضرورة فوق العادة أن تقدّم فتاواك التي تقترب من فتاوى المراجع الآخرين كما تقترب فتوى مرجع من آخر. لقد قبلت ذلك انطلاقاً من المذكور سابقاً وهو إلحاح الناس، وواجهت الكثير من المواقف المثنية من علماء كبار ومتقنين من المسلمين الشيعة، وكانوا يقولون أنت أكثر علماً ممن رشحت من أسماء.

❁ مولانا، لنبدأ برودود الفعل على قبولك المرجعية. أولاً إيران إذا كان موقفها عملياً من مرجعيتك؟

- من الطبيعي أن تتحرك الخطوط في نطاق الإحساس بخطورة هذه المرجعية، سواء من المرجعية الإيرانية الرسمية أو من مرجعيات أخرى بمن في ذلك مرجعيات النجف. فقد بدأت الحملة بشراسة غير معقولة وراحت تشكك في الاجتهاد أو الأعلمية، أو ترفض الاجتهاد أو الأعلمية أو تثير بعض الجوانب في العقيدة كما في الموقف من الأئمة من أهل البيت (ع) أو الأنبياء. ونُسبت إليّ أشياء لم أُلها، فحزفوا كلامي وفسروه بعكس معناه، ودُبلجت الكثير من الأشرطة. استغلوا الجانب العاطفي عند الناس، واستخدموا كل الوسائل، من كتب تتحدث عن «أضاليلى»، وفاكسات كانت ترسل إلى كل مكان في العالم. كما استخدموا الخطباء الذين كانوا يرسلونهم في عاشوراء وأيام شهر رمضان، فيدفعون لهم المال ليتحدثوا عني أمام الناس في شكل سلبى. هكذا بدأت الحملة وتطورت عندما بدأت المرجعية تأخذ مواقعها في هذا المجال، ووصلت المسألة إلى لبنان من خلال «حزب الله» الذي تبنى هذا الموقف بقساوة وشدة بأكثر مما تبنّاه الآخرون، وفي أكثر من حادثة وموقع. وتبنّاه جمهوره طبعاً، والمعروف أن الجمهور يُمثل أكثر من موقع من المواقع المسؤولة.

❁ في هذا الموضوع، مولانا، نحن نعرف أن الكثير من جمهور «حزب الله» كان مقتداً لك؟

- ولا يزال، لكن بعضهم يستعمل التقية، لأنه يخشى على نفسه إذا أعلن ذلك كما حدثني البعض. فهم قد يرون أنفسهم منسجمين بل مؤمنين بولاية السيد الخامنئي (حفظه الله) ويجدون أن أي مرجعية حيّة، لا سيما في لبنان الذي هو موقع حركية مرجعية السيد خامنئي ولا سيما في المنطقة العربية، قد نسيء إلى الولاية وتشكل خطراً على الإسلام الحركي والجهادي وما إلى ذلك. فالناس عندما يرتبطون بالوليّ الفقيه فإنهم يلتزمون خط المقاومة بينما إذا ارتبطوا بخط آخر،

فإنهم لا يلتزمون هذا الموقع . وهذا قد يُسيء إلى موقع المقاومة ...

❖ **مقاطعة:** لكنّ سماحتكم، مولانا، أب المقاومة والحركة الإسلامية؟

- صحيح . لكنّ الأبوّة التاريخية ليس لها موقعٌ في امتداد الأبوّة عندما تشتبك الأمور وتتداخل وتؤدي إلى بعض السلبات في حياة الأولاد . كما إن المجلس الشيعي وقّف وقفة قاسية غير معقولة في هذا المجال فنسب إليّ أشياء لم أقلها، وانطلق كلّ جهازه الإداري في هذين السبيل والمقام . وتحركت أكثر من جهة . وأنا أتصور أن هذه الحرب المجنونة ربما استطاعت أن تؤثر في بعض الناس ، لكنني أجد أنها خسرت المعركة بنسبة ثمانين في المئة . فأنا لم أدخل أي جدل حول هذا الموضوع ، ولم أقم بأي ردّ فعل ، ولم أصدر أي فتوى أو فتاوى أمام الفتاوى التي أضيفها بالضالة المضلة التي قالت إنني ضال ومضلل ...

❖ **مقاطعة:** ولم تخرج عن الخط الإسلامي؟

- لم أخرج عن الخط الإسلامي ، ولم أخرج عن دعم المقاومة وعن دعم الجمهورية الإسلامية في إيران . كلّ هذه المواقف أخرجت بعض الناس وجعلت خطّطهم نقشل لأنّ الناس قد يسمعون شيئاً ويرون شيئاً آخر ، ولا سيما مع هذا الحضور الدائم والمتحرك على مستوى العالم .

❖ **هل تحدثت مع المرجعيّات في إيران في موضوع المرجعية بعدما أغلّنت؟**

- لا ، لم أتحدث مع أي مرجعية أخرى ، لأنه ليس من المألوف في التقليد المرجعي الشيعي أن يتحدّث أي شخص في مسألة تصديّ للمرجعية مع أي مرجعية أخرى كي يأخذ بركتها أو رأيها . إذ إن طبيعة المرجعيّات ، بالمعنى الرسمي للمرجعية ، قد تجعل كلّ واحد منهم يرى نفسه في الموقع نفسه . لكنّ هذا الأمر جرى الحديث فيه مع بعض الفاعليات الحوزوية في إيران وغيرها .

❖ **هل وجدت عند الفاعليات الحوزوية تقبلاً لمرجعيتك؟**

- بعض الفاعليات التي تمتلك بعض الثقة في الكفاءة يرى أن هناك ضرورة في هذا التصديّ لأنه يُعطي إطلاقة جديدة للطروحات المرجعية في ما يُمثّل مستوى حاجة الجيل الجديد إلى من يملأ الفراغ ، ويجب عن علامة الاستفهام التي قد تواجهه ممّا لا تتعدّى المرجعيّات التقليدية إليه . ولهذا ، فقد وجدتُ تشجيعاً من كثير من الفاعليات ممّن يُطلق عليهم في الحوزة اسم الفضلاء في المستوى العلمي . ولعلّ

هؤلاء شجعوني على مستوى الضَّغط في التصدي وقبول الطلبات التي وَجَّهت إليَّ للسَّير في هذا الاتجاه .

❖ مولانا، من داخل النظام الإيراني هل تَصَحَّحَ أَحَدٌ في شكل مباشر بالإقلاع عن هذا الموضوع؟

- لقد تحدَّثَ إلينا بعضُ أصدقائنا من داخل جسم النظام ومن الفاعليات الكبيرة فيه . سألوني قبل أن أتصدَّى لهذا الأمر: «هل لديك استعداد لأن تطرحَ نفسك أمام ما أعلن في ذلك الوقت من طرح السيّد الخامنئي للمرجعية؟» فأجبتُ: «ليس عندي مشرُوعٌ في هذا الاتجاه، لكن إذا رأيتُ أنَّ هناك مصلحة للإسلام فيه فإنني أقبله إذا طرَحَه عليَّ المؤمنون». كان ردُّ فعل أحد هؤلاء أنَّه أطلقَ تحذيراً لي حول هذا الموضوع، وإن بطريقة المحبة وأسلوبها. قال: «أنت من الشخصيات التي تمتلك امتداداً في المجتمعات ونحنُ نحبُّ لك الخير، ونخشى أنك إذا طرحتَ نفسك في هذا الجانب فإنَّك ستواجه حملة عنيفة جداً تُصغِّرُ موقعك ونشوهُ صورتك». واستشهد على ذلك بما أثير حولي في المسألة التي تناولت قضية تاريخية هي مسألة الهجوم على بيت فاطمة الزهراء بنت الرسول، صلوات الله وسلامه عليها، إذ أثَّرت تحفّظات تاريخية حول هذا الموضوع، وبدأت هجمة استغلَّت عاطفة الناس ومشاعرهم وعاطفتهم وغرائزيتهم. أثار هذه المسألة مؤكداً أنه «سيحدثُ لك أكثر من ذلك». فقلتُ له: «أحبُّ أن أقولَ لك إنَّ الجمهور المثقَّف الشيعي ربما يجدُ في الأفكار الجديدة حافزاً على أن يرتبط بي أكثر. فقد اتصل بي بعض الأشخاص، عندما أثَّرت هذه المسألة، معتبراً أن موقفي يُمثِّلُ طابعاً من حرية الفكر، وقال لي إنني أريدُ أن أرجع إليك بالتقليد انطلاقاً من هذا». وقلتُ له أيضاً: «كُلَّ الشيعة لا يتحرَّكون بطريقة الغوغاء أو بالوسائل العاطفية الغرائزية الانفعالية. ثانياً، إن حساباتي ليست معكم بل هي مع الله، وأنا أعتقِدُ أن الله إذا عرف مني الإخلاص في موقف، فلن يخذلني». ولم يُعلِّقْ على شيء بعد ذلك. ثم جاءني شخص آخر أقلَّ منه رتبة ولكنه يتحرَّك في السياق نفسه، وقال لي: «الناس تدفع لك الحقوق الشرعية من كل الاتجاهات، سواءً مَنْ يُقلِّدُ هذا المرجع أو ذاك المرجع. وربما إذا طرحتَ نفسك مرجعاً فإن الموارد سوف تضيقُ عليك لأن المواقف الإيجابية سوف تتحوَّلُ إلى مواقف سلبية». ولم أعلِّقْ على هذا الكلام.

كانت هناك ضغوطات عدة وهي بمثابة رسائل. وقد سأل بعض الناس الذين

لهم ارتباطات بعدد من هذه المواقع ، أحد تلاميذي : «هل إن في تفكير السيّد فضل الله أن يطرح نفسه في مسألة المرجعية؟ فأجابه «أن «فلاناً» يقول إنّه إذا كانت هناك مصلحة للإسلام فإنّه لا يمانع في ذلك». فكان الردّ «في هذه الحال سنواجه مشكلة لأننا أمام بعض الأسماء المنافسة أو المضادة قد نقول إنهم ليسوا ثوريين ، أو إنهم ليسوا مؤيدين للجمهورية الإسلامية أو أنهم ليسوا على علم . لكننا لن نستطيع أن نتحدّث عن السيّد فضل الله في هذه الطريقة ، ولذلك فسوف يُنيرُ أمامنا مشكلة في هذا المجال» .

لاحظتُ بعد ذلك أن الحملة اشتدت وكان مركزها الرئيسي في إيران .

❖ هل كنتم تتوقّعون أن تصل الحملة إلى هذا المستوى؟

- لم أكن أتوقّع شيئاً من ذلك ، لأنني انطلقت في المسألة تلقائياً من دون أن تكون ، كما ذكرت في حديث سابق ، طموحاً شخصياً أخطّط لإنجاحه بالوسائل التي تقفُ في مواجهة الأمور والحملات المضادة . لكنني كنتُ أشعرُ بالمخاطر التي تتحرّك فيها مرجعية هنا ومرجعية هناك ، كما ربما حصل لمرجعية عربية ووجهت بقساوة شديدة في البداية هي مرجعية السيّد محسن الحكيم ، إذ كان هناك مَنْ يرى أن المرجعية تقتصر على الإيرانيين وأنّه ليس للعرب دورٌ فيها ، وذلك لاعتبارات متعددة ربما يُخضعها بعض الناس لمصالح إسلامية أو ما أشبه ذلك . كنتُ أشعر بأنني قد أنعرض إلى شيء من هذا . كنتُ أتصوّر أن المسألة سوف تواجه بعض التعقيدات ، لكنني لم أتصوّر أن يصل الأمر إلى هذا المستوى من فقدان أية ضابطة علمية أو إنسانية بحيث خُيِّلَ إليّ كما خُيِّلَ إلى الكثيرين من الناس أن هناك حملة مخابراتية كبيرة جدّاً تحاول أن تُثير هذه المسألة في هذا المستوى ، إن من جهة موقعي في مواجهة إسرائيل والاستكبار الأميركي أو من جهة إثارة حملة من الفتنة في العالم الشيعي وفي إيران بالذات . وقد كتب بعض المتّقين من العلماء ، وهو السيّد خسرو شاهي في صحيفته التي يُصدِرُها في «قَم» وهي صحيفة «بعثت» أن الكونغرس الأميركي قد حدّد عشرين مليون دولار لمحاربة النظام داخل إيران ، وكان يتساءل: هل إن هذا المبلغ قد وصل بعضه إلى إيران ليساهم في هذه الفتنة؟ من الطبيعي أنني لا أمتلك أي معلومات أو معطيات أستطيع من خلالها أن أثبت هذا في طريقة شرعية . لكن المناخ الذي أوجدته هذه الحملة والأشخاص الذين تحرّكوا فيها جعلوني أشعر بأن الخلفيات التي تختبئ وراءها ليست عادية

لأنهم استخدموا كُلَّ شيء، من الجانب العاطفي المتصل بأهل البيت (ع) وتحدّثوا أنني ضدهم وضدّ التشيع، وبدأوا يبحثون عن الكلمات التي يمكن أن تحتل أكثر من معنى، وعن تقطيع بعض الكلمات، وعن الكذب في نسبة بعض الأشياء التي لم أقلها معتمدين على أن الناس لا يقرأون حتّى إنهم كانوا يُقدّمون أسئلة إلى الشخصيات المعروفة في الحوزة العلمية في «قم» أو النجف من نوع: «ما رأيكم في من يقول كذا». ومن الطبيعي أن يكون الجواب أنني قلتُ هذا، مع أنني لم أقله ولم أقل مثله. وقد أصدروا كتاباً بعنوان: «الحوزة العلمية تُدين الانحراف». وحاولوا تقديم بعض الإغراءات إلى بعض الشخصيات اللبنانية فحاولت أن تصدر كتاباً حول هذا الموضوع من قضية الزهراء وحول التقاط بعض الكلمات المُلتبسة أو التي فسّرت بغير معناها في بعض الكتب التي تحاول أن تتحدّث عن رأي سَلبي حول الأنبياء هنا وهناك، واستُغلت كل الأمور حتّى الأشياء العادية بشكل غرائزي ومجنون. وقد دخل المجلس الشيعي الأعلى بقوة مع هذه الحملة كما دخلت بعض المواقع في لبنان...

❖ نتيجة هذه الحملة الشرسة التي كانت نقطة انطلاقها إيران ومركزها إيران، هل شعرت بأن النظام الإيراني كان في حاجةٍ إليك استعملتْ ثم تركك، فأثار ذلك لديك خيبة أمل ومرارة وربما اقتناعاً بأن هذا النظام الإسلامي في النهاية هو مثل بقية الأنظمة؟

- من الطبيعي أن شخصيات النظام كانوا ينكرون أن يكونوا وراء هذه الحملة، بل ربّما كان إنكار لها يصدرُ عن بعضهم، بل ربما يصدرُ من بعض كبارهم: «لماذا يُثيرُ فلان الآراء التي تُصبحُ موضعاً للجدل؟» كأنهم بذلك يحملونني أسباب هذه الإثارة، باعتبار أن آرائي التي أطلقها تصدّمُ العامة من الناس أو تصدّمُ بعض الأمور العاطفية الموجودة في الجوّ العام. لكنني قلتُ لهم: «إذا كنتم في موقع المسؤولية العامة عن الشيعة فإن أقل ما يلزمكم هو أن تولّفوا لجنة كي تبحث: هل أثرتُ أنا مثل هذه الأمور في هذه الطريقة؟ وهل إن ما يُنسب إليّ صحيح أو غير صحيح؟ أنتم ركبتم الموجة أو انفعلتم ولم تدقّقوا، مع أن مسؤوليتكم كانت تقتضي أن تدقّقوا. وقلتُ لبعضهم لو أن هذه الحملة التي وجهت إليّ كان المستهدف فيها بعض الشخصيات من داخل النظام فهل كنتم تقفون هذا الموقف السَلبي أو تسجّلون التحفظات وترسمون أمام هذه القضية الموانع التي تمنعكم من مواجهة هذه الشخصية التي قامت بفتوى معينة أو تلك الشخصية؟» ثم قلتُ لهم: «لو أردتم

أن تقارنوا بين أي شخصية من شخصياتكم وبينني لرأيتم أنني أكثر فائدة لكم من هذه الشخصيات من ناحية الامتداد في العالم». وطبعاً لم أجد جواباً مُقنعاً في هذا الموضوع. لكن كان هناك بعض العواطف.

وقد لاحظتُ أيضاً، بين وقت وآخر، أن بعض الصحافة الإيرانية المحسوبة على بعض أعمدة النظام كانت تتخذُ موقفاً إيجابياً مِنِّي، وكانت تتحدثُ في شكلٍ سلبي عن بعض الجهات المناوئة والمضادة مِنِّي يوحى أن هناك خطّوطاً، أو أن الموقف قد توازن بعد الحملة الإعلامية العالمية التي حاولت أن تُحمِل النظام الإسلامي في إيران مسؤولية هذا الموقف، خصوصاً أنه أثّرت مسألة «النجف وقُم» واعتُبرتُ من الفريق المؤيد لمرجعية النجف في مقابل مرجعية «قُم»، وما إلى ذلك من الكلمات التي استهلكها الإعلام...

أنا لم أصب في الواقع بخيبة أمل أمام هذا الحادث لأنني من الأساس لم أؤيد الثورة الإسلامية أولاً والجمهورية الإسلامية ثانياً من أجل الحصول على أي مكسب شخصي. فأنا، وهم يعرفون ذلك، لم أطلب شيئاً، حتى وأنا أمتلك المشاريع الكثيرة، لم أطلب منهم أي مشاركة في هذه المشاريع. لذلك عندما أعلنتُ أن هذه المشاريع ليس لأي دولة، مهما كانت قريبة، دخلَ فيها كنتُ أعني ما أقول. إذ إن إيران ليس لها أي دور فيها كلّها في شكل مباشر أو غير مباشر. وكنتُ أعرف أن في إيران أكثر من خطّ، ومن الممكن جداً أن تجدَ خطأً إيجابياً معك لتلتقي بخطّ سلبي ضِدّك، حتّى إنني كنتُ أسمعُ من فاعليات عدة أنها تعاني من الشخصيات التي قامت ببعض الحملات الفتوائية أو غيرها، وأن بعض الذين أصدروا الفتاوى ضِدِّي هم في الموقع المضاد للثورة، أو على الأقل في الموقع المضاد للمرشد السيّد الخامنّي وما إلى ذلك... لهذا كنتُ أحسُّ بالمرارة لا سيما عندما امتدّت المسألة من إيران إلى لبنان بما لا يمكنُ أن يفسّره الإنسان إلّا أنّه ينطلقُ من إحياءات ومن خطّة معيّنة. ذلك أن ما حدث في لبنان وخصوصاً من الجهات التي لها علاقة حميمة بإيران لا يمكنُ تفسيره كشيء ذاتي...

❖ مولانا، اعتمدت إيران في الحرب على مرجعيتكم على أكثر من فريق. فهناك «حزب الله»، الذي يمكنُ أن يفهم لآئته في النهاية تحت رعاية إيرانية مستمرة. وهناك أناس لم يكونوا معروفين، سواء في المجلس الإسلامي الشيعي أو خارجه، فما هي دوافعهم؟

- الواقع إن المجلس الشيعي لم ينطلق من خلفية إيرانية، لكنّه التقى معها واستفاد منها. وبـل انطلق من بعض التعقيدات الشيعية اللبنانية التي حاولت أن أقوم بحلّها بمختلف الوسائل ولم أستطع ذلك. حتى إن الجمهور الذي كان يحيط بهذه المؤسسة كان يُوزَع الكتب التي لا يُؤمنُ القيمُ على المؤسسة بمضمونها لأنّها تُمثّل التخلف وهو لم يكن رجلاً متخلفاً. لكنّ ظروفًا عامة وخاصة اختفت وراء ذلك.

✽ حتى توزيع هذه الكتب والمناشير كان يتم في مناطق لم يكن أنصار المجلس الشيعي يصلون إليها في السابق، ممّا يعني أن حماية مباشرة من «حزب الله» كانت مؤمّنة للمورّعين.

- لقد قلتُ إنها التقت مع عدّة مواقع متنوّعة وربما كانت متضادة، التقت باعتبار أن المصيبة واحدة، إن صحَّ التعبير.

✽ هذه الحملة في لبنان، هل قادها «حزب الله» بصراحة، مولانا؟
- «حزب الله» يُنكرُ في قيادته أنّه قادها، ولكن عندما يدرسُ الواقع، فإنّه يرى أن كلّ موقعٍ من المواقع ينطقُ بذلك.

✽ متى بدأت تشعرُ في لبنان بأن «حزب الله» يتسّقُ هذه الحملة؟
- من الطبيعي أنّه كانت هناك بعض الحساسيات من خلال الاختلاف في المرجعية التي كنتُ أدعمها أمام المرجعية التي يدعمها قادة «الحزب». لكنّها لم تكن في هذا الشكل الصّارخ. وعندما طُرِحت مرجعية السيّد خامنئي كان ذلك القسّة التي قصمت ظهر البعير.

✽ نَقُلْ عن البعض في «حزب الله» أن الحرب التي أُعلنت عليك والتي شارك فيها، هي حرب وقائية. وقائية من ماذا؟
- يمكنُ أن يُسأل الذي تحدّثَ عن ذلك.

✽ كانوا يدعونك في استمرار إلى تأبين الشهداء والصّلوات وغيرها، هذه أمور لم تعد تحصل.

- الواقع أنني امتنعْتُ عن كلّ هذه الأمور بالنسبة إليهم وإلى غيرهم. يعني كنتُ أبادرُ في كثير من الحالات إلى حضور الاحتفالات وقد دعيْتُ إلى بعضها. علماً أنني تركتُ منذُ مدّة كلّ حفلات التّأبين والصّلاة على جثامين الشهداء وما

إلى ذلك. ومن الطبيعي أن ذلك خَفَّف الإحراج عن بعض الناس في هذا المجال.

❖ مولانا، تحدَّثنا المرة الماضية في هذا الأمر. كان مقلِّدوك من «حزب الله» يتجاوزون خمسين أو ستين في المئة من أعضائه ومناصريه، بعد الحملة عليك هل لجأ هؤلاء كلهم إلى التقيّة؟
- حدَّثني بعض الناس أنهم استعملوا التقيّة في الإعلان عمّن يُقَلَّدون...

❖ هل بدأوا يفرضون على محازبيهم عدم تقليد السيّد فضل الله؟

- يريدون من محازبيهم أن يرجعوا بالتقليد إلى السيّد خامنئي، لأن تقليدهم له يجعلهم ينسجمون مع موقع الولاية بحسب تعبيرهم الذي يمتد من إيران إلى أصغر مسؤول في «حزب الله»، بينما إذا رجعوا إلى غيره فربما لا يتقيّد ولا يلتزم ما يريدون إلزامه إيّاه سواء في العمل السياسي أو الأمني أو العسكري.

من الممكن جداً أن تكون المسألة منطلقة من طبيعة القاعدة التي يتركز عليها «الحزب»، وهي قاعدة الولاية التي تفرض على كلّ محازب أن يلتزم بما يؤمّر به من دون مناقشة باعتبار أنه يُمثّل التكليف الشرعي. وربما كان هذا هو الأساس الذي جعلهم لا يوافقون على أي مرجعية حتّى المرجعيات الأخرى، وإن كانوا لا يتخذون هذا الموقف الحادّ من المرجعيات الأخرى. لكنّ المبدأ هو المبدأ. فهم يريدون للأشخاص الذين ينتمون إليهم أن يلتزموا الولاية التزاماً مطلقاً، وإذا كانت الولاية في إيران تفرض الولاية في لبنان لجهة القيادة أو لجهة معينة، فإنّ ذلك يُفسّر كلّ المواقف.

❖ تلفزيون «المنار»، مولانا، كان يبدو أن أشخاصاً يظهرون على شاشته لهدف واحد هو انتقاده. وكان يبدو أيضاً أنه يقدّم بعض الشخصيات المناوئة لك.

- هذا لم يكن بارزاً في شكل واضح. كانت تُقدّم الشخصيات المضادة أو بعضها. اعتقد أن شخصيات شيعية كبيرة في لبنان لم تكن في حاجة إلى مَنْ «يطلعها» في التلفزيون لأنها تتحدّث في أكثر من تلفزيون في شكل واضح وصريح... كما كان يتحدّث بعض الشخصيات الكبيرة سلباً من أكثر من تلفزيون عالمي.

لقد كان العمل على الشارع كبيراً ولا يزال.

❁ مولانا، مرّ في الحركة الإسلامية التي أطلقتها وفي التيار الإسلامي أكثر من جيل، الأول أنت أطلقته. في اعتقادي أنّه لا يزال وفيّاً لتيّارك وإن كان منصوباً في «حزب الله» لكنّه لا يعلن ذلك. هناك جيل آخر يصعد، وهناك «حزب الله»، وحصلت مقاومة وتحرير للجنوب. هذا الجيل الجديد يتربّى على أيدي أشخاص لديهم اختلاف مع مرجعيتكم. فهل تعتقد أنك لن تستطيع الوصول إلى الجيل الشبابي الجديد في الطائفة الشيعية كما وصلت إلى الجيل الماضي؟

- أعتقد أنني لا أزال أعيش في وجدان الشارع الإسلامي في شكل عام، حتّى في شارع شباب «حزب الله». فهذا الحضور المتحرّك دائماً في حياة الناس، وفي الخطاب الإسلامي المسجدي وغير المسجدي، وفي الأجواء الإعلامية، استطاع أن يفرض نفسه. ولذلك فإنني أواجه في المدة الأخيرة الكثير من الكلمات التي تطلب مني المسامحة والسماح بشكل لافت للنظر. أتصور أن الحملات المضادة في شكل عام، سواء في لبنان أو في غيره، لم تستطع إخراج هذا الاسم من الوجدان الإسلامي في شكل عام والوجدان الشيعي في شكل خاص، باعتبار أنّه صعب جداً، أن تخرج اسماً وشخصاً أدمنه الناس على مدى خمسين سنة، لا لأنّه يمثّل عبقرية أو مستوى فوق العادة، بل لأنّه يتحرّك في الساحة بمختلف الأساليب خطأً أو صواباً، سلباً أو إيجاباً. من الصعب جداً أن تُخرجهُ من وجدان الناس لأنّه لا بدّ أن يكون قد تجذّر، وهذه هي مشكلة الآخرين الواقفين في خطّ المواجهة. فهم ركّزوا على أمور تجاوزها الزمن وتستطيع الأجيال الطالعة، عندما تخرج من كلّ هذه الحمى الغرائزية، أن تجد في ما يطرحه الآخرون معنى الخرافة، ممّا لا يتقبّله جيل جديد يدرس في الجامعات وما إلى ذلك...